سلسلة مفردات التربية الإسلامية
« الحلقة السادسة »

التربية الاجتماعية الإسلامية

تأليف
الدكتور علي عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر

الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع : ١٣٦٣٨ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي : .I.S.B.N

977 - 265 - 802 - 4

شركة الأمل للتجهيزات الفنية
عثمان شماخ وشركاه
ت: ٥٧٦١٩٦٢

دار التوزيع والنشر الإسلامية
مصر - القاهرة - السيدة زينب - ص . ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس : ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

الإهداء

إلى المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وإلى الذين يرغبون فى أن يلحقوا بهم، فيكونوا منهم إذا صحت النوايا وصدقت العزائم.

وإلى الذين يوقنون بأن الإسلام دين نظام شامل متكامل، ما فرط فيما يُصلح الحياة الإنسانية من شىء، وإنما صاغ للحياة الإنسانية نظامًا ومنهجًا هو أتم وأوفى ما يمكن أن يصل إليه نظام أو منهج.

وإلى الذين يحبون أن يعرفوا عن نظام الإسلام ومنهجه شموله وتكامله وقدرته على أن يُطب لكل داء، وعلى أن يهدى إلى سواء الصراط.

وإلى المهتمين بالحياة الاجتماعية الإسلامية؛ لما تهيئه للناس من أمن ووئام ومودة، وتآلف وتعاون على البر والتقوى فى ظلال خاتم الكتب، القرآن الكريم، وفى رحاب سنة خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وفى ضوء أوسع مدى زمانى ومكانى، يمكن أن يشمله اجتهاد علماء المسلمين.

وإلى الدعاة لهذا الدين، والمتحركين به فى الناس والآفاق، والمجاهدين فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

إلى هؤلاء أهدى هذا الكتاب: «التربية الاجتماعية الإسلامية» داعيًا الله تعالى أن ينفع به كل من قرأه، إن الله سميع الدعاء.

على عبد الحليم محمد

القاهرة فى: السابع من شهر رمضان ١٤٢١ هـ

الموافق ٣/١٢/٢٠٠٠م

بين يدىْ هذه السلسلة

«مفردات التربية الإسلامية» سلسلة من عشر حلقات؛ تفضل الله علىّ بأن أنجزت منها خمس حلقات[1]، وهذه هى الحلقة السادسة «التربيه الاجتماعية الإسلامية» تتلوها بإذن الله باقى الحلقات العشر، إذا أمد الله فى العمر، ومنح الأسباب، ومن بالتوفيق، وأنعم بالسداد.

● ولقد كانت كتابة هذه الحلقات العشر أملاً يراودنى، ويملأ علىَّ قلبى وعقلى منذ زمن بعيد، وأعتقد أنها أمل يراود كل داعية مسلم مشغول بالتربية الإسلامية وقضاياها؛ إذ التربية الإسلامية هم كل من يعرف أن الإسلام يربى الإنسان أكمل تربية، ويصوغه أحسن صياغة وأرقاها، وأبعدها عن العجز والفشل والاضطراب، والعقد النفسية، فضلاً عن الحيرة والضلال والضياع.

● إن كل عالم من علماء المسلمين فى أى عصر وفى أى مكان.

وكل عارف بالإسلام منهجه وأحكامه وأخلاقه وقيمه.

وكل داعية إلى الله يبلغ عنه منهجه ونظامه.

وكل متحرك بالإسلام فى الناس وفى آفاق الأرض.

بل كل منصف من غير المسلمين قرأ عن الإسلام منهجه ونظامه؛ كل أولئك يوقنون بأن التربية الإسلامية للناس، أشمل أنواع التربية وأكملها، وأكثرها إحاطة بكل ما من شأنه أن يكون فى صالح الإنسان حاضره ومستقبله، ومعاشه ومعاده.

وهم يوقنون كذلك بأن التربية الإسلامية سليمة من كل نقص ومن كل قصور، وأين يوجد النقص أو القصور فى تربية تعنى بروح الإنسان وخلقه وعقله وبدنه، وتنمى فيه وعيه الدينى، والتزامه بمنهج الله ونظامه، وتوقظ فيه حسه الاجتماعى، ووعيه الاقتصادى

---

(١) صدرت هذه الحلقات متتابعة عن دار النشر والتوزيع الإسلامية من عام ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م حتى عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

والسياسى، وتطبعه بطابع حب الجهاد فى سبيل الله تعالى، وتربى ذوقه نحو الإحساس بالجمال الكامن أو الظاهر فى مخلوقات الله تعالى؟

ماذا بعد هذا من نواح يمكن أن تتجه إليها التربية الإسلامية؟

● ولقد كان تفصيل هذه المفردات إلى عشر هو شغلى الشاغل على مدى زمنى طال أكثر من عشر سنين، من خلال ما كنت أؤلف من كتب، وما ألقى من محاضرات عامة أو خاصة، وما كنت أتلقى من أسئلة واستفسارات من الناس عمومًا ومن تلاميذى على وجه الخصوص، حتى هدانى الله تعالى إلى تفصيل التربية الإسلامية إلى هذه المفردات العشر، فشرعت فى تأليف كتاب عن كل مفردة منها، وتعمدت أن أوثق ما أكتب وأؤصله برده إلى آيات القرآن الكريم، وإلى سنة الرسول ﷺ.

● وكل حلقة من هذه الحلقات اجتهدت ما وسعنى أن أبين مكانتها من التربية الإسلامية، وأن أرصد أهدافها، وأوضح كل الوسائل التى تعين على تحقيق هذه الأهداف.

● وهذه الحلقات جميعها، وكل واحدة منها تستهدف أهدافًا تربوية إسلامية يمكن أن أذكر منها فى هذه المقدمة عددًا غير قليل، ومن ذلك:

– التأكيد على أن التربية الإسلامية فى عمومها وخصوصًا كل مفردة منها عمل إسلامى رئيس، كما دلت على ذلك آيات القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ، حيث كانت التربية الإسلامية الشاملة للإنسان واضحة منذ أول آيات القرآن الكريم نزولاً، وهى آيات سورة «العلق».

– ففى هذه السورة الكريمة دعوة إلى القراءة «اقرأ...» والقراءة تشمل التتبع والتلاوة والتدبر والنظر لكل ما هو مقروء، والقراءة وسيلة من وسائل العلم والمعرفة، وهى الطريق والباب إلى كل ثقافة يحتاج إليها الإنسان.

والقراءة تدريب وتعويد للإنسان –روحه وعقله وخلقه– على التأمل والتتبع والاستفادة من كل ما يحيط بالإنسان من موجودات.

فالإنسان الذى يحسن القراءة لما تقع عليه عينه وحواسه، يحسن أخذ العظة والعبرة من ذلك، فالروح تستشعر ما هو مقروء فى صفحة الوجود وتحس به، والعقل يستنبط منها ما ينفعه وما يدفع عنه الشر، والخلق يتأسى فيتحلى بالقيم الفاضلة فى صفحة الوجود ويتخلى عن القيم الراذلة.

وكل ما هو مكتوب أو متلو مسموع من تاريخ الإنسانية فيه دروس وعبر ودلائل وعلامات توجه الإنسان نحو المسار الصحيح للحياة.

- والقراءة بكل معنى من معانيها عمل هام فى الإسلام لابد أن يبدأ باسم الله، ولذلك كانت الآية الكريمة: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ...** ﴾ [العلق: ١] أى أن تكون القراءة التى توصل إلى العلم والمعرفة مستهدفة اسم الله تعالى. أى الالتزام بأمره والاجتناب لنهيه واتباع منهجه ونظامه، ومعنى ذلك ألا تكون القراءة وما يترتب عليها من علم ومعرفة مؤدية إلى ممارسة أدنى شر أو ضرر لأحد من الناس أو من المخلوقات، وكيف تؤدى إلى ذلك وهى قد حدثت باسم الله تعالى؟

- والقراءة المطلوبة يجب أن يصاحبها النظر والتدبر فى مخلوقات الله تعالى عمومًا، وفى خلق الإنسان على وجه الخصوص، وذلك أن الإنسان أكرم مخلوقات الله تعالى إذ فضَّله على كثير مما خلق، ومع ذلك فإن الله تعالى خلقه من علق: ﴿ **خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ...** ﴾ [العلق: ٢] والعلق أصل الإنسان حينما يعلق الحيوان المنوى من الرجل ببويضة المرأة، فيخصبها ثم يحدث النمو على نحو ما هو معروف... فلابد من التدبر والتأمل فى خلق الإنسان وأصله حتى لا يأخذ الإنسان نوع من الغرور أو التعالى، وهذا التفكر والتدبر تربية للروح والعقل والخلق، لتكون العبرة والفائدة.

- والقراءة: تعلم وعلم ثم تعليم للغير، والله تعالى هو الذى علم وهدى إلى القلم والكتابة: ﴿ **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ...** ﴾ [العلق: ٤] وفى هذا إشارة مبكرة جدًا فى تاريخ الإسلام إلى أنه دين يقوم على التعلم والعلم والتعليم، وما يترتب على ذلك من ثقافات ومعارف وعلوم لا يستطيع الإنسان أن يعيش حياة إنسانية إلا بها.

- وقد امتن الله تعالى على الإنسانية كلها بأن هدى بعض أفرادها إلى الكتابة والقراءة، ومن المعلوم أن الكتابة تقيد العلم وتحافظ عليه من الضياع، فقد روى ابن ماجة بسنده عن ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «قيدوا العلم بالكتاب» ورواه الدارمى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وروى ابن عبد البر بسنده عن عطاء عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله أأقيد العلم؟ قال: «قيد العلم» قال عطاء: وما تقييد العلم؟ قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: كتابته.

- ومعنى ذلك : أن الإسلام يقول للمسلمين : عليكم بالتعلم والعلم والتعليم؛ فإنه نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان ليرتقى بحياته الإنسانية إلى مستوى تكريم الله تعالى إياه، فلا يجوز له أن يقلل من شأن هذا التكريم فيضل أو يعرض نفسه للهوان أو يحرم نفسه من الحياة، وكل ذلك إنما هو نتيجة للتعلم والعلم والتعليم، وفى هذا تربية للروح والعقل والخلق، بل لكل جوانب شخصية الإنسان ليفيد مما يحيط به من مخلوقات ومواقف وأحداث.

هذا أحد أهداف هذه السلسلة أو أكبر أهدافها، وهناك أهداف أخرى نشير إليها فيما يلى :

- التأكيد على أن الإسلام بوصفه أكمل الأديان وأتمها، يربى الإنسان تربية اجتماعية متكاملة، تتناول كل جوانب حياته الاجتماعية، لتؤهله بتلك التربية للنجاح والفلاح والتوفيق فى معاشه ومعاده.

- والتأكيد على أن الإسلام بتربيته الشاملة المتكاملة لديه القدرة من خلال هذه التربية على حل كل مشكلة تتصل بحياة الإنسان أيًا كان نوعها وبالغًا ما بلغ حجمها وعمقها ومداها فى الزمان والمكان، لا فرق فى ذلك بين مشكلة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو جمالية، ما دامت هذه المشكلة تعوق تقدمه أو تلحق ضرراً به أو بغيره من الناس.

- والتأكيد على أن التربية الإسلامية للإنسان تعلمه كيف يتعاون مع غيره على البر والتقوى، وكيف يتعامل مع غيره ويحترم رأيه من أجل أن يتعاون معه ليصبح المجتمع الإنسانى متعاونًا لا متعاديًا، ولينعم الناس بالوئام والسلام.

- والتأكيد على أن هذه التربية الإسلامية الشاملة قادرة بأبنائها على تقديم الخدمات الاجتماعية للإنسان مادية كانت أو معنوية، بل قادرة على تقديم الرفاهية الاجتماعية التى تؤدى إلى تحسين الحياة الإنسانية وملاءمتها لحاجات الناس المشروعة، وحاجات المجتمع.

- والتأكيد على أن التربية الإسلامية تستهدف تربية الإنسان مهما كان لونه أو عرقه أو لغته، لا تربية المواطن فى وطنه المحلى الإقليمى فحسب، لأن الوطنية وحدها إذا كانت هدفًا للتربية أدت إلى صراعات بين أبناء الأوطان وإلى حروب وخراب ودمار، كما شوهد ذلك فى التاريخ - وكما يشاهد الآن -ومن أراد أن يوقن من ذلك فلينظر إلى عنصرية

اليهود، وإلى الفاشية والنازية، والتفرقة الجنسية واللونية والدينية وإلى الكيل بمكيالين الذى تمارسه أمريكا ومعظم دول الغرب فى غير حياء ولا خجل من المواثيق التى كتبوها بأنفسهم كوثيقة حقوق الإنسان وغيرها!!!

– والتأكيد على أن التربية الإسلامية –كما تتضح أبعادها فى هذه السلسلة– تريد أن تبلغ رسالة الشمول والتكامل للتربية الإسلامية إلى العالم كله، دون خوف أو خشية من أعداء الإسلام أو أعداء الأديان، أو حتى أعداء الإنسان أعداء الحياة، إنهم صانعو الموت وبائعوه ومصدروه.

وأعداء الإنسان هم الذين يديرون المشكلات والمكائد والحروب، لأنهم يجنون من وراء ذلك أرباحًا بوصفهم صانعى الأسلحة وبائعيها لمن يقتلون أنفسهم بها!!! قبل أن يجدوا فيها خلاصًا من عدوهم.

نبلغهم رسالة التربية الإسلامية الإنسانية الشاملة لأن الله تعالى أمرنا بذلك، كما أمر رسله عليهم السلام بالبلاغ عنه وتحمل أعباء هذا التبليغ من تهم وتحدٍ واضطهاد، فلسنا عند أنفسنا فى أهمية رسل الله الذين اصطفاهم وأمرهم بالتبليغ والصبر والاحتمال.

● إن كل رسول بلغ عن ربه اتهم بالضلالة حينا، والسفاهة حينا، والجهل والطيش، وهددوا جميعًا عليهم السلام بالطرد من أوطانهم أو طردوا منها فعلاً.

ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

– قال الملأ من قوم نوح عليه السلام بعد أن بلغهم رسالة ربه: ﴿ . . .إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ. . . ﴾ [الأعراف: ٦٠].

– وقال الملأ من قوم هود لرسولهم عليه السلام بعد أن أبلغهم: ﴿ . . .إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. . . ﴾ [الأعراف: ٦٦].

– وقال الملأ من قوم صالح عليه السلام بعد ما بلغهم: ﴿ . . .يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧].

– وقال قوم لوط عليه السلام بعد ما بلغهم: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢].

- وقال الملأ من قوم شعيب عليه السلام بعد أن بلغهم: ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ** ﴾ [الأعراف: ٨٨].

- تلك سنة الله تعالى فيمن يبلغون عنه، ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ويربوهم بمنهج الله ونظامه على الإيمان والعمل الصالح وحب الخير للناس جميعاً وكف الشر عنهم.

- إن الذين يبلغون رسالات الله ما ينبغي أن يخافوا أحداً ولا أن يخشوا شيئاً، بل حسبهم أن الله تعالى معهم: ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

- وليكن أعداء الإسلام من يكونون وليملكوا من القوة ما يملكون، وليقولوا عن الإسلام ما يقولون، فإن ذلك وأمثاله لن يغير من الحقيقة شيئاً، ولن يخدع عن الحق إلا الغافلين.

- ولقد بذل أعداء الإسلام ما في وسعهم في زمن الحروب الصليبية وجمعوا وحشدوا حتى استولوا على بيت المقدس وأقاموا الممالك والولايات، ولكن أُخرجوا بصولة الحق على الباطل..

- وبذلوا ما في وسعهم في الماضي القريب أيام ما كان يسمى بالاستعمار واحتلوا كثيراً من بلدان العالم الإسلامي تحت شعارات مضللة مثل: الانتداب، والوصاية، والحماية ونحوها، ثم أُخرجوا من تلك البلاد وإن بقي نفوذهم في بعضها، لكنهم بعون من الله سوف يقضى على نفوذهم أمام صولة الحق وجنوده.

- ومنذ أكثر بقليل من نصف قرن تحالف أعداء الإسلام بريطانيا وأمريكا وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي مع اليهود فانشأوا لهم وطناً وأقاموا لهم دولة في فلسطين، لكن لا تآمر الغرب ولا معاهدة فرساي ولا مسارعة أمريكا بالاعتراف بإسرائيل بعد اثنتي عشرة دقيقة من قيامها ولا تحيز الولايات المتحدة أو هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمن الأقوياء ولا بشائع عصابات صهيون ولا طرد أهل فلسطين منها ولا الاحتلال بأكثر الأسلحة وافتكها، بقادر على أن يضمن لإسرائيل الاستقرار في فلسطين لأن ذلك يعاند ديننا وتاريخنا وثقافتنا، وما هي إلا فترة من الزمن ثم تعود فلسطين إلى العرب والمسلمين، ويسألونك متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً.

● إنا نبلغ العالم بالتربية الإسلامية الإنسانية التى تصوغ أناسًا يحبون الحق ويضحون فى سبيله ويستطيعون به أن ينتصروا على الباطل وأهله فى جولة أو جولات.

● ولن يجدى على أعداء الإسلام شيئًا مؤتمراتهم كمؤتمر: «حوار الأديان» الذى عقده مجلس الأساقفة فى بولندا، فى شهر أكتوبر من عام ٢٠٠٠م والذى قرَّب بين المسيحية واليهودية وانهال على الإسلام يكيل التهم والأباطيل والافتراءات وتولى كبر إذاعة هذه المفتريات القس «جياكو بيفى» وشارك معه زعماء سياسيون من فرنسا وإيطاليا وألمانيا.

● أقول: على الرغم من ذلك كله وأمثال أمثاله من الحقد على الإسلام والكيد للمسلمين وتحديهم فى دينهم وديارهم وأموالهم، فإن الإسلام كان وما زال وسوف يظل -بإذن الله- قادراً على تربية الإنسان السوى الذى لا يحقد على أحد ولا يدبر له شراً مهما اختلف معه فى الدين أو العرق أو اللون أو اللغة، لأن منهجه هو منهج التربية الإسلامية للإنسان المتفتح على الدنيا كلها يدعوها إلى الحق والخير والهدى، ويبذل فى سبيل ذلك الجهد والوقت والمال والنفس، ويحتسب عند الله الجزاء.

* * *

بين يدى هذا الكتاب

هذا الكتاب هو الحلقة السادسة: «سلسلة مفردات التربية الإسلامية» حلقة: «التربية الاجتماعية الإسلامية».

وهذه الحلقة نود أن نؤكد بها أن الإسلام خاتم الأديان قد عالج النظام الاجتماعى للحياة الإنسانية بما لم يسبق إليه وما لم يلحق به، واعتمد التربية الاجتماعية الإسلامية وسيلة لتحقيق النظام الاجتماعى.

● فقد جاء الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بنظام اجتماعى متكامل يقوم على نظرية شاملة، فوضع تشريعات اجتماعية تستهدف تقرير الحقوق الاجتماعية للفرد والأسرة والمجتمع، بل إن النظام الاجتماعى الإسلامى بدأ من حيث لا يبدأ نظام غيره، بدأ بأن يحسن كل من الزوجين اختيار الآخر لتكون من الزوجين الصالحين أسرة صالحة، ووضع لرعاية الأسرة نظامًا يبدأ بإحسان اختيار اسم المولود ثم رعايته وتعهده وتربيته تربية إسلامية تتكفل له بكل ما يصلح شأنه، فهى تربية تتعهد الروح والخلق والعقل والبدن والوعى الدينى والحس الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ثم تدفعه هذه التربية إلى المسجد بصحبة أبيه، ثم تدفعه إلى المدرسة فالمجتمع ليمارس حياته بكل أبعادها فى إطار ما أحل الله وما حرم.

ثم تستمر التربية الإسلامية فى مسارها مع الإنسان تشرع له حقه فى العمل والكسب والعيش الكريم الآمن. وتقرر له كل حقوقه وحرياته التى تستوجبها إنسانيته التى كرمها الله تعالى فى شخصه.

ثم تشرع له التربية الإسلامية تشريعات للاستقرار الأسرى أمومة وأبوة وقرابة وأرحامًا، بل جيرانًا وأصدقاء فى إطار محكم من الحقوق والواجبات.

● **إن التربية الاجتماعية الإسلامية -وهى تضع هذه التشريعات- تكل أمر تطبيقها إلى سلطة لها حقوقها وعليها واجباتها، تتمثل فى كيان اجتماعى من أسرة ومدرسة وجماعة وهيئة ومؤسسة ومجتمع وحكومة؛ ممن لهم نفوذ أو قوة ضاغطة تملك أن تقنع ثم تلزم، ثم تجازى من أخل بهذه القيم الاجتماعية، وفق قانون ثواب وعقاب جاءت به التربية الاجتماعية الإسلامية من عند الله تعالى وفق منهجه ونظامه، بحيث لا تمنح هذه**

السلطات إلا لمن استجمع أهليتها فأدى وظائفها وراقب الله فيما يعمل، وراقبه الله تعالى من خلال النظام الدقيق الذى يكفل متابعة كل عامل وتقويم عمله وتوجيهه وتسديده.

- التربية الاجتماعية الإسلامية عمل اجتماعى خالص يتمثل فى العلاقات المتبادلة بين الأفراد والأسر والجماعات والهيئات والمؤسسات مع المحافظة فى ذلك كله على الحقوق والواجبات، وما دامت التربية الاجتماعية كذلك فلابد أن تكون أهدافها اجتماعية خالصة كذلك، ومن بين هذه الأهداف:

- إعطاء الإنسان قدرة على حسن التعامل مع الآخرين والتفاعل مع قضاياهم والتأثير فيهم والتأثر بهم، دون خصام أو تنازع، ليحدث بذلك تماسك اجتماعى يؤدى إلى التعاون فالتضامن فالتكافل بين الأفراد والأسر والجماعات والمجتمع كله.

- وضبط السلوك الاجتماعى للإنسان بحيث تكون أنواعه كلها ملائمة للقيم الإسلامية السائدة فى المجتمع، وهذا الضبط يحتاج دائماً إلى نظام وقانون، ويلتمس ذلك النظام والقانون فى كتاب الله وسنة رسوله وسيرته ﷺ، وهو نظام شامل وقانون جامع مانع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا سعادة للمجتمع المسلم إلا بتطبيقه.

- وإقرار القيم الاجتماعية وإعلاء شأنها والمحافظة عليها بوصفها القيم التى توجه السلوك الإنسانى وتبصره بما له من حقوق وما عليه من واجبات فى معاشه ومعاده، إذ هى بهذا الوصف جزء من الدين، بحيث يؤدى التمسك بهذه القيم إلى أن تصبح حياتهم الإنسانية قيمة وأثر وقوة وسيادة، وبغير التمسك بها لا يكون شىء من ذلك.

- وتحقيق التأمين الاجتماعى للمجتمع كله، بحيث يمكن مواجهة الأخطار الاجتماعية التى يتعرض لها الناس وتجنبهم أضرارها، وهى أخطار وأضرار لا يخلو منها مجتمع إنسانى كخطر العجز والشيخوخة والبطالة والمرض والفقر والجهل ونحوها، وما يتم ذلك على وجهه الصحيح إلا عن طريق الإصلاح الاجتماعى الذى يعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات، وتحقيق تكافؤ الفرص والمساواة فى الحقوق والواجبات أمام القانون.

- وتحقيق الوئام الاجتماعى، وذلك أن التربية الاجتماعية الإسلامية تتصدى دائماً لما يعبر عنه علماء الاجتماع بالصراع الاجتماعى -الذى يقوم عادة عندهم- بين الجماعات أو الأفراد لكى يفوز فريق وينهزم آخر، ليلحق الضرر بالمهزوم بل يقهره، حتى يحظى الفريق الفائز بالفوائد وحده، وذلك أن الإسلام لا يسمح بهذا الصراع، بل يحل محله الوئام المبنى على التعاون والتضامن والتكافل بين فئات المجتمع.

- وتستهدف التربية الاجتماعية الإسلامية القضاء على التخلف الاجتماعى بشتى صوره، والقضاء على التخلف إنما يكون بالقضاء على كل جمود أو اتجاه رجعى يعود بالناس إلى الجاهلية وما كان يسودها من علاقات بين الناس تقوم على معايير ظالمة وقيم خاطئة، وكل ذلك يحرمه الإسلام ويجرمه ويعاقب عليه، وكل ذلك لو ترك فإنه يؤدى إلى حرمان المجتمع من التقدم والأمن والرفاهية.

- وتستهدف التربية الاجتماعية الإسلامية إقامة سد منيع بين المجتمع والانحطاط الاجتماعى الذى يترتب عليه خروج الناس على القيم والمعايير الإسلامية فى الخلق والفكر والثقافة، لأن الخروج على تلك القيم والمعايير الإسلامية يدمر المجتمع بتحويل أفراده إلى التناحر والتعادى بدلاً من التعاون على البر والتقوى المفضى إلى التكافل والرفاهية الاجتماعية.

● وهذه الحلقة: «التربية الاجتماعية الإسلامية» من تلك السلسلة: «مفردات التربية الإسلامية» تستهدف تأصيل التربية الاجتماعية الإسلامية بتوثيقها ورد مفرداتها ومنهجها وأهدافها ووسائلها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وإن توضيح منهج التربية الاجتماعية الإسلامية وتحديد أبعاده وبيان قدرته على تكوين الإنسان الراشد الراقى، وتحديد أهداف هذا المنهج وتوضيح وسائله هى محتوى هذه الحلقة بإذن الله تعالى.

- ومن أجل ذلك جاء هذا الكتاب مشتملاً على:

مدخل يتناول تعريف التربية الاجتماعية الإسلامية وتوضيح بعض المصطلحات اللازمة للخوض فى موضوعات هذا الكتاب.

وبابين:

أحدهما يشير إلى منهج التربية الاجتماعية الإسلامية، ويرصد أهدافها.

والآخر يتحدث عن وسائل التربية الاجتماعية الإسلامية التى تسعى إلى تحقيق أهدافها من خلالها.

والله نسأل أن يكتب لنا فى ذلك التوفيق والسداد.

* * *

المدخل

في هذا المدخل الذي يمهد لفهم هذا الكتاب، وييسر على القارئ استيعاب ما فيه، أتحدث عن ثلاث نقاط.

الأولى:

تعريف التربية الاجتماعية الإسلامية:

والثانية:

التعريف بمصادر التربية الاجتماعية الإسلامية ومراجعها.

والثالثة:

التعريف ببعض المصطلحات في التربية وفي الاجتماع.

- تعريف التربية الاجتماعية الإسلامية:

– التربية الاجتماعية في عمومها، لابد أن تمارس في مجتمع إنساني إذ لا يمكن تصور التربية في فراغ ودون بشر، فهي لا تستغني عن مجتمع تعبر فيه عن أهدافها ومعطياتها.

– والمجتمع الإنساني مهما كان بدائيًا أو بسيطًا لابد أن يكون بحاجة إلى تربية أو نظام تربوي يحافظ على كيانه وانتمائه وتراثه، وما يلائم المجتمع الذي يتغير باستمرار.

– ووظيفة التربية في عمومها أن تحافظ للإنسان على جسده وعقله وروحه ومعتقداته، وعلى كل ما يصلحه لكي يعيش حياة إنسانية خالية من صراع الإنسان مع جسده وشهواته، ومن صراعه مع غيره من الناس.

– والمجتمع أي مجتمع في تغير مستمر لتغير الزمان والمكان والظروف، والعمل الخطير الجليل الذي تقوم به التربية أي تربية هو أن تمد المجتمع بالقيم الفكرية والثقافية والروحية والخلقية التي تلائم هذه التغييرات المستمرة في حياة المجتمع.

أولاً: تعريف التربية الاجتماعية الإسلامية:

- هذه التربية الاجتماعية الإسلامية؛ سوف أعرفها بمجموعة من النقاط تلقي عليها ضوءًا من جميع جوانبها، على النحو التالي:

١ - هى تربية متوافقة مع القيم والمعايير الإسلامية:

وذلك أنها تستهدف إعداد الأفراد والأسر والجماعات والمجتمع،لكى يسهموا فى الأنشطة الاجتماعية العديدة إسهامًا فاعلاً مؤثرًا قادرًا على التغيير الاجتماعى نحو الأحسن الذى يرضى الله تعالى، لأنه أمر به أو ندب إليه فى كتابه الكريم أو فى سنة الرسول الخاتم ﷺ.

وهؤلاء الناس الذين تريد التربية الاجتماعية الإسلامية أن تربيهم، إنما تريد أن تربيهم وفق قيم الإسلام ومعاييره، بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم وأوطانهم ولغاتهم وثقافاتهم، لأن كلا منهم إنسان والله تعالى قد كرم الإنسان وفضله على كثير من خلقه ورزقه من الطيبات.

- وقد جاء الإسلام فى التربية الاجتماعية بمنهج يتجاوز بل يعلو ما كان سائدًا فى المجتمعات القديمة، يوم كان المجتمع يقوم على نظام الأسرة أو القبيلة، أو كان يقوم على نظام القوميات والعرقيات كما هو الآن -فى الغرب والشرق على السواء - وإنما قام منهج الإسلام فى التربية الاجتماعية على نظام الوحى الإلهى من كتاب وسنة، ونظام الوحى الإلهى لا يفرق بين الناس لعرق أو لون لأنهم جميعًا عباد الله تعالى، فهو نظام يحقق الوئام الاجتماعى بين الناس جميعًا ما داموا مؤمنين يعملون الصالحات.

٢ - وهى تربية تقوم على التوارث وتواصل الأجيال:

إن التربية الاجتماعية الإسلامية أخذت فى اعتبارها أن أجيال الناس فى حاجة بعضها إلى بعض، فلا السابق من الأجيال يجوز له أن يبخل بخبرته عن اللاحق به من الأجيال، ولا اللاحق بمستغن عن السابق فلابد من التوارث والتواصل.

وقد أخذت التربية الاجتماعية الإسلامية فى اعتبارها كذلك أن منهجًا يقوم على تطبيقه الكبار الذين يضمون إليهم الصغار فى العمل، لكى يتعلم الصغير من الكبير ويدرب الكبير الصغير، فتكتمل منظومة العمل الاجتماعى، وتستمر مكتملة على مراحل الزمان وتعدد أنواع المكان، لأن الأمن الاجتماعى والسلام لا يرفرف على الناس إلا بذلك.

- والتربية الاجتماعية الإسلامية تقوم على نقل هذه المنظومة الحياتية التى جاءت فى الكتاب والسنة إلى الأجيال اللاحقة لأنها تحرك اجتماعى راشد يحقق أهداف المجتمع بما تضمنته منظومته التى جاءت عن طريق الوحى من عناية ورعاية وتربية شاملة للإنسان من كل جوانب شخصيته ومن كل نواحى حياته، وما دعت إليه هذه التربية بل ما أوجبته من تعلم وعلم وتعليم.

كل ذلك يجب توارثه من جيل إلى جيل فى كل زمان ومكان، مع الالتزام بكل ما جاء فى هذه المنظومة الكاملة من قيم ومعايير.

٣- وأنها ضرورة حيوية للمجتمع المسلم:

التربية الاجتماعية الإسلامية ضرورة حيوية فى المجتمع المسلم، لأننا عند التدقيق والتحقيق لا نستطيع أن نتصور مجتمعًا بغير تربية، ولا نتصور تربية بعيدة عن التطبيق فى المجتمع، ولأن الإسلام هو الدين الخاتم الذى أتمه الله وأكمله ورضيه دينا لعباده، فلا يمكن تصور الكمال والتمام فى الدين دون أن يكون له نظام تربوى عام كامل تام كذلك بل مرضى عنه من الله تعالى، ودون أن يكون له نظام اجتماعى كامل تام كذلك.

- إن التربية الاجتماعية الإسلامية لم تستهدف مجرد رفض ما كان سائدًا فى المجتمع الجاهلى من نظم اجتماعية ظالمة -وإن كان ذلك من أهدافها- وإنما استهدفت وضع نظام تربوى اجتماعى قادر على أن يخلص المجتمع من كل عيوبه وانحرافاته، وأن يمد الناس بنظام تربوى يكفل لهم تحقيق حاجاتهم المعنوية والمادية ما دامت مشروعة، ومعنى مشروعيتها أن تخلو من كل ما يلحق بالناس ضررًا أو ظلمًا أو هضمًا لحق من الحقوق التى كفلها الإسلام.

وأما حاجات الإنسان المادية فإن الإسلام وضع لها نظامًا خاليًا من الصراع مع حاجاته المعنوية أو مع أى قيمة من قيم الإسلام، وذلك أن النظام التربوى الاجتماعى الإسلامى يضع فى اعتباره واقع الإنسان ولا يتجاهل ما فطر الله الناس عليه من رغبة فى تلبية هذه الحاجات فى إطار الشرعية الإسلامية.

٤- وأنها تربية تستهدف التوازن بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع:

فقد دأبت أنواع من التربية التى سبقت النظام التربوى الإسلامى على أن تغلب صالح الفرد على صالح المجتمع حينًا، أو أن تغلب صالح المجتمع أو الحكام على صالح الفرد، وهذه وتلك من الأخطاء والظلم وهضم الحقوق.

أما التربية الاجتماعية الإسلامية فلا تقبل أن تربى الفرد ليكون فى خدمة المجتمع وفى خضوع ذليل له، وإنما تربيه ليسهم فى بناء المجتمع على أن يكون له على المجتمع حقوق تقابل واجباته نحو المجتمع، وذلك من منطلق أن الفرد والمجتمع كليهما متضامنان فى أداء الواجبات وممارسة الحقوق، بل متساويان فى ذلك على الدوام، وكل إخلال بواجب من

الطرفين فإنه هضم لحق، وهو فى الوقت نفسه جريمة يعاقب عليها النظام التربوى الإسلامى، ويضع لها جزاء يضاهى حجم الجريمة ونوعها.

٥- وأنها ليست عمل سلطة أو حاكم فى محكوم:

إن التربية الاجتماعية الإسلامية لا تحقق أهدافها بوساطة القمع والسيطرة وسطوة الحاكم وسلطانه، وإنما تحققها من خلال اقتناع المجتمع أفرادًا وأسرًا وجماعات بجدوى هذه التربية وضرورتها للناس، وإيمان الناس بها وبما تبثه فيهم من قيم.

- إن هذه التربية الاجتماعية الإسلامية حين تكون نابعة من قلوب الناس وعقولهم ومنعكسة على سلوكهم أعمالاً صالحة، فإن هذا أكبر ضمان لها لكى يمارسها الناس عن حب واحترام، وذلك أن السلطة مهما تكن قوية أو ضاغطة فلن تبلغ مبلغ قوة الفرد والأسرة والمجتمع فى الأخذ بمعطيات هذه التربية.

إن كل حقبة من الأحقاب التى يعيشها الفرد أو الأسرة أو المجتمع ينوط الإسلام بها وجوب حمل هذه التجربة الاجتماعية الإسلامية ونقلها للأحقاب التالية تقربًا بذلك إلى الله تعالى.

وما وظيفة الحاكم أو صاحب السلطة إلا المحافظة على هذا النظام وحمايته من المعوقات والأضرار، على أن يقوم الحاكم نفسه والسلطة المحيطة به بحمل هذه التجربة ونقلها بأمانة لمن يأتى بعده من أصحاب السلطة والنفوذ.

٦- وأنها تربية مستمرة لا تعرف التوقف:

التربية الاجتماعية الإسلامية تقوم على الاستمرارية ما دامت على الأرض حياة، لأن بابها هو العلم، والعلم مطلب أسمى مهما بعد مكانه، تأسيًا بالرسول ﷺ فيما قال فيما يرويه ابن عبد البر بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم**».

- واستمرارية التربية الاجتماعية أن يستمر التعلم مع التربية ليشمل الكبار بعد الصغار، ولتستبدل المساجد بالمدارس والجامعات. ليفيد من ذلك الكبار كالصغار سواء بسواء.
- ومن نظر فى القرآن وفى السنة علم بل أيقن أن آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية ومواقفها تربى المسلمين على التعلم من المواقف والأحداث والقصص، ولنتأمل الآيات

القرآنية الثلاث عشرة التي طالبت الناس بالسير في الأرض لأخذ العبرة كقوله تعالى:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧](١).

إن التربية الاجتماعية الإسلامية في وقتنا هذا يجب أن تُستنفر لها وسائل الإعلام وأجهزته لتمارس في الناس التربية من خلال ما تقدم لهم من مواد إعلامية.

٧- وأنها تربية واسعة الأفق رحيبة النظر:

إنها تربية اجتماعية للإنسان كل الإنسان، لا للمواطن في وطن بعينه، ولا لقوم دون غيرهم، لا لأهل ثقافة دون سواهم؛ فهي تربي الإنسان ليتواءم مع أي إنسان في أي وطن، حيث تجمع بينهما قيم ومعايير ثابتة جاء بها وحي الله الذي لا يفرق بين عباده إلا بالإيمان والكفر والتقوى والفجور.

- إن التربية الاجتماعية الإسلامية تربية عامة واسعة الأفق، رحيبة النظرة للإنسانية كلها، لا تعرف حدوداً ولا قيوداً؛ إذ تعتبر ميدان عملها هو العالم كله من أقصاه إلى أقصاه، لأن الله تعالى رب العالمين، ولأن الرسول الخاتم ﷺ أرسل رحمة للعالمين، وبشيراً ونذيراً للعالمين، وبعث لكل أحمر وأسود أي لجميع الناس وخُتم به النبيون.
- ومع هذه الرحابة والسعة فهي ليست ثورة تمثل ضغطًا أو إكراها للناس على الدخول في الإيمان بالله وطاعته، وإنما شعارها: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ..﴾ [البقرة:٢٥٦]. وحرية الدخول في الإيمان أو رفضه مكفولة بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ [الكهف: ٢٩].

ثانيًا: مصادر التربية الاجتماعية الإسلامية ومراجعها:

- أما مصادرها فمتركزة في مصدرين اثنين هما:

- القرآن الكريم:

فقد جاءت فيه آيات كثيرة تتضمن مفردات التربية الإسلامية كلها، ومنها التربية

---

(١) هذه الآيات الكريمة هي:

- الأنعام: ١١.	- يوسف: ١٠٩.	- النحل: ٣٦.	- الحج: ٤٦.
- النمل: ٦٩.	- العنكبوت: ٢٠.	- الروم: ٤٢.	- الروم: ٩.
- فاطر: ٤٤.	- غافر: ٢١.	- غافر: ٨٢.	- محمد: ١٠.

الاجتماعية، وليس من المبالغة فى شيء؛ القول بأن القرآن الكريم كله ما خلا فى سورة من سوره من قيمة تربوية معلمة للناس روحية أو خلقية أو عقلية أو بدنية أو دينية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو جهادية أو جمالية.

- **والسنة النبوية المطهرة:**

بوصفها شرحًا وتفصيلاً وبيانًا للقرآن الكريم، بل إضافة أحيانا لما أجمله القرآن الكريم أو تركه الله تعالى ليبينه رسول الله ﷺ، السنة كلها من أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته مصدر ثان للتربية، وليس من المبالغة كذلك القول بأن السنة كلها ما تخلو من مواقف تربوية عامة أو تفصيلية، ولا تخلو من القيم الإسلامية بحال من الأحوال.

- وأما مراجع التربية الاجتماعية الإسلامية فكثيرة منها:

- التراث الذى خلفته الأجيال السالفة من فهمهم لمنهج الإسلام فى التربية الاجتماعية الإسلامية استنادًا إلى مصدريه الكتاب والسنة النبوية المطهرة.
- والتفسيرات والشروح التى اهتدى إليها علماء السلف وهم يوضحون أبعاد المنهج الإسلامى فى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وقد بذلوا فى ذلك جهودًا رائعة جزاهم الله عنها خيرًا.
- وما يمكن أن يهتدى إليه علماء الإسلام فى مجالى علم التربية وعلم الاجتماع فى أى عصر من العصور، من شروح وتفسيرات لمناهج التربية والاجتماع بشرط أن يكونوا من أهل الاختصاص وأن يكون هدفهم إحقاق الحق وتقريب فهمه للناس.

- وإذا كانت التربية الاجتماعية الإسلامية تقوم على حل مشكلات الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع، فإن فى مصدرى الإسلام الرئيسين الكتاب والسنة يمثلان حلاً صحيحًا لكل مشكلة من هذه المشكلات، وأؤكد ذلك بكلمة للإمام الشافعى رحمه الله تعالى هى: « . . فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا فى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها».
- وعندما نقول اليوم: «الإسلام هو الحل» يعترض علينا المعترضون ويتربص بنا العلمانيون، ويستبد بنا الظالمون!!! ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، غير أننا سنقول ذلك ونعمل به إلى يوم الدين ولن يصيبنا فى سبيل ذلك إلا ما كتب الله لنا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثالثًا : التعريف ببعض المصطلحات فى التربية وفى الاجتماع :

وسوف أرتبها هجائيًا لتيسير الوصول إليها، وهى :

١ - اجتماعى :

وهو كل ما يتعلق بالعلاقات التى تتبادل بين الأفراد، أو بين الجماعات، وهى فى معظمها علاقات شخصية قامت على الاتصال بين الناس والمناقشة والحوار والمعايشة والاقتراب من الآخر أو مشاركته أو التعاون معه.

- ودين الإسلام وتربيته الاجتماعية تقوم على أن الناس قد خلقهم الله تعالى ليتعارفوا ويتفاهموا ويتآلفوا ويتآمروا فيما بينهم بالمعروف ويتناهوا عن المنكر، ويتعاونوا على البر والتقوى.

٢ - الإصلاح الاجتماعى :

هو الحركة العامة التى يقوم بها بعض الناس فى محاولة للقضاء على المساوئ الاجتماعية، التى تنشأ عادة من خلل فى وظيفة أى وحدة اجتماعية، أو من خلل فى أى وظيفة تدخل فى النسق الاجتماعى كله.

والإصلاح الاجتماعى مفهومه واسع يشمل كل عمل اجتماعى يستهدف تحقيق القيم الاجتماعية من خلال القيام بالأعمال الاجتماعية التى تحقق صالح المجتمع.

- والإصلاح الاجتماعى فى التربية الإسلامية يضم عملين جليلين هما : دفع الضرر عن الناس وجلب المنفعة لهم، ويتفرع عن كل منهما عشرات التفريعات، نذكر منها :

أما فى مجال رفع الضرر عن الناس فمنه :

- رفع الظلم عن المظلومين ومناصرتهم حتى يصلوا إلى حقوقهم.

- والعمل على مقاومة الفقر والعجز والحاجة والجهل.

- ورفع المعاناة التى تقع عليهم من تكبر الغنى والقوى وتجبره، وذلك باحتوائهم ومعاونتهم والأخذ بأيديهم حتى تذوب - أو تكاد - هذه الفوارق الطبقية التى تقوم على التعالى والغرور.

وأما فى مجال جلب المنافع للناس فمنه :

- العمل على تحقيق العدل والمساواة بين الناس فى وقوفهم أمام القانون.
- والعمل على تحقيق تكافؤ الفرص أمامهم فى : العمل والكسب والتعليم والصحة والإسكان.
- والعمل على أن تُكفل لهم حقوقهم وحرياتهم الشخصية والسياسية والاقتصادية، وأن توزع أعباء الإنفاق عليهم وعلى الأغنياء بالعدالة والإنصاف.

٣- الاقتصاد الاجتماعى:

هو فرع من فروع الاقتصاد التطبيقى، وهدفه دراسة الأسباب الاجتماعية الناشئة أو المترتبة على السلوك الاقتصادى، وفى الوقت نفسه فإن الاقتصاد الاجتماعى يبحث عن النتائج المترتبة على هذا السلوك الاقتصادى.

- ومن الموضوعات التى يدرسها الاقتصاد الاجتماعى؛ الوسائل التى من شأنها أن تخفف وطأة المظالم الاجتماعية، وتحسن أحوال الناس، ولذلك فهو يتصل اتصالاً وثيقًا بالعدالة وبالمبادئ الخلقية والقيم.
- والتربية الاجتماعية الإسلامية تسخر الثروة بكل أنواعها لتخفيف وطأة المظالم كلها، وتجعل الإنفاق فى سبيل الله تعالى إحدى الوسائل الفعالة لدفع الحاجة عن الفرد والمجتمع فى السلم والحرب على السواء.

والإسلام من أجل مقاومة المظالم يشرع الزكاة بكل أنواعها، ويشرع الصدقات تقربًا إلى الله تعالى وازدياداً فى الخير، والإسلام يلزم الأغنياء بدفع الزكاة إلى مستحقيها، ويحدد مستحقيها، ويندب المسلمين إلى أن يكون خلق التصدق من أخلاقهم الثابتة، ويطالب بدفع الحاجة عن المحتاج وغوث اللهيف وعون كل صاحب حاجة، وليس بعد هذا ما هو أحسن ولا أكمل من تنظيم الإسلام للاقتصاد عمومًا وللاقتصاد الاجتماعى على وجه الخصوص.

٤- الإنسان الاجتماعى:

الإنسان الاجتماعى هو الإنسان الذى يقدر الانتماء ويحتاج إليه ويبحث عنه، ويرغب فى الاندماج فى مختلف الجماعات والجمعيات ما دامت جماعات وجمعيات مشروعة، وما دام اندماجه فيها لا يعود عليه بضرر في دينه أو دنياه.

وأهم هذه الجماعات التى يجب أن ينتمى إليها الفرد المسلم ويندمج فيها ويمارس أعمالها هى:

- الأسرة الصغيرة أو الكبيرة أو الممتدة.
- والمسجد وما يجرى فيه من عبادة وثقافة وتعارف بالمسلمين.
- والمدرسة بكل أنواعها، لأنها مجال التعليم والعلم والمعرفة.
- والأندية بمختلف أنواعها رياضية وثقافية واجتماعية وعلمية.
- والنقابات بوصفها تجمعات مهنية يتعلم منها آداب مهنته وقيمها الخلقية، ويتخذها وسيلة للمطالبة بحقوقه وحقوق مهنته ضد كل ظالم أو مستبد.
- والجيران والأصدقاء فهم العدة والعتاد والرفقاء فى طريق الحق، ومقاومة الباطل وأهله.

● والتربية الاجتماعية الإسلامية لا تعرف هدفًا بعد عبادة الله تعالى وحده أنبل من أن تربى إنسانًا اجتماعيًا، مألوفًا يحب الناس ويحبه الناس، رفيقًا كريمًا متعاونًا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويزرع الخير فى الناس، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه.

وقد استطاع الإسلام أن يصوغ ممن كان يعبد الأصنام إنسانًا اجتماعيًا ينشر دين الحق فى الناس وفى الآفاق، ويفتح البلاد ويخلص الناس من عبادة العباد، وينشر فى كل أرض العدل والخير والهدى.

٥- الأهداف الاجتماعية:

هى الرغبات أو النتائج التى يريد الناس أو المجتمع الوصول إلى تحقيقها والاستئناس بها والتنعم بحيازتها.

وهذه الأهداف أو الرغائب المأمول الوصول إليها تقتضى من الإنسان والجماعة والمجتمع القيام بإجراءات عديدة، والتعامل بوسائل متنوعة لتحقيقها، وإن اقتضى ذلك تغييرًا اجتماعيًا لكثير يعهده الناس ويألفونه، ولكنه تغيير مشروع بأساليب مشروعة لا تخالف شيئًا من دين الله.

وهذا التغيير الاجتماعى يعنى كل تحول يقع فى التنظيم الاجتماعى، سواء أكان هذا التغيير فى بناء التنظيم نفسه أو فى وظائفه، خلال فترة معينة طالت أو قصرت.

وهذا التغيير الاجتماعى يطلق كذلك على أى تغيير فى التركيب السكانى للمجتمع، أو فى بنائه الطبقى أو نظمه الاجتماعية، أو أنماط العلاقات الاجتماعية، أو فى القيم والمعايير التى تؤثر فى سلوك الناس، وتحدد مكانتهم ووظائفهم فى مختلف التنظيمات الاجتماعية التى ينتمون إليها.

● والتربية الاجتماعية الإسلامية تقيم أكبر وزن لهذه الأهداف حتى إنه يشترط للوصول إليها أن تكون مرضية لله تعالى وغير معارضة لمنهجه وغير مشتملة على ضرر أو إضرار، كما يشترط لصحة هذه الأهداف وسلامة الوصول إليها أن تصحبها النية الحسنة وأن يحدوها الإخلاص فى القول والعمل، وأن تكون جالبة النفع لعباد الله أو دافعة للضرر عنهم، فهى عند التحقيق: أهداف موظفة لتحقيق مصالح الدين والدنيا.

٦- التاريخ الاجتماعى:

هو دراسة تطور العلاقات الاجتماعية التى تجرى بين إنسان وآخر فى ظل التفاعل والاستجابة بين الطرفين، وهى علاقات تمثل ضرورة اجتماعية، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخر، بل لا يستطيع أن يحقق أهدافه وهو بمنأى عن الآخر، وتلك من سنن الله فى خلقه.

كما أن التاريخ الاجتماعى يعنى بدراسة النظم الاجتماعية، ودراسة المتغيرات التى تحدث فى المفاهيم الاجتماعية والقيم والمعايير الاجتماعية.

● والتاريخ الاجتماعى -حديثًا- فرض نفسه، وأصبح موازيًا للتاريخ السياسى الذى كان الناس يقتصرون على الاهتمام به أكثر من سواه، لأنهم كانوا يؤرخون للحكام والحكومات والدول.

● والتربية الإسلامية عمومًا تعنى بتاريخ كل الجوانب التى تتصل بحياة الإنسان، وبجميع مفردات هذه الحياة، روحية كانت أو خلقية أو عقلية أو بدنية أو دينية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو جهادية أو جمالية.

٧- التأمين الاجتماعى:

هو نظام يهدف إلى الاحتياط من نتائج المخاطر الاجتماعية التى يتعرض لها العمال الذين لا يتمكنون من مواجهة هذه المخاطر بمفردهم لضعف إمكاناتهم المادية أو المالية.

● وهذه المخاطر نوعان:

– نوع له مخاطر فى مجالات العمل كإصابات العمل، وأمراض المهنة.

– ونوع له مخاطر عامة مشتركة بين العمال وغيرهم، كالمرض والعجز والشيخوخة والبطالة والوفاة.

● والتأمين ضد هذه المخاطر له أنواع عديدة منها:

– التأمين ضد مخاطر العجز عن العمل.

– والتأمين ضد مخاطر فقد العمل «البطالة».

– والتأمين ضد مخاطر الشيخوخة.

– والتأمين ضد مخاطر المرض.

– والتأمين ضد متاعب المعاش.

– والتأمين ضد ما يترتب على الوفاة.

– والتأمين ضد مشكلات الورثة بعد وفاة عائلهم.

● وهذه الأنواع من التأمين تقوم بها الحكومة أصلاً، ويمكن أن تقوم بها الجمعيات الأهلية والجماعات المنتمية إلى مهن بعينها «النقابات»، وقد يقوم بها بعض الأفراد القادرين على نوع منها أو أكثر.

● والإسلام يوجب كل أنواع التأمين على الحكومة، فإن امتنعت عن ذلك فإنها تفقد صفتها واعتبارها، لكن يندب الإسلام الأفراد والجماعات والجمعيات إلى معاونة الحكومة فى ذلك.

بل إن الإسلام يزيد على أنواع التأمين التى ذكرنا تأمين حقوق الإنسان وحرياته، وتأمين المرافق العامة للناس، وتأمين الخدمات التى يجب أن تقدم لهم، أى تأمين كل ما يحتاج إليه الإنسان فى حياته لكى تكون حياته حياة إنسانية كريمة.

٨– التخلف الاجتماعى:

هو تقهقر المجتمع وجموده، أو سيادة الاتجاهات الرجعية فى أفراده.

● وتتشعب عوامل التخلف الاجتماعى، وتتداخل بعضها مع بعض، حتى يمكن أن يعتبر كل منها سبباً ونتيجة فى نفس الوقت.

● ومن أهم عوامل التخلف الاجتماعى :

– انتشار العادات والتقاليد البالية والضارة .

– وهبوط مستوى الثقافة والمعرفة الفنية .

– وشيوع الأمية وانتشار الجهل وقصور التعليم وتخلفه .

– واضطراب القيم واختلال المعايير .

– وانخفاض مكانة المرأة والطفل فى المجتمع .

– وعدم رعاية الشيخوخة .

– وعدم رعاية اليتامى والأرامل .

– وتجاهل أصحاب الحاجات المادية أو المعنوية .

– وانخفاض مستوى الرعاية الصحية .

– ووجود أزمة فى العمل والإسكان .

– وانتشار الفساد فى الإدارة الحكومية .

● والإسلام بتشريعاته كلها يعلن حربًا ضارية على كل أنواع التخلف الاجتماعى، ويؤثم ويجرم كل أسباب التخلف ويعمل على إزالتها من المجتمع .

وفى الوقت نفسه فإن الإسلام بجميع تشريعاته دعوة للتقدم والرقى والعلم فى كل مجال من مجالات الحياة الإنسانية .

٩- التربية :

هي نظام اجتماعى يحدد الأثر الفعال للأسرة والمدرسة فى تنمية النشء من النواحى الجسمية والعقلية والأخلاقية، حتى يمكنه أن يحيا حياة سوية فى البيئة التى يعيش فيها .

● ويمكن اعتبار التربية عملية عامة لتكييف الفرد ليتلاءم مع تيار الحضارة الذى يعيش فيه، وبهذا تصبح التربية عملية خارجية يقوم بها المجتمع لتنشئة الأفراد ليسايروا المستوى الحضارى العام .

● والتربية الإسلامية تعنى بإعداد الإنسان إعدادًا عامًا شاملاً يتناول كل جانب من جوانب حياته الروحية والخلقية والعقلية والجسدية، وكل جوانب حياته الدنيوية، وما يرتبط بها

من علاقات ومصالح، كما تعنى التربية الإسلامية بإعداد الإنسان لحياته الأخرى التى هى الحياة الحقة الأبدية الخالدة.

والتربية الإسلامية بعنايتها بإعداد الإنسان للدنيا والآخرة، تتميز عن كثير من أنواع التربية.

١٠- التربية الاجتماعية:

هى التربية التى تساعد فى إعداد الأفراد والأسر والمجتمع ليستطيعوا الإسهام فى الأنشطة الاجتماعية المتعددة، إسهامًا فعالاً؛ يشارك فى حل المشكلات الاجتماعية، وذلك يقوم على التعاون وبذل الجهود.

- والتربية الاجتماعية الإسلامية وهى موضوع هذا الكتاب لها أهداف سبعة -سنوضحها فى هذا الكتاب- ولها وسائل لتحقيق هذه الأهداف، ومرتكز التربية الاجتماعية الإسلامية هو الأسرة بعد الفرد -كما سنوضح ذلك أيضًا- بإذن الله تعالى.
- والتربية الاجتماعية الإسلامية إحدى مفردات عشر تقوم عليها التربية الإسلامية عمومًا، وهذه المفردات العشر هى موضوع سلسلتنا: «مفردات التربية الإسلامية».

١١- التشريع الاجتماعى:

هو الأحكام المقننة التى تصدرها السلطة التشريعية مستهدفة بذلك توضيح وتقرير حقوق الأفراد الاجتماعية مثل حق التعليم وحق الرعاية وحق العمل والكسب وحرية التنقل والعدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعى وغيرها.

- كما يستهدف التشريع الاجتماعى إقرار المساواة بين الناس فى تمتعهم بحقوقهم، وتقليل الفروق بين طبقاتهم إلى الحد المعقول.
- وفى الإسلام نجد التشريعات الاجتماعية عديدة ومتنوعة لم تدع جانبًا من جوانب الحياة الاجتماعية إلا وضعت له تشريعًا يكفل الحق لصاحب الحق ويلزمه بأداء واجبه.

وآيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية حافلة بهذه التشريعات الاجتماعية مثل:

- تشريع الزواج والطلاق والظهار واللعان والخلع، والنفقات، فى جانب الأسرة والأقارب والأرحام.
- وتشريع الميراث والوصية والهبة.

– وتشريعات عديدة فى الأموال؛ طرق امتلاكها ووسائل إنفاقها والجهات التى تنفق فيها.

– وتشريعات الزكاة بأنواعها مالاً وعقاراً وحيوانًا وزروعًا وثماراً، وصدقات.

– وتشريعات المعاملات المتعددة.

– وتشريعات الجهاد والحرب والأسرى والفداء.

– وتشريعات التعامل بين الناس مسلمين وغير مسلمين.

وكلها تشريعات يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، وبها يكون المجتمع آمنا مطمئنًا على معاشه ومعاده.

١٢– التضامن الاجتماعى:

هو عملية التعاون والتساند والتآزر بين الأفراد والجماعات، بحيث يتبادل هؤلاء المتعاونون المتساندون المتآزرون اعتماد بعضهم على بعض، كما يظهر ذلك كثيراً فى الحياة الاجتماعية، على مستوى الأفراد والأسر والجماعات والمجتمع كله.

● ولهذا التضامن الاجتماعى معنى تشريعى، إذ يستخدم غالبًا للإشارة إلى تضامن الفرد مع جماعته في المسئولية.

وينقسم التضامن الاجتماعى إلى قسمين:

– تضامن عضوى:

ويطلق على الظاهرة التى تسود مجتمعًا يقوم على أساس تقسيم العمل الذى يتطلب تعاونًا وتساندًا بين أفراده.

– وتضامن آلىّ:

ويطلق على الظاهرة التى تسود مجتمعًا تقليديًا يتميز بتجانس القيم والسلوك الذى يسود أفراده.

● والإسلام جاء بهذا التضامن الاجتماعى على أحسن صوره التى تكفل لأفراد المجتمع كله أن يستظلوا بمظلة الضمان الاجتماعى، بل إن الإسلام جاء بما هو أعلى من التضامن الاجتماعى وهو التكافل كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ**

دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ١٩-٢٥].

١٣- التفاعل الاجتماعى:

هو عبارة عن عمليات اجتماعية تتضمن عديداً من المواقف التى تجرى بين الناس سواء أكانت إيجابية أم سلبية.

- فمن المواقف الإيجابية فى التفاعل الاجتماعى:

التعاون، والتوافق، والتكيف، والتدرج الطبقى، إذ كل ذلك تفاعل فى صالح المجتمع.

- ومن المواقف السلبية فى التفاعل الاجتماعى:

التخصص، والتمايز، والتنافس، والصراع، وهذه التفاعلات إن خضعت للقيم الصحيحة فى المجتمع فهى فى صالحه، وإلا فهى من السلبيات التى تضر به.

- والتفاعل الاجتماعى بنوعيه الإيجابى والسلبى هو من صميم العمليات الاجتماعية، بل من ضروريات المجتمع الذى لا يخلو منها بحال من الأحوال.
- والإسلام يقر التفاعل الاجتماعى ولكنه يرشده ويذكر المسلمين دائماً بأنهم إخوة، وبأنهم كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضاً، وبأنهم أمة من دون الناس، فليكن التفاعل فيما بينهم مسترشداً بهذه المعانى النبيلة.

١٤- التفكك الاجتماعى:

هو عدم كفاءة النسق الاجتماعى فى تحديد مراكز الأفراد، وما يجب أن يقوموا به من عمل يحدث ترابطًا فى المجتمع، أو هو فشل النسق الاجتماعى فى إحداث هذا الترابط فى المجتمع.

وهذا النسق هو التنظيم الذى يجب أن يسود الأفعال الصادرة من مجموعة معينة من الناس بينهم صلات متبادلة.

- وما لم يُحدث النسق أو التنظيم الاجتماعى التحديد لمراكز الأفراد وأعمالهم، وما لم يحدث الترابط بينهم، يكون التفكك الاجتماعى.
- والإسلام له تنظيمه الذى يوضح لكل إنسان عمله بل يلزمه به، ويعاقبه على تركه ويدعوه إلى التعاون والتآلف والترابط.

ويحذر الإسلام من التفكك والفرقة والاختلاف فضلاً عن الصراع، فقد روى أحمد بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ... التحدث بنعمة الله تعالى شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب ».

وروى أحمد بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ... أذهبتم من عندى جميعاً، وجئتم متفرقين، إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة ... »

١٥- التفويض الاجتماعى:

يتم هذا التفويض الاجتماعى عن طريق الأخذ بنظام المشاركة فى العمل، وصورته أن يشرك الرئيس لعمل مّا مرءوسيه فى بحث مشكلات العمل والعاملين بأن يفوضهم فى ذلك، فذلك هو التفويض الاجتماعى، ويكون الرئيس مسئولاً عن عمل من فوضه ويكون المفوض مسئولاً أمام رئيسه.

- والتفويض نوعان:

– تفويض رسمى فى المجالات التنظيمية.

– وتفويض اجتماعى فى ميادين عديدة.

وكلا التفويضين لا يضعف سلطة الرئيس المفوض، بل يعززها، وكلاهما يعتبران من مظاهر عدم استبداد الرؤساء.

- والتفويض فى الإسلام معروف وهو من سلطة الإمام يفوض من يشاء لما يشاء -بشرط الإخلاص والصلاح- ومن فوضه الإمام فهو وزير تفويض له، ولهذا الوزير أن يقوم بأعمال الإمام أو الرئيس ويكون مسئولاً أمامه- وفى ذلك تفصيل فى كتب الفقه الإسلامى- والتفويض كالوكالة مع فروق دقيقة بينهما تلتمس فى كتب الفقه.

١٦- التكيف الاجتماعى:

هو عملية اجتماعية تتضمن نشاط الأفراد أو الجماعات وسلوكهم، بحيث يهدف إلى الإنسجام والتلاؤم على مستوى الفرد والفرد، وعلى مستوى الأفراد وبيئتهم التى يعيشون فيها، أو بين الجماعات فيما بينهما بحيث يتحقق بين الجماعات تكيف وانسجام.

- والتكيف ضرورى للأفراد والجماعات والمجتمع كله، حتى ينسجم الناس مع ما يسود مجتمعهم من قيم ومعايير، بل من آراء وعادات وأذواق، بل ما يسوده من توجهات واتجاهات، لأن الحياة الاجتماعية لا يثريها شىء مثل التكيف والتلاؤم والانسجام.

● والإسلام يدعو إلى الوئام والإنسجام والتكيف، بل يتجاوز هذا التكيف إلى التواد والتراحم والتآزر والتكافل، بل يتجاوز كل ذلك إلى إعلان الأخوة بين المسلمين، وما توجبه هذه الأخوة من حقوق وواجبات دونهما كل تكيف نادى به علماء الاجتماع.

١٧- التماسك الاجتماعي:

هو استقرار النظام الاجتماعي على مستوى الأسرة، وعلى مستوى المجتمع، مع توافر التضامن بين أفراد المجتمع والجماعات التي فيه.

وهذا التماسك الاجتماعي يظهر في تحديد مراكز الأفراد وتحديد أعمالهم في المجتمع ومدى ترابطهم بشكل يوصلهم إلى تحقيق أهدافهم الاجتماعية بصورة مُرْضية.

ومن معاني التماسك الاجتماعي حسن التنسيق بين الوحدات العديدة التي يتكون منها المجتمع بحيث تؤدي وظائفها على الوجه الصحيح الذي يسهم في تحقيق الأهداف.

● والإسلام يعبر عن هذا التماسك الاجتماعي بصور عديدة كالتعاون والتناصر والولاء والتضامن والتكافل ونحوها من صور التماسك والتآزر بين المسلمين، ويجعل ذلك واجبًا حينًا ومندوبًا مستحبا حينا آخر، بحيث لو قام المسلمون بهذا التماسك الاجتماعي كانوا كما وصفهم الرسول ﷺ فيما رواه أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مُشدهم على مضعفهم، ومسرعهم على قاعدهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده».

١٨- التنشئة الاجتماعية:

هي العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل.

أو هي الطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يتمكنوا من المعيشة في مجتمع له ثقافة معينة.

- ويدخل في التنشئة الاجتماعية ما يعلمه الآباء لأبنائهم أو يلقنونه لهم، كما يدخل فيها ما يقوم به المسجد من توجيه ونصح وتعليم، وما تقوم به المدرسة من تعليم وتربية، بل ما يعلمه المجتمع للأفراد والجماعات والأسر من: دين، وقيم ومعايير، ومعارف ومعلومات ومهارات، ونحوها مما يُعلَّم أو يُلقن أو يدرب عليه.

● والإسلام أو التربية الاجتماعية الإسلامية تضع هذه التنشئة الاجتماعية فى مقدمة أعمالها وتوليها من الأهمية أعلى مكانة؛ فهى تلزم الأسرة أن تحسن تنشئة أبنائها وتوجب ذلك على العلماء والمعلمين وكل صاحب خبرة ينقلها إلى ناشئة المسلمين.

وقد تحدثنا بتفصيل عن ذلك فى كتابنا: «تربية الناشىء المسلم» فليعد إليه من أراد الاستزادة.

١٩- الجزاء الأجتماعى:

هو العقوبة أو المكافأة التى يقررها المجتمع فيما يتعلق بسلوك أعضائه أو جماعاته.

وهذا الجزاء الاجتماعى يأخذ صورة الاستحسان فى حالة الامتثال لقوانين المجتمع وتشريعاته وقيمه ومعاييره، وعندئذ تكون المكافأة، وقد يأخذ صورة الاستنكار فى حالة المخالفة لقوانين المجتمع وتشريعاته وقيمه ومعاييره وعندئذ يكون العقاب، بل يستمر لكل مخالف حتى يقلع عن المخالفة ويمتثل.

وهذا الجزاء الاجتماعى يتفق عليه أصحاب الفقه والعلم فى المجتمع ما لم يكن محدداً من قبل.

● والإسلام جاء بنظم وقوانين وتشريعات فى غاية الدقة والشمول والعدالة، بحيث يتناسب كل جزاء مع المخالفة التى ارتكبها المخالف، فضلاً عما يحتمل أن يناله من عقاب فى الآخرة، ويسمى الإسلام الامتثال لقوانينه وتشريعاته طاعة لله ولرسوله وعملاً صالحًا يثيب الله عليه فى الدنيا والآخرة.

كما يسمى عدم الامتثال لأمر الله ونهيه معصية وعملاً سيئًا ويعاقب عليه فى الدنيا، وربما عُوقب عليه فى الآخرة.

والجزاء العقابى فى الإسلام: قصاص، وحدود، وتعزيرات ولكل منها شروطه وآدابه.

٢٠- الحقوق الاجتماعية:

وهى تتمثل فى حقوق المواطنين جميعًا فى الأمور الاجتماعية الحيوية فى حياة الناس أفراداً وأسراً وجماعات، ومنها:

- حق المواطنين فى التعليم الجيد الذى يمكنهم من ممارسة الحياة ويزيل عنهم الجهل والضلالة.

- وحقهم فى الرعاية الصحية وقاية وعلاجا وتداويًا وتمريضًا.
- وحقهم فى فرص العمل الملائم الذى يعود عليهم بما يكفيهم ومن فى ولايتهم ممن يجب الإنفاق عليهم.
- وحقهم فى العدالة الاجتماعية الشاملة التى تتمثل فى التساوى فى الحقوق والواجبات أمام القانون.
- وحقهم فى التأمين الاجتماعى والضمان الاجتماعى، ضد العجز والمرض والشيخوخة واليتم والفقر.

● والإسلام قد كفل هذه الحقوق جميعًا بل زاد عليها الحقوق السياسية والاقتصادية والأدبية، بما لم يسبق إليه فى نظام ولم يلحقه فيه نظام، وقد أفضنا فى توضيح تلك الحقوق ونحن نتحدث عن الهدف الثالث من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية فى هذا الكتاب.

ولا يخفى أن الإسلام قد جعل فى مقابل كل حق واجبًا حتى يحدث التوازن والأمن الاجتماعى.

٢١- الخدمة الاجتماعية:

هى مجموعة الخدمات المهنية أو العمالية المنظمة، أو المجهودات ذات الصبغة الوقائية من المرض والفقر والعجز والبطالة، أو العلاجية التى تؤدى إلى الناس بهدف مساعدتهم أفرادًا وجماعات فى الوصول إلى حياة إنسانية كريمة تسودها العلاقات الطيبة، أو تؤدى إلى الناس بهدف مساعدتهم وتوصيلهم إلى حياة اجتماعية تتلاءم مع رغباتهم وإمكاناتهم، وتتفق مع المستويات الإنسانية والأمانى المشروعة للمجتمع الذى يعيشون فيه.

● وأهم هذه الخدمات هى التعليم والرعاية الصحية والعمل والإسكان والضمان الاجتماعى والعدالة، والتأمينات الاجتماعية.

والأصل فى هذه الخدمات أن تؤدى إلى من يستحقها من الأفراد والجماعات والمؤسسات والمجتمع كله، من خلال أشخاص مهنيين أعدوا للقيام بأداء هذه الخدمات على نحو جيد، وأن تؤدى على المستوى اللائق بكرامة الإنسان.

● والإسلام جعل أداء هذه الخدمات واجبًا على الحكومة وأجهزتها ومسئوليها من وزراء ومديرين كل منهم فى دائرة اختصاصه، وندب إلى القيام بها القادرين من الأفراد والجماعات والجمعيات، وجعل لأدائها ثوابًا، وأوجب على إهمالها عقابًا.

• والتربية الاجتماعية الإسلامية تعتبر إعداد المرافق العامة فى المجتمع من صميم الخدمات التى يجب أن تؤدى إلى الناس، مع تطور الحياة وتغير المرافق فيها وفق هذا التطور، وعلى سبيل المثال: فإن شبكة المواصلات وشبكة الاتصالات أصبحت مرفقًا عامًا يجب أن تؤدى فيه الحكومة الخدمات التى تيسر على الناس استعمال هاتين الشبكتين، وكذلك شبكة المعلومات، لأن الناس مع هذه التطورات والتغيرات تتغير مصالحهم ويصبحون فى حاجة إلى هذه الخدمات الاجتماعية.

٢٢- الدفاع الاجتماعى:

هو أعمال وإجراءات تقوم بها الدولة والمجتمع ضد الانحراف أو التحدى أو التعويق لأداء الواجبات الأساسية التى تقع على عاتق الفرد أو الجماعة أو المجتمع.

وهذه الأعمال والإجراءات تقتضى اتخاذ ما يمكن من الوسائل لحماية المجتمع كله من هؤلاء المنحرفين أو المجرمين، ولتأمين الأفراد والجماعات والمجتمع من خطر هذا الانحراف المعوق عن أداء الواجب أو المانع من أدائه، بشرط أن تكون وسائل المنع مشروعة أى لا تتضمن ظلمًا لأحد.

• ومن وجهة نظر التشريع الإسلامى يمكن اعتبار الدفاع الاجتماعى هو النهى عن المنكر، بل إن تعبير النهى عن المنكر أقوى فى الدلالة على مقاومة الانحراف والجريمة من تعبير الدفاع الاجتماعى.

• والنهى عن المنكر فى الإسلام جزء مما أمر به الدين من أوامر تعمل على حماية المجتمع وتأمينه، بل لا يعتبر المؤمن مؤمنًا كامل الإيمان إلا إن نهى عن المنكر وفق ما وضع منهج الإسلام من شروط وآداب للنهى عن المنكر.

• وإذا ضممنا إلى النهى عن المنكر الذى يطهر المجتمع من الآثمين، الأمر بالمعروف الذى يغرس فى المجتمع الفضائل وأنواع الخير والبر، تبين لنا أن الإسلام قد وضع أفضل الوسائل للضبط الاجتماعى الذى يوجه سلوك الأفراد ويسلك بهم السلوك الاجتماعى الإنسانى الذى جاء به الإسلام.

٢٣- الرفاهية الاجتماعية:

هى نسق أو نظام من الخدمات الاجتماعية التى تقوم بها المؤسسات أو الحكومات، مستهدفة بها مساعدة الأفراد والجماعات لكى يصلوا إلى مستويات جيدة مريحة للمعيشة الإنسانية الكريمة التى تليق بالإنسان.

كما تهدف هذه الرفاهية الاجتماعية إلى قيام علاقات اجتماعية سوية بين الأفراد والجماعات عن طريق تنمية روح المودة والتعاون فيما بينهم أفراداً وجماعات ومجتمعاً بأسره.

كما تهدف الرفاهية الاجتماعية إلى تنمية القدرات والمهارات فى مجال ممارسة الأعمال الصالحة النافعة المتفقة مع حاجات المجتمع وتطلعاته المشروعة.

● ومن وجهة نظر التربية الاجتماعية الإسلامية فإن هذه الرفاهية الاجتماعية تعتبر مطلباً من المطالب التى تسعى التربية الاجتماعية إلى تحقيقها فى الناس، بشرط ألا تؤدى بالناس إلى الخمول والكسل، والتراخى والتواكل، وألا تزيد من رغبة الإنسان فى التنعم وفقد الصبر على التحمل إزاء الشدائد.

٢٤ - السلطة الاجتماعية:

هى التحكم والتسلط والسيطرة المصحوبة بالقوة الملزمة، وهذه السلطة أو القوة تستمد أصلاً من القوانين السائدة فى المجتمع، كما تستمد من العلاقات الاجتماعية السائدة بين الناس، ومن خصائص البنيان الاجتماعى ووظائفه.

● وتظهر هذه السلطة فى أشكال عديدة أهمها:

- الجيش وقواته وجنوده وآلياته.
- والشرطة وقيادتها وآلياتها وجنودها.
- وقوات أمن الدولة التى استحدثت بعد قيام الانقلابات العسكرية وتوقع الانقلابات المضادة.
- وأصحاب النفوذ بأموالهم وجاههم وقربهم من الحكام أو تأثيرهم على نظام الحكم.
- وجماعات الضغط الاجتماعى فى المجتمع كرجال الأعمال ورجال الإعلام، والنقابات المهنية اليقظة التى لا تتخذ طريقها فى ركاب الحكومات والحكام.
- والجزاء الاجتماعى لأنه وسيلة من وسائل السلطة الاجتماعية فى أى مجتمع منظم.

● وهناك شروط لممارسة هذه السلطة الاجتماعية منها:

– ممارستها فى صورة عادلة تسوى بين الناس فى الحقوق والواجبات.

– وممارستها عندما يوجد مبرر لها بل مبرر قوى.

– وبعدها عن ظلم الحكام وتحكم مراكز القوى فى المجتمع.

– والتعبير عنها من خلال المؤسسات المختصة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو نحوها من مؤسسات المجتمع.

● والإسلام يجعل لهذه السلطة مصادر لا تصدر إلا عنها، ومن هذه المصادر:

– القرآن الكريم بشرط أن يفهم بغير اعتساف أو تأويل شاذ.

– والسنة النبوية قولاً أو عملاً أو تقريراً.

– والإجماع –أى إجماع علماء المسلمين فى عصر من العصور.

– والقياس فى ضوء شروطه فى الفقه الإسلامى.

تلك المصادر هى التى تستمد منها السلطة الاجتماعية التى يمارسها الحاكم لضبط سلوك الناس وأعمالهم وفق منهج الإسلام.

● والإسلام يطالب كل صاحب سلطة أن يمارسها عند الاقتضاء، ولو قصر فى ممارستها أو أهمل فهو آثم يستحق العقاب لأنه لم يمنع الانحرافات والجريمة بقوة هذه السلطة.

● وأصحاب هذه السلطة فى الإسلام هم:

– الحاكم أو الإمام أو الرئيس، ومن يفوضهم فى القيام بعمل.

– والوزراء وأمثالهم من المسئولين عن المصالح العامة.

– والولى فى ولايته وما استرعى عليه.

– والوالد والوالدة فيما استرعاهما الله على ابنائهما.

– والمعلم فى مجاله، ومع أبنائه من المتعلمين.

– وكل صاحب سلطة مشروعة فى سلطته.

٢٥- الشذوذ الاجتماعى:

هو نشاط أو عمل يقوم به الفرد أو الجماعة للخروج على المألوف أو المصطلح عليه فى

علاقات الفرد بغيره أو علاقات الجماعة بفرد أو جماعة، أو علاقات المجتمع عمومًا.

أو هو عمل أو خطة عمل تؤدى إلى شذوذ فى بناء المجتمع أى الخروج عما يجب أن يبنى عليه المجتمع من قيم ومبادئ.

أو هو عمل يؤدى إلى شذوذ فى وظائف المجتمع، بحيث لا تؤدى ما يناط بها، أو ينتظر منها.

- والشذوذ الاجتماعى دائمًا ضد مصالح المجتمع أفرادًا وجماعات فى الحاضر وفى المستقبل على السواء.
- وعلى الحكومة والمجتمع مقاومة هذا الشذوذ والوقوف ضده لما يتسبب فيه من أضرار تعود على المجتمع والأفراد، وتنحرف بكل ذلك عما يجب أن يكون عليه.
- والإسلام يدين الشذوذ فى كل شىء، لأنه يعتبر الشذوذ خروجًا على الجماعة ومخالفًا لها، وانفرادًا عنها، وهو خروج عن القواعد والأساسيات.

والجماعة فى الإسلام رحمة والفرقة عذاب، وقد أمر الرسول ﷺ بلزوم الجماعة، وأعلن أن يد الله مع الجماعة وأن البركة مع الجماعة، وأعلن أن ترك السنة خروج من الجماعة، ومن فارق الجماعة شبرًا فمات مات على شعبة من النفاق، كل تلك كلمات من أحاديث نبوية شريفة سنذكرها فى حينها.

وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتى -أو قال أمة محمد- على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار».

٢٦- الصراع الاجتماعى:

هو الاتجاه أو العمل الذى يهدف إلى الفوز والانتصار على الأفراد المعارضين والجماعات المعارضة.

أو هو الاتجاه أو العمل الذى يهدف إلى الإضرار بالمعارضين فى أنفسهم أو أموالهم أو ممتلكاتهم أو ذويهم أى بأى شىء يتعلق بهم، بحيث تصيبهم من جهته خسارة وضرر.

- وهذا الصراع الاجتماعى يأخذ أحيانًا: شكل الهجوم على المعارض لهزيمته والإضرار به،

وأحيانًا: يأخذ شكل الدفاع ضد المعارض وضد ما يقوم به من عمل يحقق له مصلحة، أو الوقوف ضد مصالحه.

وقد يكون الصراع الاجتماعي بين أشخاص اعتباريين كالصراع بين الشركات ومراكز القوى.

- وجزى الله شر الجزاء «كارل ماركس» فهو الذى أذكى الصراع ونادى بحتمية الصراع بين الطبقات بين ما نادى به من الأكاذيب والضلالات الشيوعية والاشتراكية، وفسر به التاريخ، ورآه من حتميات الصراع بين مصالح الناس وطبقاتهم مما لم ينكشف زيفه وتناقضه إلا بعد سبعين عامًا عندما انهارت نظرياته كلها على رءوس الشيوعيين والاشتراكيين وأذنابهم وكلاب حراسة هذه المبادئ من بلدان العالم الثالث.

- أما الإسلام فلا يعرف إلا الصراع الأبدى الأزلى بين الحق والباطل، وفى غير ذلك ينادى بأن يحل الوئام محل الخصام والصراع، ويعطف الناس أفراداً وجماعات بعضهم على بعض وينادى عليهم بأنهم إخوة، وأن خيرهم من كان فى عون أخيه لا فى صراع معه.

٢٧- الضبط الاجتماعى:

هو مجموعة الإجراءات المقصودة أو غير المقصودة التى تتخذها الأسرة أو الجماعة أو الدولة لرقابة سلوك الأفراد ومتابعته، والتأكد من أن الأفراد والأسر والجماعات والمجتمع يمارسون أعمالهم وفق النظم والقيم السائدة فى المجتمع، وللتأكد من أن الناس يحكمون على الأحداث والمواقف والأشخاص وفق المعايير الصحيحة التى يلتزم بها المجتمع.

- ويتم الضبط الاجتماعى أو ضبط السلوك فى المجتمع من خلال الدولة أولاً ومن خلال المؤسسات التربوية والإعلامية فى المجتمع ومن ذلك:

– **الأسرة وما تملكه من قوة ضبط لسلوك أفرادها.**

– **والمسجد وما يملكه من قوة توجيه تؤدى إلى ضبط السلوك.**

– **والمدرسة وما لها من قدرات تربوية كثيرة وكبيرة لضبط السلوك.**

– **وأجهزة الإعلام وما لها من تأثير فى ضبط السلوك – لو استقام الإعلام.**

– **والحكومة ومؤسساتها العديدة ومالها من سلطة فى ضبط السلوك –لو استقامت كذلك.**

● والإسلام يضبط سلوك الإنسان من خلال ما يلزمه به من عمل صالح، وما ينهاه عنه من شرور ومنكرات.

ويثيب الإسلام على ضبط السلوك، ويعاقب على عدم ضبطه وفق قوانينه.

٢٨- الضغط الاجتماعي:

هو جهود موجهة نحو الأفراد والجماعات بهدف تعديل سلوكهم للوصول إلى بعض الأهداف المحددة.

ويمارس هذا الضغط الاجتماعي تجمعات من الناس غاضبة من أمر من الامور تريد تغييره، أو تمارسه جماعات ذات نفوذ فى المجتمع -نفوذ مالى أو اقتصادى أو سياسى أو أدبى أو صحافى- من أجل تعديل يتضمن صالح هذه الجماعات.

● وأهم ما يكون الضغط الاجتماعى عندما يمارسه الرأى العام فى المجتمع، وعندما يكون ذلك ضد الحكومات أو الهيئات التشريعية للوصول إلى عمل ما أو إجراء يتصل ببعض المشكلات الاجتماعية.

● والإسلام يدعو إلى ممارسة الضغط الاجتماعى على الحاكم كلما كان ذلك الضغط مؤديًا إلى تحقيق مصلحة عامة للناس فى دينهم أو دنياهم.

● والدعوة إلى الخير المأمور بها فى قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...﴾ [آل عمران: ١٠٤] هى من صميم الضغط الاجتماعى.

وقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا...».

وروى مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وروى أبو داود بسنده عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

٢٩- الضمان الاجتماعى :

هو النظام الذى تضعه الدولة لحماية الأفراد وأسرهم عندما يتعرض بعضهم لإحدى الكوارث، كالزلازل والبراكين، والجفاف، والوباء والطاعون، وكالفيضانات المدمرة ونحوها، بحيث تؤمن لهم الدولة كل الوسائل التى تمكنهم من تجاوز هذه الكوارث وتضمن إمدادهم بما يحتاجون إليه من مأوى وملبس ومطعم ومشرب لكى يعيشوا حياة إنسانية كريمة.

ويجب أن تفعل الدولة ذلك من منطلق أنها تولت الحكم لتكون قادرة على جلب المصالح للناس، وعلى دفع المضار عنهم، وإلا فلماذا يتنازل الناس للحكومات عن كثير من أموالهم بل وحرياتهم أحياناً، حينما يلتزمون بأن تطبق عليهم القوانين؟

- والإسلام يوجب هذا الضمان الاجتماعى على الحكومة، وعلى أى جماعة قادرة على دفع الكوارث والأضرار عن الناس.

بل يوجب الإسلام الضمان الاجتماعى -فى عصرنا هذا- على الدولة المسلمة نحو أى دولة مسلمة أو أقلية مسلمة فى العالم تتعرض لهذه الكوارث، بل يندب الضمان الاجتماعى نحو غير المسلمين إن هم تعرضوا لهذه الكوارث.

- وكل تشريعات الإسلام الاجتماعية على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الحكومات تعد ضماناً اجتماعياً ضد الأخطار والأضرار والكوارث.

٣٠- الظاهرة الاجتماعية :

هى نموذج من التفكير والإحساس والعمل التى تسود مجتمعاً من المجتمعات، بحيث يجد الأفراد فى هذا المجتمع أنفسهم مسوقين إلى اتباع هذا النموذج والرضا به فى عملهم وتفكيرهم.

والظاهرة خبرة ما فى أية لحظة دون النظر إلى أسبابها، أو هى شىء أو عمل ندرك وجوده ونستطيع وصفه أو الحديث عنه.

- وهناك نظرية أو مذهب يقول بأن المعرفة محصورة فى الظواهر المادية والعقلية، وأن أى ظاهرة لا تفهم إلا باعتبارها مركبة من ظواهر أخرى، أو داخلة فى تركيب ظواهر أخرى.

٣١- العزل الاجتماعى :

هو الخطوات الاجتماعية التى تتخذ كوسيلة للاختيار.

وهذا العزل الاجتماعى يهدف إلى إبادة الأفراد الذين يعانون النقص أو عدم التكيف مع المجتمع أو إبعادهم عن المساهمة فى الأعمال الاجتماعية الفعالة.

- والإسلام لا يسمح بهذا العزل الاجتماعى إلا إن كان الفرد أو الجماعة التى يراد لهم العزل قد أتوا أعمالاً حرمها الله تعالى وأصروا عليها على الرغم من نصحهم ودعوتهم إلى التوبة والاستغفار، عندئذ يعزلون حتى يتوبوا فيتوب الله عليهم.

والعزل عقوبة تعزيرية لم يرد فيها حد من الحدود الشرعية، ولكن يخضع للاجتهاد فى كل موقف بذاته، حتى إذا كان هؤلاء قد اعتدوا فقطعوا طريق المسلمين أو قتلوا فعندئذ يطبق عليهم حد الحرابة أو السرقة الكبرى.

٣٢- العلاقات الاجتماعية:

هى العلاقات التى تجرى بين إنسان وآخر فى ظل التفاعل والاستجابة بين الطرفين.

وتلك العلاقات الاجتماعية ضرورة اجتماعية، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخر، ولا يستطيع أن يحقق أهدافه القريبة أو البعيدة وهو بمنأى عن الآخر، وتلك سنة الله تعالى فى خلق الإنسان، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...** ﴾ [الحجرات: ١٣].

- وهذه العلاقات هى الأساس الذى تقوم عليه جميع العمليات الاجتماعية فى حياة الفرد والجماعة والمجتمع، بحيث يمكن أن نقيس النزعة الإنسانية فى الإنسان بمدى علاقاته بالآخرين أو انعزاله عنهم.

- والإسلام يعتبر الاختلاط بالناس هو الأصل حتى وإن لحق الإنسان بعض الأذى من هذا الاتصال، ويعتبر العزلة عن الناس نكوصاً عن الحق وعما أوجب الله من صلة، إلا أن تكون فتنة عامة فعندئذ تجوز العزلة عن الناس، وليسع الإنسان بيته، ولو أن يعض على أصل شجرة حتى يدركه الموت وهو على هذه العزلة.

هكذا نصح رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عندما سأل حذيفة رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه(١).

٣٣- العمل الاجتماعى:

هو كل مجهود جماعى يخضع لنوع من التنظيم، ويهدف إلى ضمان التقدم

---

(١) رواه مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه: ٢/ ١٣٤ ط الحلبى بمصر.

الاجتماعى، وإلى الإسهام فى حل المشكلات الاجتماعية التى تحيط بالناس وتؤثر فى عدد كبير منهم، ومن أمثلة هذه المشكلات :

- مشكلة الفقر والعجز عن العمل والبطالة.
- ومشكلة المرض وسوء الرعاية الصحية وقاية وعلاجاً.
- ومشكلة الإسكان وحاجة الناس إليه.
- ومشكلة سوء التعليم، وانتشار الأمية والجهل.

كل هذه المشكلات وغيرها كثير تحتاج إلى عمل اجتماعى من أجل حلها أو التغلب عليها.

● وفى الإسلام يعد العمل الاجتماعى مطلبا من مطالب الإسلام، إذ لا يجوز للمسلم أن يقف عاجزاً أو سلبياً عن القيام بأى عمل يقدر عليه فى مواجهة أى مشكلة.

وآيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية تطالب كل مسلم بالعمل ولا تقبل منه أن يعيش بلا عمل أو عالة على غيره، والعمل الاجتماعى يحتاج إلى التعاون بين الأفراد لتوظيف جهودهم، وذلك مطلب إسلامى أيضاً.

٣٤- الفلسفة الاجتماعية :

هى تفسير الظواهر الاجتماعية، وتقديرها من وجهة نظر علم الأخلاق، والقيم المقررة فى المجتمع.

● وتتناول الفلسفة الاجتماعية البحث -بنوع خاص- فى المفاهيم المتصلة بعلم الاجتماع من جانب، وبالدراسات التركيبية للمعرفة العلمية التى تصل إليها العلوم الاجتماعية من جانب آخر.

ومن أجل هذه المباحث وأمثالها تصبح الفلسفة الاجتماعية مكملة لمباحث العلوم الاجتماعية من جانب ومفسرة أو معللة لها من جانب آخر، ومن هنا تكون العلوم الاجتماعية فى عمومها بحاجة إلى فلسفة اجتماعية.

● والإسلام يدعو إلى العلم عموماً وبخاصة النافع منه، بل يعتبر طلب العلم فريضة على كل مسلم، وعلوم الاجتماع كغيرها من العلوم التى تتصل بالإنسان يشجعها الإسلام ويعتبرها من فروض الكفاية، ويدعو الإسلام إلى تعلم جميع التخصصات العلمية لأنها

في صالح الإنسان ما لم تكن محظورة ككل علم يلحق ضرراً بالإنسان.

٣٥- القدرة الاجتماعية:

هى القدرة على ممارسة التعامل مع الناس جميعًا، وهى على أنواع:

- قدرة على الإسهام فى التفاعل الاجتماعى، والتقارب مع الناس والتقاء المصالح فى اتجاه واحد أو فى اتجاه متقارب.
- وقدرة على الاندماج فى الآخرين دون صراع أو خلاف أو تعارض، وهو ما يعبر عنه بالتكيف مع الآخرين.
- وقدرة على التأثير فى الآخرين تأثيرًا إيجابيًا يحفزهم على فعل الخير، ويمنعهم من فعل الشر، ليحققوا مصالح الجميع.

● والإسلام؛ منهجه وتربيته الاجتماعية تضع ضوابط لهذه القدرات جميعًا بل للقدرة فى ذاتها قبل أن تنوع، فهى تشترط أن تكون قدرة على ممارسة التعامل الحسن مع الناس، وتشترط فى القدرة على الإسهام فى التفاعل الاجتماعى أن يكون التقارب والالتقاء بين الناس على المصالح المشروعة دون سواها، وأن تكون القدرة على الاندماج فى الناس والتكيف معهم فى مجالات الخير والبر، وأن تكون القدرة على التأثير فى الناس مستهدفة صالح المعاش والمعاد معًا؛ وذلك أن التربية الاجتماعية الإسلامية تنظم أعمال الدنيا والآخرة.

٣٦- القلق الاجتماعى:

هو الاحتكاك بالناس والإحباط فى العلاقات الاجتماعية معهم، على مستوى الأفراد أو الجماعات.

والقلق الاجتماعى نوعان:

- **قلق اجتماعى محدد يظهر فى أفعال مختلفة، يتوقف اتجاهها على القيادة التى تقوم على إدارة العمل.**
- **وقلق اجتماعى غير محدد: وهو يدل على الاضطراب فى العلاقات بين الناس والتفكك فى المجتمع.**

● والإسلام؛ منهجه وتربيته الاجتماعية يدعو إلى الطمأنينة والاستقرار النفسى والاجتماعى، وبالتالى فهو يحارب القلق وما يؤدى إليه من ضعف الإيمان بالله ورسوله، والبعد عما أمر الله به أو نهى عنه، كما يحارب ما يترتب على القلق من اكتئاب وإحباط وصراع، إذ تحاول التربية الاجتماعية الإسلامية أن تذهب عن الإنسان أسباب القلق بمزيد من الإيمان بالله وطاعته، كما تحاول أن تمنع ما ينتج عنه بالتسليم بقضاء الله وقدره، فمن كان يؤمن بالقضاء خيره وشره لا يكتئب ولا يحبط ولا يدخل فى صراع مع الناس.

٣٧- القيم الاجتماعية:

هى الصفات التى يفضلها الناس ويرغبون فى الاتصاف بها.

والقيم فى معظمها فضائل، وهى مشتقة من قيمة الشىء أى قدره، ولذلك يذم الإنسان بأنه ذو قيم غير مرضى عنها من الناس.

وكل القيم بهذا المعنى الفاضل المرضى عنه تستدعى من المتصف بها الثبات عليها.

- وتختلف هذه القيم من مجتمع إلى آخر اختلافا يرجع إلى الثقافة السائدة فى المجتمع.
- ومن الصفات الملازمة للقيم أنها عامة بالنسبة لجميع أفراد المجتمع ولا تخضع لأى تقسيم طبقى.
- ومما يميز هذه القيم أنها موجهة للسلوك الإنسانى، بل إنها تعتبر من أهداف هذا السلوك.

● والقيم فى الإسلام هى: المبادئ الخلقية الفاضلة التى يجب أن يتحلى بها المسلم مستجيباً فى ذلك التحلى لأمر الله تعالى وهدى رسوله ﷺ.

- والقيم الإسلامية فى مجملها: كل فضيلة أو خصلة حسنة، أو معروف أو بر أو خير.
- وعند حصر القيم الإسلامية فى إطار لا تخرج عنه نقول: إنها كل ما أمر الله بفعله أو ندب إليه أو حبب فيه من الصفات.
- ومن أجل أن المجتمع المسلم يجب أن تكون العلاقات فيه قائمة على المحبة والأخوة فى الدين، فإن كل ما يؤدى إلى المودة بين المسلمين وكل ما يدعم أخوة الدين فيهم يعد من القيم التى دعا إليها الإسلام.

٣٨- المجتمع:

هو جماعة من الناس يعيشون معًا فى منطقة معينة، بحيث تجمع بينهم ثقافة مشتركة

تختلف عن غيرها من الثقافات، على أن يضم بعضهم إلى بعض شعور بالوحدة وبالكيان المتميز عن سواه.

– ويدخل تحت مفهوم المجتمع جميع النظم الاجتماعية التربوية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

بل يدخل فى مفهوم المجتمع كل النظم الضرورية التى يواجه بها المجتمع جميع الحاجات الإنسانية الأساسية فيتكفل بتحقيقها أو بالعمل على تحقيقها.

– ويتميز المجتمع بأنه يحوى جميع الأشكال التنظيمية الضرورية لبنائه، مع تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتى فى اقتصاده وسياسته وتربية أفراده وجماعاته.

– والمجتمع المصرى أو السورى –مثلاً– لابد أن يدعم فى تربيته أنه جزء من المجتمع العربى.

– والمجتمع العربى كله لابد أن يدعم أنه جزء من المجتمع الإسلامى، والمجتمع الإسلامى بالضرورة جزء من المجتمع العالمى.

● والإسلام قد صاغ مجتمعًا له مميزات وخصائص عديدة منها:

– أن أهم روابط المجتمع المسلم هى العقيدة فى توحيد الله تعالى وعبادته وفق ما شرع.

– وبأنه مجتمع تسوده قيم ليست ميراث آباء وأجداد وأوطان ولكنها قيم جاء بها الوحى، وهى قيم ثابتة مستقرة غير قابلة للتغيير مهما تغير الزمان والمكان، وبان مصدرها هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

– وبأنه مجتمع معاييره كلها إسلامية تقوم على العدل والشورى والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

– وبأنه مجتمع يستهدف فى جميع نظمه وتشريعاته صالح الإنسان فى الدنيا والآخرة، فلا يهمل الدنيا من أجل الآخرة، ولكن يأخذ نصيبه منها ويتصدر موكبها بالعلم والعمل الصالح، ولا ينسى الآخرة والمعاد بسبب أنه مستغرق بأمور المعاش؛ وإنما يعمل للآخرة كأنه يموت غداً.

٣٩– المسئولية الاجتماعية:

ترتكز المسئولية الاجتماعية على ارتباط الحقوق بالواجبات. بمعنى أن التمتع بالحق لابد أن يقابله القيام بواجب، وتعليل ذلك أن إشباع الاحتياجات الإنسانية، وحل مشكلاتها

المختلفة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمدى مساهمة أفراد المجتمع وجماعاته فى ذلك معتمدين على أنفسهم أفراداً وجماعات ومجتمعاً بأسره.

- والإسلام وتربيته الاجتماعية قد أعطى لهذه المسئولية الاجتماعية أهمية بالغة، وحملها للفرد على حدة وللجماعة بوصفها مجموعة أفراد، وللمجتمع بوصفه أسراً وجماعات وجزءاً من العالم العربى، الذى هو جزء من العالم الإسلامى، فما يُعفى أحد من المسئولية بحال من الأحوال إلا أن يفقد أهلية التكليف.

وقد نظم المنهج الإسلامى لهذه المسئولية دوائر عديدة:

- دائرة الأفراد فيما بينهم، وفى مسئوليتهم فى أسرهم.
- ودائرة الأسر فيما بينها.
- ودائرة الجماعات وما يجب أن يسودها من تنسيق وتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.
- ودائرة المجتمع الإقليمى ومسئوليته عن أنه جزء من العالم العربى، ومدى إسهامه فى ترقية المجتمع العربى حضاريًا.
- ودائرة المجتمع العربى ومسئوليته عن أنه جزء من العالم الإسلامى، ومدى إسهامه فى إيجاد تكامل معه اقتصاديًا وثقافيًا وحضاريًا وسياسيًا وعسكريًا.
- ودائرة المجتمعات الإسلامية فيما بينها ومسئوليتها عن تعزيز انتمائها للإسلام وعملها على أن تسود قيمه ومبادئه فضلاً عن التكامل فيما بينها فى كل مجالات التكامل.

٤٠ - المشكلات الاجتماعية:

هى المفارقات بين المستويات الاجتماعية المرغوبة المطلوبة والظروف الواقعية.

ومعنى الإشكال فيها أنها تمثل اضطرابًا وتعطيلاً لسير الأمور بطريقة مرغوبة مطلوبة للمجتمع.

- والمشكلات الاجتماعية ذات تأثير ملحوظ فى تعويق أحد النظم الأساسية فى المجتمع، مثل مشكلة:

- البطالة، والفقر والعجز عن العمل.
- والانصراف عن التعليم أو التسرب منه، والجهل.

- وتشرد الأحداث، أو كثرة اللقطاء، أو اليتامى والأرامل.

- وانخفاض المستوى الصحى للناس لقصور فى الوقاية أو قصور فى العلاج والأدوية.

- ومشكلة التفرقة العنصرية التى تعوق المساواة.

وغير ذلك من المشكلات التى عددنا كثيراً منها فيما سلف.

● وتتميز المشكلات الاجتماعية بأنها تتصل بالمسائل ذات الصفة الجمعية التى تشمل عدداً من الأفراد فى المجتمع، بحيث تحول بينهم وبين قيامهم بواجباتهم الاجتماعية وفق الإطار العام الذى ارتضاه المجتمع.

● والإسلام ومنهجه فى التربية الإجتماعية يقوم على أسس من شانها أن لا تسمح للمشكلة الاجتماعية بأن توجد، فإن وجدت عمل على إزالتها، ومن هذه الأسس:

- التقريب بين المسئوليات الاجتماعية المرغوبة والظروف الواقعية فى المجتمع بحيث يكون هناك تقدير لظروف الواقع والعمل على أن لا تكون عقبة فى سبيل المستوى المرغوب.

- وأن من عطل عملاً صالحًا أو عوقه أو أصابه بالاضطراب فقد أثم، وخالف منهج الله وشرعه ونظامه، ومن هنا فليس لمشكلة اجتماعية أن تظهر.

- وأن الأصل فى المسلم أن يسهم فى حل كل مشكلة من مشكلات المجتمع الذى يعيش فيه، مضحيًا بجزء من ماله وجزء من وقته وجهده وجاهه، وإن لم يفعل فقد وقع فى وزر من لم يعن بأمر المؤمنين، إذ وزه فى الدنيا ألا يحسب منهم، ووزره فى الآخرة عقاب شديد إلا أن يعفو الله عنه.

٤١- المعايير الاجتماعية:

المعيار: هو ما تقدر به الأشياء من كيل أو وزن أو ذرع أى قياس. هذا فى اللغة.

- ولكن المعيار فى الفلسفة هو: أنموذج متحقق أو متصور لما ينبغى أن يكون عليه الشىء، ومن ذلك ما أطلقوا عليه العلوم المعيارية وهى: المنطق والأخلاق والجمال ونحوها.

- وعند علماء الاجتماع: المعايير الاجتماعية هى: الاتجاهات والعادات والقيم المشتركة التى توجه استجابات الناس فى المجتمع، وتحقق نوعًا من التطابق بينهم فى التصرفات البسيطة، أو فى الأحكام الخلقية المعقدة.

● وهذه المعايير الاجتماعية عند التعامل بها والتزامها تزيد وحدة الجماعة تماسكًا، وتخلق بينها فكرًا مشتركًا.

والمعايير الاجتماعية تعد إطارًا يرجع إليه الفرد لكي يرشده لما ينبغى أن يكون عليه سلوكه الراشد.

● وفى الإسلام ومنهجه وتربيته الاجتماعية نجد المعايير مرتبطة دائمًا بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة، ونابعة منهما، ومن سيرة المعصوم ﷺ وأحداثها.

– والمعايير فى الإسلام لا تستقى من العادات الشعبية ولا تخضع لها، وإنما تدور مع الكتاب والسنة حيث دارا.

– ومن ارتباط المعايير الإسلامية بالكتاب والسنة النبوية، اكتسبت صفات عديدة من أبرزها:

الصحة؛ فهى صحيحة دائمًا أبدًا.

والثبات؛ فهى غير قابلة للإزدواج فضلاً عن التغيير فهى مع العدل والمساواة على طول الطريق.

٤٢– النشاط الاجتماعى:

هو مجموعة الأعمال الجماعية التى يقوم بها الناس للإسهام فى حل المشكلات الاجتماعية.

وهذه الأعمال تسمى أنشطة اجتماعية وتتم من خلال التعاون وبذل الجهود سواء أكان ذلك فى أوقات الفراغ أو أوقات تخصص لذلك.

ومجالات النشاط الاجتماعى عديدة، إذ هى مرتبطة بالإسهام فى حل المشكلات الاجتماعية، والمشكلات الاجتماعية عديدة على نحو ما أشرنا إلى ذلك فيما مضى من الحديث عن هذه المصطلحات.

● والإسلام من خلال منهجه وتربيته الاجتماعية للإنسان ينظر إلى المسلم عمومًا على أنه يجب أن يكون عاملاً نشطًا فى كل مجالات الحياة وليس فى حل المشكلات الاجتماعية وحدها، فلقد استعاذ رسول الله ﷺ من الكسل، روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل...».

- والإسلام يأمر بالتعاون على البر والتقوى عمومًا، ويأمر بعمل الخير أو بفعل الخير عمومًا أيضًا، وبالعمل الصالح عمومًا، وكل ذلك نشاط يحبب الإسلام فيه أو يأمر به.

٤٣- النضج الاجتماعي:

هو الدرجة الجيدة التى يصل إليها الفرد أو الجماعة من التكيف مع الأفراد والجماعات.

وتبدأ هذه الدرجة فى الظهور فى البيت ثم فى المسجد ثم فى المدرسة ثم فى المجتمع، ثم فى مجتمعات العالم العربى، فالعالم الإسلامى كله.

● وهذا النضج الذى نعبر عنه بالتكيف يتمثل فى الإسلام فى أمور، منها:

- احترام حقوق الآخر.
- وحسن التعامل معه.
- والرغبة فى عمل الخير له.
- وعون الآخر وإغاثته.
- وتبنى مشكلاته والعمل على حلها.

● وهذا النضج الاجتماعى مرآة تنعكس فيها أمور هامة، منها:

- حسن تنشئة الفرد وتربيته فى أسرته وفى المسجد والمدرسة.
- وحسن توجه الفرد إلى الأعمال الصالحة النافعة.
- وحسن استقراره النفسى والعاطفى.
- وحسن توازنه العقلى ودقة حكمه على الناس والأشياء.
- وحسن التزامه بما أمر الله تعالى به واجتنابه لما نهى عنه.

٤٤- الوظيفة الاجتماعية:

هى سلسلة من الخدمات الاجتماعية تقوم بها جماعة منظمة من الأفراد، أو الجماعات -فى أى مجتمع- لصالح أعضائه، وقد تكون هذه الخدمات مادية أو معنوية، بحيث تكون هذه الخدمات بالنسبة لمن يقوم بها من وظائفه التى وظفها على نفسه برضاه، أو يكون قد عهد بها إليه.

- وتميل هذه الخدمات إلى التخصيص كلما زاد تعقد المجتمع فى تركيباته، وكلما تعددت فيه الطبقات وتنوعت الفئات.

● وفى الإسلام وتربيته الاجتماعية، تؤدى هذه الوظيفة الاجتماعية وجوبًا على كل المكلفين من المسلمين، فيصبح أداؤها عامًا شاملاً لأكبر عدد من الناس ومن مرافق المجتمع.

– وعلى سبيل المثال: فإن المعونة التى تقدم لمن يحتاجها وظيفة اجتماعية يكلف بها المسلم طمعًا فى أن يرضى الله عنه.

وكذلك إماطة الأذى عن الطريق، وإغاثة اللهيف، وفك الأسير وإطعام الفقير ورعاية اليتيم أو كفالته، بل التبسم فى وجه إنسان آخر.

كل تلك وظائف اجتماعية يثيب الله على فعلها، ويعاقب على تركها كل قادر عليها ممتنع عن أدائها.

٤٥- الوعى الاجتماعى:

هو اتجاه الأفراد أو الجماعات نحو تحمل المسئولية عمومًا ونحو تحمل مسئوليات حل المشكلات الاجتماعية على وجه الخصوص، وكذلك تحمل مسئولية تحسين الأحوال الاجتماعية.

– وكل ذلك نتيجة لوعى الأفراد والجماعات بالعلاقات الاجتماعية فيما بينهم، ووعيهم بتجاربهم المشتركة فى علاج تلك المشكلات.

– وعندما ينمو هذا الوعى بالمشكلات العديدة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، يتولد عن هذا الإيمان وجوب تنفيذ الحلول التى اتفق عليها لحل المشكلات.

● والإسلام وتربيته الاجتماعية يلزم كل مكلف بتحمل مسئوليته إزاء نفسه وإزاء من يليهم أو يكون مسئولاً عنهم أمام الله تعالى، والمسئولية فى الإسلام فردية فى معظمها: **﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾** [الإسراء: ١٣، ١٤]. ومسئولية جماعية تسأل عنها الجماعة أو المجتمع أو الأمة كلها إذا قصرت أو تركت مظلومًا دون أن ترفع عنه الظلم أو مالأت ظالمًا، أو سكتت عن الحق، أو لم تغضب لانتهاك حرمات الله تعالى، بكل ذلك وردت آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة، وبهذا كله كان صراط الله الذى أُمر المؤمنون باتباعه وحده دون سواه، قال الله تعالى: **﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٣].

وبعد.. هذا التعريف ببعض المصطلحات فى مجالى التربية وعلم الاجتماع، رغبة فى إزالة الغموض أو اللبس عند القارئ إذا ورد عليه أحد هذه المصطلحات فى الكتاب.



الباب الأول:

التربية الاجتماعية الإسلامية
خصائصها ومنهجها وأهدافها

أولاً : خصائص التربية الاجتماعية الإسلامية

ثانيًا : منهج التربية الاجتماعية الإسلامية

ثالثًا : أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية



أولاً: خصائص التربية الاجتماعية الإسلامية

التربية الاجتماعية الإسلامية -كما عرفناها في مدخل هذا الكتاب- لابد أن تكون لها خصائص تميزها عن غيرها، وتحددها في إطار يعبر عنها بدقة وموضوعية.

● ومن أجل أن التربية الاجتماعية الإسلامية مفردة من مفردات التربية الإسلامية، فلابد أن تكون خصائصها متفرعة عن الخصائص العامة للتربية الإسلامية.

وخصائص التربية الإسلامية العامة في كلمات هي:

١- **«الوصول بالإنسان إلى كل ما يمكنه من حياة دنيوية صالحة راشدة، وحياة أخروية سعيدة يرضى عنها الله تعالى فيجزل الثواب عليها».**

ويمكن أن نفسر هذه الكلمات في نقاط -سبق أن تحدثنا عنها في عدد من كتب هذه السلسلة «مفردات التربية الإسلامية» فيما يلي:

- عبادة الله وحده وفق ما شرع في دينه الخاتم:

ودليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فعبادة الله تعالى وحده دون شريك هي أولى خصائص التربية الإسلامية، وخطوات الطريق إلى ذلك هي: الإيمان والإسلام والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وهي خصيصة ثابتة مستمرة إلى يوم الدين.

- وخلافة الله تعالى في الأرض لإقامة منهجه:

وهذا الاستخلاف إنما جاء بأمر الله تعالى وتوجيهه، قال تعالى: ﴿ ... **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...** ﴾ [البقرة: ٣٠].

وهذا الاستخلاف في تطبيق منهج الله تعالى يقتضي إعمار الأرض والاستفادة مما أودع الله فيها من خيرات للإنسان، وذلك باستخدام وسائل العلم ومستحدثات الكشف بشرط ألا يضر ذلك بالناس، وهذه الخصيصة ثابتة مستمرة على طول الزمان وتعدد المكان.

- والتعارف بل التآلف بين الناس:

وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ... ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهذا التعارف بداية للتآلف والتواد والتراحم والتعاون على البر والتقوى، فالتضامن فالتكافل فالدفاع الاجتماعي بدرء المفاسد، والإصلاح الاجتماعي بجلب المنافع، وهي خصيصة ثابتة مستمرة أيضاً.

- وسيادة الأرض وتمكين منهج الله فيها:

وذلك وعد الله تعالى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، قال الله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ... ﴾ [النور: ٥٥].

والاستخلاف في الأرض والتمكين منها يقتضي أن يسودها منهج الله ونظامه وإنما يتم ذلك بأيدي المؤمنين.

- والحكم بين الناس بشريعة الله تعالى:

وذلك أن الله تعالى خاطب خاتم رسله بقوله: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الجاثية: ١٨]، فكل من يرفض الاحتكام إلى شريعة الله تعالى صاحب هوى وباطل، وأنه من غير العالمين مهما أوتي من علم الدنيا.

٢- وأنها تربية اجتماعية تقوم على حضارة وتصنع حضارة:

وذلك أنها تقوم على حضارة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهي حضارة تسمو بالإنسان وبالمجتمع إلى أرفع ما تكون عليه العلاقات بين الناس أفراداً وأسراً ومجتمعاً ودولة، إذ هي علاقات تحكمها قيم ومعايير جاءت من عند الله فلا يأتيها الباطل ولا الهوى من بين يديها ولا من خلفها.

- وإذا كانت الحضارة خبرات متبادلة بين أفراد الناس وجماعاتهم، متمثلة في الحقائق العلمية والمسارات التاريخية، والقواعد الأخلاقية والسلوكية والقوانين والأعراف والتيارات العامة للفكر الإنساني، فإن هذه هي إحدى خصائص التربية الاجتماعية الإسلامية.

- وأنها فى هذه الأطر النقية الواسعة تملك القدرة على صنع الحضارة التى تلائم الزمان والمكان مهما تغيرا، لأن جوهرها صحيح وبناءها سليم، وتستطيع دائمًا أن تبنى عليه ما يلائم احتياجات الإنسان دون إفراط أو تفريط، إذ تمسك بناصية التقدم العلمى والفنى والتقنى، وتنقل ذلك من جيل إلى جيل، بغض النظر عن أن يكون الجيل الناقل فى أى زمان أو مكان عربيًا أو غير عربى، وبغض النظر عن أن يكون الجيل المنقول إليه عربيًا أو غير عربى.

٣- وأنها تربية تفتح الباب على مصراعيه لكل من أراد أن يقتبس من حضارتها:

ومعنى ذلك أنها لا تحظر حضارتها على أحد، ولا تدعى أنها حضارة خصها الله تعالى بها دون سائر الشعوب، فهى لا تعترف بأن لله شعبًا مختاراً آثره على سائر الشعوب بل جعل الشعوب خدما له ومطايا كما تزعم يهود.

- وإنما التربية الاجتماعية الإسلامية تقوم حضارتها جوهراً ومظهراً لكل من أراد، حتى ولو كان من غير المؤمنين، لأن الناس جميعًا عباد الله وهم من أمة الدعوة، وما يساعدهم على أن يكونوا من أمة الإجابة إلا هذه الدفقات الحضارية التى يمدهم بها النظام الاجتماعى الإسلامى، وهى دفقات تبعث الحياة الكريمة والحركة فى كل عمل إنسانى؛ لأنها أصلاً من عند الله تعالى.

٤- ومن خصائصها أنها تمد المجتمع بالقدرة على التحضر وبالإبداع فيه:

وذلك أن المجتمع المسلم الذى رُبى تربية إسلامية يملك من أسباب التحضر ما يجعله ذا قدرة على صنع الحضارة من جانب، وعلى الإبداع فى صنعها من جانب آخر؛ وذلك لما لديه من رصيد متميز فى صنع الحضارة وتنميتها فى كل زمان ومكان، وهذا الرصيد هو أصل الحضارة ورحيقها وملحها وسكرها وماء حياتها، وأقوى أسباب بقائها وهو الوحى الإلهى من قرآن كريم وسنة نبوية مطهرة، والوحى الإلهى صالح لكل زمان ومكان وقادر بما فيه من قيم على مواكبة المتغيرات التى تمر بحياة الإنسان، ومواجهة المنحرف من هذه المتغيرات.

- التربية الاجتماعية الإسلامية تبنى إنسانًا وحضارة متميزين، ومع تميزهما فهما باب مفتوح على الإنسانية كلها أبيضها وأحمرها وأسودها، بل مؤمنها وكافرها، دون احتكار أو بخل أو تعالٍ على الناس، لأن الناس من ولد آدم وآدم عليه السلام قد خلقه الله من تراب، لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله تعالى.

٥- ومن خصائصها أنها عامة :

التربية الاجتماعية الإسلامية تتميز بأنها عامة بمعنى : أن الجوانب الاجتماعية المجردة فيها ممتدة فى جميع أبعاد الزمان وأرجاء المكان وأمداء التاريخ، بحيث لا تتجمد عند أحداث التاريخ فتضفى عليها قداسة، وتأمر باتباعها على كل حال، ولا تقف عند أبعاد الجغرافيا فتضفى على منطقة بعينها قداسة معينة باستثناء ثلاثة أماكن قدسها الإسلام وأجاز شد الرحال إليها، وهى : مكة المكرمة والبيت الحرام، والمدينة المنورة ومسجد الرسول ﷺ، والقدس والمسجد الأقصى، أى أن التربية الاجتماعية الإسلامية مرنة فى التعامل مع التاريخ والجغرافيا تأخذ منهما ولا تأخذ بهما جميعًا، وترى أن العبرة بالتاريخ والجغرافيا هو أخذ العبرة والعظة، وليس التقديس والتعصب لجنس من الناس فى التاريخ ولا لبقعة من الأرض فى الجغرافيا، وتلك هى العمومية التى تتميز بها .

- كما أن التربية الاجتماعية الإسلامية عامة فى نظرتها للإنسان عندما يدخل فى الإسلام إذ تعتبره بدخوله فى الإسلام قد أصبح إنسانًا عامًا بل عالميًا، لا يقيم وزنًا لعرق ولا لون ولا لغة، وإنما يصبح إنسانًا عامًا عالميًا فى توجهه ودعوته وحركته وجهاده .

- تفعل التربية الاجتماعية الإسلامية ذلك، بينما تفعل التربية الغربية عكس ذلك تمامًا، فى قديمها منذ أفلاطون ونظرية الانتقاء والمدينة الفاضلة، وإبادة الضعفاء، وإلى يومنا هذا فى ألمانيا ومذهب الاشتراكية الوطنية حيث تعمد إلى إعادة الإنسان الألمانى إلى عرقه الذى تزعم أنه متميز على سائر البشر، وكذلك يفعل اليهود، وكذلك فعل الاتحاد السوفيتى السابق، وكذلك تفعل كثير من دول أوروبا، وكذلك تفعل الولايات المتحدة الأمريكية فى صراعها القديم مع الهنود الحمر وصراعها الحديث مع الملونين -مها ادعت غير ذلك .

- إن التربية الاجتماعية الإسلامية لا تعرف ذلك ولا ترضاه، لأنها تستمد قيمها ومعاييرها وعموميتها من الكتاب والسنة، وهما الدين الذى ارتضاه الله تعالى للبشرية كلها دينًا بعد أن أكمله وأتمه وأرسل به خاتم رسله محمد ﷺ .

٦- وأنها تربية اجتماعية فاعلة :

فلا غنى للتربية الاجتماعية الإسلامية عن المجتمع لأنه ميدانها الذى تعبر فيه عن مبادئها، ولا غنى للمجتمع الإنسانى عن التربية الاجتماعية الإسلامية؛ لحاجته إليها فى دفع المفاسد وجلب المصالح .

فهى تربية فاعلة حركية ذات تأثير فيما يحيط بها، وقادرة بهذا التأثير على أن تجعل الحياة الإنسانية أكثر جمالاً وأكثر فائدة، وأكثر ملاءمة للحياة الإنسانية الكريمة.

– وإذا كانت وظيفة التربية من وجهة النظر الاجتماعية هى المحافظة على الأنموذج الإنسانى، الذى كرمه الله تعالى وفضله على كثير من خلقه، محافظة روحية وخلقية وعقلية وبدنية ودينية وسياسية واجتماعية واقتصادية وجهادية وجمالية، وهذه المحافظة لها وسائلها المعروفة التى سنتحدث عنها –فى الباب الثانى من هذا الكتاب.

– هذا الإنسان الذى تحافظ عليه التربية الاجتماعية الإسلامية هو الإنسان الصالح الفاعل المؤثر الذى نشر دعوة الإسلام فى العالم، وجاهد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، ذلك الإنسان الذى رباه النبى ﷺ على الكتاب والسنة والسيرة النبوية، والأحداث والمواقف والحروب والدعوة والحركة بالدين فى الناس وفى الآفاق لتبليغ دين الله إلى عباد الله.

– وعند انحراف الإنسان عن هذا الأنموذج فإن التربية الاجتماعية الإسلامية تعيد الإنسان إلى الأنموذج الأصلى له، لا عن طريق الصراع بين التربية الاجتماعية والحاجات الحيوية للإنسان، كما يقول بذلك علماء التربية فى الغرب، وإنما عن طريق المواءمة بين الأنموذج والإنسان الذى طرأ عليه التغيير، أو الانحراف عن الأنموذج.

٧- وأنها تربية اجتماعية متجددة مستمرة:

إن التجديد والاستمرار فى التربية الاجتماعية الإسلامية نابع من الدين الإسلامى وطبيعته التجديدية المستمرة؛ من خلال فتح باب الاجتهاد على طول الزمن حيث يكون حق الاجتهاد فى أمور الدين –فيما لا نص فيه – حقا لكل أهل العلم والاختصاص من المسلمين، فلهم أن يجددوا وأن يبتكروا وأن يستمروا على هذا التجديد والابتكار كلما دعت إلى ذلك حاجة.

– ولقد أخبر الرسول ﷺ بأن هذا التجديد عمل مستمر فى الحديث الشريف فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**».

– غير أن بعض الباحثين الغربيين فى التربية يرون استبعاد الدين وكل المعتقدات التى يسميها قديمة، فيقول: «... ولكن الإنسان المعاصر لم يعد مقيداً بالدين، ولا بالدولة

ولا بالمهنة، ولا بأى شكل خاص من أشكال الحياة، إنه يحتاج لأن يكون مؤمنًا متحررًا من المعتقدات القديمة مكونًا لنفسه نظرته فى الوجود، ومواطنًا، ومنتجًا، ثم فوق هذا كله إنسانًا، لأن ذلك هو الذى يمليه المستوى العالمى الشامل الذى وصلت إليه حركة المدنية، فلا العلوم ولا الصناعات ولا النظم الاقتصادية، ولا النظم الخلقية، لم تعد اليوم أمورًا مرتبطة بمكان معين أو بعقلية خاصة.

والتربية اليوم أكثر منها فى أى وقت مضى –وحتى إذا نظرنا إليها من وجهة النظر الاجتماعية وحدها– تستلزم فلسفة إنسانية للوجود ملائمة لجميع العوامل التى تعمل فيها»[١].

● وهذا الفكر الذى ذكره ذلك الباحث مرفوض لدينا معشر المسلمين فى كثير مما قرره،ومقبول فى بعضه.

أما ما نرفضه منه فهو:

– اعتبار الدين قيدًا يقيد الإنسان– وبخاصة دين الإسلام الخاتم الذى جاء من عند الله وقد ضمن الله له أن يحفظ كما أنزل، فلم يدخله تحريف ولا تبديل، وهو دين ينظم للإنسان حياته الإنسانية الكريمة وليس قيدًا عليها بأى حال.

– ولا نوافقه على اعتبار الدولة أو المهنة قيدًا، لأن ما تفرضه الدولة أو المهنة على المنتمى إليها إنما هو عند التحليل الدقيق لصالح الفرد والمجتمع، وهو يقبل ما يوجب عليه النظام فى مقابل تمتعه بحقوق كثيرة يضمنها له النظام.

– ولا نوافقه على أن الإنسان المعاصر عليه أن يتحرر من المعتقدات القديمة لقدمها، وإنما يتحرر منها إن كانت تحوى ضررًا يعود عليه بما يحرمه حقًا من حقوقه أو حرية من حرياته، أما أن يكون القديم نافعًا فلا قائل برفضه لمجرد أنه قديم.

وأما ما نقبله من كلامه فهو:

– أن العلوم والصناعات والنظم الاقتصادية والخلقية ليست مرتبطة بإقليم بعينه أو بعقلية بعينها...

– وأن التربية تستلزم فلسفة إنسانية للوجود، ملائمة لجميع العوامل التى تعمل فيها.

ولكننا نقول: إن هذه التربية العامة أو الاجتماعية التى تستلزم فلسفة إنسانية للوجود

---

(١) رونيه أوبير: التربية العامة. ترجمة عبد الله عبد الدايم. ص٤٧ نشر دار العلم للملايين. بيروت: ١٩٦٧م.

الملائمة للعوامل التى تعمل فيها، هى التربية الإسلامية فى عمومها، والتربية الاجتماعية الإسلامية على وجه الخصوص.

٨- ومن خصائص التربية الاجتماعية الإسلامية أنها متوازنة:

فهى تربية لا تحيف على أحد لصالح أحد، ولا تنحاز لفئة من المجتمع على حساب فئة أخرى، بل توازن بين الفرد والجماعة والمجتمع والعالم كله، بل الكون كله يقوم على مسلمة أولية هى: أن الله تعالى قد سخر هذا الكون وما فيه للإنسان، فسخر له الشمس والقمر دائبين وسخر له الليل والنهار، وسخر البحر والرياح وما فيهما، كما يفهم ذلك من قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: ١٣]. أى سخر ذلك لكم من جميع ما فى السموات من نجوم مضيئة وكواكب منيرة، وكل ما فى الأرض من زرع وضرع وماء وهواء ونار وتراب وصحارى وجبال ووهاد، كل ذلك منه سبحانه ليوفر لكم حياة كريمة تليق بتكريمه لبنى آدم جميعًا، وفى ذلك دليل على قدرته سبحانه وهى فى الوقت نفسه عبرة لمن تفكر وتدبر من عباده.

- وهناك فرق كبير بين التربية الاجتماعية الإسلامية وغيرها من أنواع التربية الاجتماعية غير الإسلامية، إذ الذى يلحظه أى قارئ أو متدبر لما كانت عليه التربية غير الإسلامية يدرك أنها جميعًا تحاول أن تذيب الإنسان فى الكون، وتخضعه له حتى يصبح هذا الكون أكرم وأهم من الإنسان نفسه عندما يتجه الإنسان إلى عبادة ظواهر الكون وموجوداته، كما عبدت الشمس والقمر والنجوم وبعض الحيوان، وبعض الأحجار، وبعض الأشياء، ثم ينسحب التقديس للعالم والكون على عوالم خيالية -كعالم الأولمب عند اليونانيين، وعالم الجنس عند الهنود وعالم السحر عند كثير من الأفارقة والآسيويين!!!

- أما التربية الاجتماعية الإسلامية فتجعل الإنسان أهم من هذا العالم، لأن الله تعالى هو الذى قضى بذلك فى قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [الإسراء: ٧٠].

- إن التربية الاجتماعية الإسلامية تصحح العلاقة بين الإنسان والمجتمع، وبين الإنسان والعالم كله، بل بين حاضر الإنسان وماضيه، إنها تربية لا تسمح للإنسان أن يكون أسيرًا للماضى بحيث ينعزل عن حاضره ليعيش فى ماضيه، ولا تسمح له أن يكون أسيرًا لظروف الحاضر بحيث يتجاهل ماضيه، لما فى الالتفات إلى الماضى من دروس وعبر.

- إن التربية الاجتماعية الإسلامية تحدث توازنًا بين الماضى والحاضر فى تاريخ الإنسان، مستعينة فى تحقيق هذا التوازن بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، واجتهادات علماء المسلمين.

٩- وأنها تربية واقعية:

ونعنى بالواقعية -المنسوبة إلى الواقع- أن التربية الاجتماعية الإسلامية تتعامل مع الواقع الذى يعيشه الإنسان لا مع عالم المثال فى أخيلة المفكرين قدامى ومحدثين، ولا مع التصورات العقلية التجريدية كما يراها الفلاسفة قدامى ومحدثين.

- إن التربية الإجتماعية الإسلامية نابعة من الدين الخاتم، وهو دين للحياة الإنسانية، ودين للواقع الذى يعيشه الإنسان يصلح منه ما يحتاج إلى إصلاح، ويقر منه ما هو صالح، إنه دين الدعوة والحركة والعمل والتأثير والإنتاج والنماء.

- إن التربية الاجتماعية الإسلامية لا تحتم أن يكون الإنسان كاملاً، ولا تحتم أن يكون المجتمع الذى يعيش فيه كاملاً، وذلك انطلاقًا من مسلَّمة لدى المسلمين جميعًا هى: «أن الكمال لله وحده» وليس فى قدرة إنسان أو مجتمع أن يكون كاملاً أى خاليًا من النقص والعيب، وإنما أقصى ما يستطيعه أن يكون قريبًا من الكمال، وتلك هى الواقعية التى تحترمها التربية الاجتماعية الإسلامية، ولا ينبغى لمسلم أو لمجتمع مسلم أن يدعى الكمال، ولا أن يتنكر لواقعه، وإنما عليه أن يتعامل مع هذا الواقع بتحسينه وتقريبه من "الكمال النسبى الملائم للإنسان.

- ومن أجل إصلاح واقع الإنسان عندما يحيد عن أمر الله أو نهيه شرع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، بل جعل واجبًا على طائفة من الأمة المسلمة، بحيث تأثم كلها إذا لم تقم به.

١٠- ومن خصائصها أنها مواكبة للقرآن وباقية ببقائه:

إن التربية الاجتماعية الإسلامية مواكبة فى وجودها لآيات القرآن الكريم، بل آياته الأولى التى نزلت على النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ**﴾ [العلق: ١-٧].

- فالتربية الاجتماعية الإسلامية قديمة قدم الإسلام نفسه أى الكتاب والسنة، فهما مصدراه الرئيسان، وهى باقية ببقاء الكتاب وشارحته السنة، وقد تكفل الله بحفظ كتابه

واستمراريته، فأصبحت التربية الاجتماعية الإسلامية باقية مستمرة إلى يوم الدين.

- ومع قدم التربية الاجتماعية الإسلامية فإن التربية عمومًا والتربية الاجتماعية لم تعرف عند الغربيين من خلال معاجمهم إلا فى القرن الثامن عشر الميلادى، ولم تأخذ نصيبها من الاهتمام إلا فى القرن التاسع عشر الميلادى -أى بعد ظهور الإسلام بثلاثة عشر قرنًا من الزمان - وكان ذلك عندهم على أيدى أعلام بارزين، منهم:

- رابليه Rabelais
- ومونتينى Montaigne
- وروسو Rousseau
- وبستالوتزى Pestalozzi
- وفيخته Fichte

ولعل سبب ذلك يعود إلى أن الناس فى الغرب يضعون الأسس التى تقوم عليها التربية عمومًا والتربية الاجتماعية خصوصًا من عند أنفسهم، فعندئذ يمكن أن يتأخروا...

أما فى الإسلام فهذه الأسس التى تقوم عليها التربية عمومًا والتربية الاجتماعية خصوصًا قديمة قدم القرآن نفسه، وقدم السنة النبوية التى واكبت القرآن وشرحته وفصلت مجمله.

وبعد ذكر هذه الخصائص التى تميزت بها التربية الاجتماعية الإسلامية فلابد من كلمة عن منهج التربية الاجتماعية الإسلامية.

ثانيًا : منهج التربية الاجتماعية الإسلامية

١ - فى تعريف المنهج :

المنهج : هو الطريق أو الطريقة فى التناول .

والمنهاج : هو مجموعة منهجية منظمة من الدروس « الأكاديمية » المطلوبة للحصول على شهادة دراسية فى حقل من حقول الدراسة .

● وقوام كل منهج هو الاستقراء .. أى تتبع الجزئيات للوصول إلى نتيجة كلية .

وللمنهج الاستقرائى عدة خطوات معروفة ومقررة هى :

- ملاحظة الظاهرة ملاحظة دقيقة تكشف عنها .
- وإجراء التجارب على تلك الظاهرة .
- ووضع الفروض التى تحدد نوع الحقائق التى ينبغى أن يبحث عنها .
- والتحقق من صدق الفروض التى حددت ، أو التحقق من بطلانها .
- ووضع القانون العام الذى يربط أبعاد الظاهرة أو يربط الظواهر ويوجد العلاقة بينهما .

● والمنهج أنواع عديدة أهمها :

- المنهج الوصفى .
- والمنهج التجريبى .
- والمنهج التاريخى .

● فالمنهج الوصفى يستهدف تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف تغلب عليه صفة التحديد ، وهى صفة تعتمد على جمع الحقائق وتفسيرها لاستخلاص دلالتها ، ثم تصل عن طريق ذلك إلى إصدار تعليمات بشأن الموقف أو الظاهرة التى يراد وصفها .

● والمنهج التجريبى هو الذى يستخدم فى قياس المتغيرات المختلفة ، ليصل إلى معرفة القوانين التى تكشف عن العلاقة بين الظواهر .

● والمنهج التاريخى : ويقصد به الوصول إلى المبادئ والقوانين العامة عن طريق البحث فى

أحداث التاريخ الماضية وتحليل الحقائق ذات الصلة بالمشكلات الاجتماعية.

ويقوم هذا المنهج التاريخي على ركيزتين:

أولاهما: جمع الوثائق ونقدها والتأكد من شخصيات أصحابها، للوصول إلى تحديد الحقائق التاريخية الجزئية.

والأخرى: تصنيف هذه الحقائق والتأليف بينها تأليفًا عقليًا منطقيًا(1).

٢- أسس البحث العلمى التى تقوم عليها المناهج الثلاثة:

- وكل واحد من هذه المناهج الثلاثة يقوم على البحث والتحرى، ولهذا البحث أسس يعتمد عليها هى:

أ- تقضى الحقائق عن ظاهرة أو مشكلة بطريقة منهجية.

ب- وتبويب هذه الحقائق التى تُقُصِّيت وتقسيمها إلى أقسام لتيسير البحث فيها.

جـ- وتحليل كل حقيقة من هذه الحقائق تحليلاً دقيقًا يستهدف الوصول إلى: معرفة كنهها، ومعرفة أسبابها.

د- ووضع الحلول الملائمة للظاهرة أو المشكلة، بعد العمل على إزالة الأسباب التى أدت إليها.

- فإذا كان منهج البحث إسلاميًا، أمكن تعريفه بما يلى:

٣- الطريقة الإسلامية فى بحث الظواهر والمشكلات والتعرف على الأسباب التى أدت إليها، وتحليلها بدقة ووضع الحل أو الحلول لها.

- وطريقة الإسلام فى ذلك تعتمد على أسس هى:

أ- اتباع خطوات المنهج والبحث العلمى، لأن البحث العلمى له مصادر فى الإسلام، وله مشابه ونظائر فى القرآن والسنة وفى تراثنا الفقهى كله، بل له مشابه ونظائر فيما أقره العلماء المسلمون فى مختلف العصور من ضرورة اتباع البحث فى كل ظاهرة أو مشكلة.

فليس البحث العلمى بمفهومه الذى ذكرنا من مبتكرات الغربيين، ولو كان كذلك فإنه

---

(1) تلك هى أهم المناهج فى دراستنا تلك، وهناك مناهج أخرى هامة فى مجالها مثل: المنهج العلمى، والمنهج الذرى، والمنهج الزمنى، والمنهج المقارن.

من تراث الإنسانية كلها إذ لم يحجر المسلمون مثلاً على منهجهم فى البحث العلمى يوم أقامت أوروبا نهضتها على علوم المسلمين ومناهجهم فى البحث.

ب- وابتغاء مرضاة الله تعالى فى البحث باتباع أخلاق الإسلام وآدابه فى البحث مثل:

- الإخلاص فى العمل وتجويده.
- والصدق فيه والأمانة فى إجرائه.
- واتباع الوسائل المشروعة فى ممارسته.
- واستهداف الصالح العام فى المعاش والمعاد فى إجرائه.
- والتزام الحياد والموضوعية فى إجرائه.

٤- فى منهجنا فى هذا الكتاب.

لكى نصل فى هذا الكتاب إلى تحديد التربية الاجتماعية الإسلامية وتوضيح أبعادها، وبيان أهدافها ووسائلها لجأنا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نستنبئهما عن التربية الاجتماعية الإسلامية بوصفها مفردة من مفردات التربية الإسلامية، وذلك أن الكتاب والسنة هما المصدران الرئيسان للإسلام كله عقيدته وعبادته ومعاملاته وفكره وتربيته ودعوته وحركته وجهاده.

● وقد اتخذنا إلى ذلك خطوات هى:

- رصد الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى تضمنت القيم الخلقية الفاضلة التى ينبغى أن تقوم عليها العلاقات بين الناس، والتى ينبغى أن يقوم عليها بناء المجتمع الإنسانى، والاستشهاد بها على كل قيمة تربوية اجتماعية.

ورصد الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى نعت على الناس اتصافهم بالقيم الخلقية الرذلة التى يجب أن يتخلى عنها المسلمون، والتى تعوق تقدم المجتمع وتصيب بناءه بالانهيار.

وهذا الرصد للآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى مجال التربية الاجتماعية توثيق لهذه التربية وتأصيل لها، هى فى مسيس الحاجة إليه.

- وجمع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى عُنيت بالأسرة بوصف الأسرة وحدة المجتمع الإنسانى كله، ولأنها أهم ما وجهت إليه التربية الاجتماعية اهتمامها.

والتربية الاجتماعية الإسلامية تضع كل النظم والأخلاق والآداب التى يجب أن تتمسك بها الأسرة فيما بين أفرادها وتتمسك بها فى التعامل مع الأسر الأخرى، ولا تتركها لرغبات الأفراد.

والاستشهاد بهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على كل ما يجب أن يسود الأسرة من علاقات بين الزوجين والآباء والأبناء والأقارب والأرحام والجيران واليتامى والأرامل وغيرهم من ذوى الحاجات؛ لأن القرآن والسنة مليئان بالحث على حسن التعامل فى هذه العلاقات.

– ورصد الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى تدعم بناء الأسرة، وتشرع لكل ما يتصل بها من زواج وطلاق وخلع وظهار ولعان، ورضاع وحضانة ونفقات، وحقوق وواجبات يتبادلها أفراد الأسرة كباراً وصغاراً، موسرين ومعسرين.

والاستعانة بهذه النصوص القرآنية والنبوية على تأصيل بناء الأسرة والمحافظة عليها وتحديد وظائفها وإلزامها بواجباتها وكفالة حقوقها، حتى تكون الأسرة فى مأمن من جور جائر، واعتساف صاحب أى حق فى ممارسة حقه، كل ذلك لحماية الأسرة وحدة المجتمع ومحضن أفراده لينشأوا تنشئة إسلامية.

– وجمع الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى توضح الأهداف من تكوين الأسرة المسلمة، كتربية الأجيال المتعاقبة وتعليم الأبناء فقه الحقوق والواجبات، وفقه ترشيد السلوك الإنسانى وربطه بما أحل الله تعالى وما حرم، وغرس القيم الفاضلة فى النفوس من تعارف وتآلف وتعاون وتناصر وتضامن وتكافل وتآخ فى الله عز وجل، لتمارس هذه القيم فى المجتمع المسلم كله.

والاستشهاد بهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على توثيق كل ما يتصل بالأسرة المسلمة بربطه بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ليكون هذا التوثيق دعماً للقيم والمعايير التى تعيش بها ومعها الأسر المسلمة كلها فى المجتمع المسلم الكبير.

– والبحث عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تتحدث عن مشكلات الأسرة، وانحرافها عما وضع الله لها من نظم وما ألزم به من قيم، أو تتحدث عن أسلوب حل هذه المشكلات والتغلب على نتائجها، تجاوباً مع مسلَّمة إسلامية تقول فيما رواه ابن ماجة بسنده عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الدواء القرآن» ما كان من القرآن أو ما أشار إليه أو دل عليه القرآن، وليس بالقطع التمائم ونحوها.

والاستشهاد بهذه الآيات والأحاديث على أن فى الكتاب والسنة حلا لكل مشكلة إنسانية فى الأسرة أو خارج الأسرة، لأن الله تعالى جعل القرآن الكريم -والسنة تشرحه- تبيانا لكل شيء، وما فرط فيه من شيء.

- وتتبع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى جاء فيها الأمر بالخير والنهى عن الشر، والأمر بالحق والنهى عن الباطل، والأمر بالأخوة والحب والنهى عن التدابر والكره، والأمر بالإنفاق فى سبيل الله تعالى والنهى عن البخل والشح، والأمر بالجهاد فى سبيل الله والنهى عن القعود عن الجهاد أو الفرار من الميدان، والأمر بالدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق والنهى عن ترك الدعوة والحركة.

إن هذه الأوامر عند الالتزام بها، وتلك النواهى عند اجتنابها هى التى تبنى المجتمع المسلم بناء صحيحًا قادرًا على العطاء، وعلى أن يحمل الناس الخير والهدى حيثما كانوا.

والتربية الاجتماعية الإسلامية لا تجد مصدرًا يمدها بالقيم التى تربى عليها الناس إلا فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهى إذ تجعلهما مصدريها تأمن من كل عثرة فى طريقها وتطمئن إلى سلامة مسارها نحو تربية الأجيال.

- ورصد الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى وضعت النظم والتشريعات والأخلاق والآداب التى تحكم الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع، وتلزم بهذه النظم وتعاقب من لم يلتزم بها سواء أكانت العقوبات دنيوية كالحدود والقصاص والتعزيرات أم كانت أخروية بين يدى الله تعالى يوم القيامة، وتكل أمر تطبيق هذه النظم والقوانين إلى حاكم وحكومة لها من الحقوق على الناس ما هو معروف ومقرر فى الكتاب والسنة، وعليها من الواجبات ما هو معروف كذلك.

والاستعانة بهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على إقرار هذه النظم والتشريعات فى المجتمع، على اعتبار أنها دعم وترسيخ للقيم التربوية الاجتماعية وتمكين لها من أداء وظائفها بعد اقتناع الناس بها وبجدواها والتزامهم بكل قيمة من قيمها، وذلك توثيق وتأصيل للتربية الاجتماعية الإسلامية ليس كمثله توثيق أو تأصيل.

وبعد:

فهذا منهجنا فى هذا الكتاب الخاص بالتربية الاجتماعية الإسلامية آثرنا أن نوضحه ليكون القارئ على علم؛ بأن كل مفردة من مفردات التربية الإسلامية العشر، ما لم تؤيد

بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فإن انتسابها للإسلام يكون محتاجًا إلى الدليل مفتقراً إلى الحجة والبرهان.

وإذا كان هذا منهجنا فى تأليف الكتاب، فما منهج التربية الاجتماعية الإسلامية وما دعائمه ومرتكزاته؟

ذلك ما نوضحه بإذن الله تعالى فى الصفحات التالية، ومن الله العون والتوفيق.

٥- منهج التربية الاجتماعية الإسلامية ومرتكزاته

للتربية الاجتماعية الإسلامية منهج تتميز به عن سائر مفردات التربية الإسلامية، بحيث يظهر فيها التوجه الاجتماعى على أى توجه، وتعلو فيه القيم الاجتماعية بحيث تتصدر غيرها من القيم.

- ولابد للتربية الاجتماعية الإسلامية أن تأخذ المجتمع فى اعتبارها الأول، ولأن المجتمع عدد من الأسر كان من الضرورى أن توجه اهتمامها للأسرة، ولأن الأسرة عدد من الأفراد كان الفرد يشغل حيزاً كبيراً من اهتمام التربية الاجتماعية، ولأن المجتمع لا تستقيم حياته من غير حاكم وحكومة تعمدت التربية الاجتماعية أن تولى الحكومة جل اهتمامها، وأن تحدد لكل من الفرد والأسرة والمجتمع والحكومة ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.
- إن منهج التربية الاجتماعية يقوم على تربية العناصر التى تكّون الأمة وهى: الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، تربية إسلامية نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهى بهذه التربية تضمن لكل من هذه العناصر الأربعة أن تؤدى وظيفتها فى الحياة خير أداء، وأن تتجنب المتاعب والمشكلات، وأن تشق طريقها بأمان نحو تحقيق سعادة الدنيا والآخرة.

● وهذه العناصر الأربعة:

- الفرد.
- والأسرة.
- والمجتمع.
- والدولة.

هى مرتكزات التربية الاجتماعية الإسلامية ومنطلقات عملها وهى تغرس قيمها فى نفوسهم.

● وفى حديث وجيز عن مرتكزات التربية الاجتماعية الإسلامية الأربعة نقول:

أ- بناء الشخصية المتكاملة للإنسان.

لأن الإنسان قد كرمه الله وفضله على كثير من خلقه، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعًا، كان اهتمام الإسلام به عظيمًا، وجاءت التربية الاجتماعية الإسلامية فى عنايتها ببناء الإنسان المسلم اجتماعيًا لتؤكد اهتمام الإسلام والتربية الإسلامية عمومًا بهذا الإنسان.

- ومن أجل أن التربية الاجتماعية تقوم على توجيه علاقات الإنسان بما يحيط به، توجهت التربية الاجتماعية إلى رعاية هذه العلاقات وتنميتها نحو الأفضل للإنسان فى دنياه وآخرته ونحو ما يرضى الله تبارك وتعالى.

وهذه العلاقات هى:

- علاقة الفرد بربه سبحانه وتعالى.

تقيم التربية الاجتماعية الإسلامية هذه العلاقة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

- وعلاقة الفرد بغيره من الناس.

وتقيمها على أسس المودة والرحمة والتقدير والاحترام والتعامل مع الجميع بالعدل والإحسان، والتعاون معهم على البر والتقوى.

- وعلاقته مع المجتمع والدولة.

وتقيمها على الطاعة والاحترام وتقديم النصح وأداء الواجبات وممارسة الحقوق المشروعة والحريات المنضبطة.

- وعلاقته بالشيطان وقوى الشر.

وتقيمها على أساس أن الشيطان عدو مبين، وأن قوى الشر جميعًا من الإنس والجن عدو للإنسان يجب أن يحذرها ولا يستجيب لها فى شىء.

ب- بناء الأسرة الصالحة.

تنظر التربية الاجتماعية الإسلامية إلى الأسرة على أنها أهم وحدة فى المجتمع؛ إذ هى التى

تمده بأعضائه الصالحين، لذلك تحرص على أن تربى هؤلاء الأعضاء داخل الأسرة تربية صالحة شاملة.

وهذه التربية الشاملة تتناول:

التربية الدينية.

والتربية الروحية والخلقية.

والتربية العقلية والثقافية.

والتربية السياسية والاقتصادية.

والتربية الجهادية.

والتربية الجمالية.

جـ- بناء المجتمع الصالح.

وتنظر التربية الاجتماعية الإسلامية للمجتمع على أنه محكوم بروابط إنسانية لا ظلم فيها، ولا تمييز بين طبقة وأخرى، وعلى أن جميع ما فيه من نظم وقوانين ينبغى أن تكون لصالح الناس عمومًا.

وعلى أن أهم روابط المجتمع هو رباط العقيدة وعبادة الله وحده وما يتفرع عن هذه العقيدة والعبادة من قيم ومعايير هى من صنع الله تعالى لا من صنع الإنسان.

والتربية الاجتماعية الإسلامية تربى المجتمع على وجوب المحافظة على عقيدته فى توحيد الله تعالى خالقًا وربا ورازقًا... والمحافظة على القيم التى جاءت بها هذه العقيدة، لأنها القيم التى تكفل للمجتمع كله كل حقوقه، وتلزمه بأداء واجباته وتمنع الظلم بكل أنواعه وتهيئ للناس حياة دنيوية سعيدة وحياة أخروية يرضى عنها الله تبارك وتعالى.

د- بناء الدولة الصالحة.

والدولة هنا تعنى: الإمامة أو الخلافة أو الرئاسة أو الحكومة ولا تكون صالحة إلا إن كانت مختارة وفق نظام الشورى وحرية الاختيار.

● وتحرص التربية الاجتماعية الإسلامية على أن توضح للناس حقوق هذه الدولة على الناس، وواجباتها نحوهم بكل عدالة وبكل حياد، وتربى الناس والدولة على احترام هذه الحقوق

وأداء هذه الواجبات، بل تجعل ذلك مما يتقرب به الإنسان إلى خالقه سبحانه وتعالى.

● وحقوق هذه الدولة التى كفلها الإسلام لها هى:

- طاعة الناس لها فيما تأمر به أو تنهى عنه، بشرط ألا يكون من المعاصى.

- واحترام الناس لها بالاستجابة لما تندبهم إليه من عمل مشروع.

- وتقديم النصح لها فى أى أمر من أمورها، حتى لو لم تطلب هى هذه النصيحة.

- وتقديم العون المادى والمعنوى لها، ما دامت فى حاجة إليه.

- واعتبار إرادتها فوق إرادة الأفراد والجماعات.

- والتسليم لها بالسلطات العديدة التى تكفل الاستقرار فى المجتمع، كسلطة التشريع وسلطة القضاء وسلطة التنفيذ، وعدم منازعتها فى هذه السلطات.

- وأن يراقب الناس أداءها وممارستها لحقوقها وأن يطالبوها بأن تعتدل فى حكمها أو تعتزل لتحل محلها حكومة أصلح منها.

● كما تحرص التربية الاجتماعية الإسلامية على توضيح واجبات الحكومة نحو الناس، وهذه الواجبات هى:

- إقامة العدل بين الناس، والمساواة بينهم فى الحقوق والواجبات، ويدخل فى هذا العدل والمساواة عشرات الفروع بل مئاتها، مما يمثل حقوقًا للمواطنين على الدولة كحق العمل والكسب والتملك، وحق التعليم والرعاية الصحية، وحق المسكن، وحق الأمن، والحق فى الحريات المعروفة...

- والقيام بتطبيق شرع الله وما يشتمل عليه من قوانين ونظم من خلال سلطتها التنفيذية بعد الممارسة التشريعة والقضائية.

- وتأمين إداراتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية والصحية بتنظيم هذه الإدارات ومتابعتها، ومساءلة المسئولين عنها عند كل قصور أو تقصير.

- وأن تكون الحكومة مسئولة عن إداراتها وأجهزتها أمام المجتمع أو أمام بعض هيئاته التى انتخبت انتخابًا حرًا خاليًا من الشوائب، وأن تكون لبعض هذه الهيئات الحق فى عزل الحكومة عند التقصير.

- وتأمين المجتمع ضد الفقر والجهل والمرض والخوف والإرهاب وحبس الحريات، وضياع الحقوق أو انتقاصها، وضد الظلم والتفرقة بين الناس، وضد كل ما يخل بكرامة الإنسان.

- وتأمين المجتمع ضد الجريمة والمجرمين أفراداً وجماعات، وضد كل ما يضر بالمجتمع من خمور ومخدرات وفواحش وآثام، أى ضد كل ما حرم الله تعالى.

- وتأمين المجتمع ضد أعدائه المتربصين به أو المعتدين عليه، وعليها أن تتخذ لذلك جميع الأعمال والإعدادات العلمية والفنية والعسكرية.

وبعد:

فتلك مرتكزات التربية الاجتماعية الإسلامية أو منطلقات الإصلاح لها، وهى فى مجموعها الذى أشرنا إليه فى اختصار شديد فى تربية الإنسان والأسرة والمجتمع والدولة تمثل منهجها فى التربية.

غير أن اتضاح أبعاد هذا المنهج سوف يتحقق بالحديث عن أهداف التربية الاجتماعية، ثم عن وسائل التربية الاجتماعية فى تحقيق هذه الأهداف، والله المستعان.

* * *

ثالثًا: أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية

التربية الاجتماعية الإسلامية تدور مع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حيث دارا، وتشتق أهدافها منهما، وهي بهذا الالتصاق بالكتاب والسنة تضمن السلامة والأمن، وتبعد عن المبالغة والتهوين بالنسبة لهذه الأهداف.

- وكل هدف من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية يعد قيمة من القيم الإسلامية التي يبنى عليها المجتمع ويقام على أحسن الأسس وأقومها وأنفعها للناس.

وهذه الأهداف في إجمال هي:

- إحياء سنة التعارف بين الناس وتحبيب الاختلاط بهم.
- ومقاومة العزلة عن الناس إلا في الفتن الكبرى.
- واحترام حقوق الفرد والمجتمع والإلزام بواجباتهما.
- وإعلاء شأن الأسرة في المجتمع.
- وإخلاء نظم المجتمع مما حرم الله تعالى.
- والوصول بالمجتمع المسلم إلى التضامن والتكافل.
- والعمل على استقرار القيم الإسلامية في المجتمع.

- وما دامت هذه الأهداف اجتماعية تربوية فلابد أن نضع الأسرة نواة المجتمع في أعلى درجات الاهتمام، ولابد أن تكون الأسرة منبعًا ومحضنا ومنطلقًا للقيم الاجتماعية الإسلامية مادامت على الأرض حياة للإنسان.

وإلى تفصيل الحديث عن هذه الأهداف، ومن الله تعالى العون والمدد والتوفيق.

الهدف الأول: من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية:

هو: إحياء سنة التعارف بين الناس وتحبيب الاختلاط بهم.

الإنسان اجتماعي بحكم فطرته التي فطره الله عليها. فهو من النواحي النفسية والعقلية والاجتماعية لا يستطيع أن يعيش في معزل عن الناس، ولا في غنى عن تبادل المصالح معهم.

إن الإنسان فى صفاته الحيوية له مطالب أولية ليعيش، فلابد له من الطعام والشراب والملبس والمأوى والزواج والأبناء والأسرة- أى حفظ النوع- ولابد له من عمل وكسب وإنتاج . . . وكل ذلك لا يمكن أن يحققه الإنسان وحده، بل لابد أن يحتاج إلى غيره من الناس وأن يحتاج بعض الناس إليه، وذلك معنى من معانى الاجتماع الإنسانى.

● والإنسان المسلم -بوجه خاص ومن منطلق دينى إسلامى- مدعو إلى التعارف بالناس والتآلف معهم والتعاون معهم على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا . . .**﴾ [الحجرات: ١٣] وقال الله تعالى: ﴿**. . . وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . . .**﴾ [المائدة: ٢].

- والتعارف بالناس يقتضى الاختلاط بهم والتآلف معهم أى حبهم وحب الخير لهم، وهذا الاختلاط يقتضى فى بعض الأحيان الصبر على متاعب بعضهم وأذاه، لأن ذلك من صميم دين الإسلام، فقد روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

- والتآلف مع الناس مطلب شرعى يجب أن يحرص عليه المسلم استجابة لأخلاق الإسلام واعتصاما بحبل الله وبعداً عن الفرقة وجلبًا للمصالح ودرءاً للمفاسد، قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا . . .**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة».

- وهذا التآلف ينبغى أن يُنَمَّى حتى يصل إلى درجة الحب فى الله، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن رجلاً زار أخًا له فى الله فأرصد الله له ملكًا فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخى فلانًا، فقال: ألحاجة لك عنده؟ قال: لا، قال: لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا، قال: فبنعمة له عندك؟ قال: لا، قال: فَبِمَ؟ قال: أحبه فى الله، قال: فإن الله أرسلنى إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه، وقد أوجب لك الجنة**».

- **وهذا الاختلاط بالناس الذى يجب أن يولد الألفة والمحبة بينهم هو شرع ونظام جاء فى** الأديان السماوية كلها، فقد روى عدد من علماء المسلمين بأسانيدهم قالوا: **أوحى الله**

تعالى إلى داود عليه السلام، فقال: يا داود مالى أراك منتبذاً وحيداً؟ قال: إلهى، قليت الخلق من أجلك، فقال: يا داود كن يقظًا، وارتد لنفسك أخدانًا، وكل خدن لا يوافقك على مسرتى، فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك عنى».

- والإسلام دين دعوة إلى الله وحركة بالدين فى الناس وفى الآفاق، بل دين فتح للبلاد وتحريرها من عبادة العباد إلى عبادة الله، فقد روى مسلم بسنده عن جابر بن سمرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لتفتحن عصابة من المسلمين كنز آل كسرى الذى فى الأبيض».

وروى أحمد بسنده عن بشر بن سحيم الخثعمى رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: «لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش» قال: فدعانى مسلمة بن عبد الملك[1] فسألنى فحدثته فغزا القسطنطينية.

- والمسلمون خير أمة أخرجت للناس لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وكيف يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دون اختلاط بالناس وصبر عليهم؟

- والمسلمون أمة الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، فكيف يكون الجهاد دون اختلاط بالناس ودعوتهم وإقناعهم وضمهم إلى صفوف المجاهدين؟

- وقد حبب الرسول ﷺ فى الاختلاط بالناس والجماعة، فيما رواه أحمد بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة، وإياكم والشعاب، وعليكم بالعامة والجماعة والمسجد».

- وإحياء سنة التعارف بين الناس، لها أهداف ووسائل عديدة نوضحها فيما يلى:

أ- أهداف التعارف بالناس والاختلاط بهم:

التربية الاجتماعية الإسلامية تصوغ الإنسان وفق قيم اجتماعية توجب عليه أن يختلط بالناس، بل يندمج بهم، يؤثر فيهم ويتأثر بالصالح منهم، ويتآلف معهم بل يؤاخيهم فى الدين.

وهذه التربية الاجتماعية إنما كانت اجتماعية لأنها تجمع بين الناس على التآلف والمحبة والتآخى، بل تجمع بينهم على احترام القيم الإسلامية والالتزام بها.

---

(١) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان توفى ١٢٠ هـ فتح القسطنطينية سنة ٩٦ هـ وغزا الترك والسند سنة ١٠٩ هـ وتولى إمرة العراقين وأرمينية، وقال عنه الإمام الذهبى: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته.

وأما تفصيل أهداف التعارف بالناس والاختلاط بهم فنوضح ذلك فيما يلي:

١ - تشجيع الناس على طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ:

وذلك أن إحياء سنة التعارف في الناس والاختلاط بهم والتآلف معهم وحبهم ومؤاخاتهم، إنما هو استجابة لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، فقد قال الله تعالى: ﴿...**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**...﴾ [الحجرات: ١٣]. وروى أحمد بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

وفي حياة الرسول ﷺ القدوة الحسنة في مخالطته الناس وصبره على أذاهم، فقد أفاضت كتب سيرته ﷺ في ذلك:

- ومن ذلك ما تحمله من أذى أبي جهل وسفهه، ومن أذى عقبة بن أبي معيط، وأم جميل وغيرهم، وما تحمله هو ومن آمن معه من الحبس ثلاث سنوات في شعب بني هاشم مما اضطروا معه إلى أكل ورق الشجر، وما تحمله في الطائف يوم ذهب يدعو أهله إلى الله.
- وإحياء سنة التعارف بين الناس والاختلاط بهم طاعة لله تعالى ولرسوله، وكل طاعة لله ولرسوله عز وتمكين ونصر وفتح باب توفيق، بل نفع للمسلمين في دينهم ودنياهم.

• وللتعارف على الناس والاختلاط بهم فوائد جليلة عني العلماء بجمعها وحصرها، ومن هؤلاء العلماء الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله فقد جمعها في سبع فوائد هي:

- التعلم من الغير، وتعليم الغير.
- والنفع للناس، والانتفاع منهم.
- والتأدب من مخالطة الناس، وتأديبهم بالقدوة ونحوها.
- والاستئناس بالناس، وأنسهم بمخالطتهم.
- ونيل الثواب من خدمة الناس، وإنالتهم الثواب بحسن صحبتهم والقيام بالحقوق.
- واعتياد التواضع في مخالطتهم؛ لأن التواضع مطلب شرعي.
- واستفادة التجارب والخبرات من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها.

٢- وهداية الضال وتسديده:

وهذه الهداية للضال تحمل نفعًا مزدوجًا لمن اهتدى ولمن تسبب فى هداه فى الدين والدنيا معا، فهى للمهتدى نقل له من الباطل إلى الحق، ومن الضلال إلى الهدى، وهى لمن هَدَى غيره خير له من حمر النعم، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

- والتعارف على الناس والاختلاط بهم عون لهم على أن ينتصروا على شياطينهم من الإنس أو الجن الذين يزينون لهم الضلال، وفى ذلك هداية لهم إلى الله وإلى الحق وحفز لهم على الاستزادة من علم الدين ومعرفة مفرداته وأخلاقه وآدابه لكى يستمر على هذا الهدى.

ومن هنا تظهر أهمية الدعاة والحركيين وأهمية ما يقومون به من عمل فى تبصير الناس وتنويرهم وتسديد خطاهم نحو صراط الله تعالى حتى لا تتفرق بهم السبل.

- والذى نشاهده عند سقوط أحد الناس فى المعصية أن يكون فى الغالب قد خلا بنفسه الأمارة بالسوء، وانفرد به شيطانه فأضله، إذ لو كان معه صاحب لذكره بربه سبحانه وكان عونًا له على رفض التردى فى هوة المعصية وذلها.

- وأحيانًا نشاهد أحد الذين اهتدوا فدخلوا فى عز الطاعة لله تعالى قد ضعف وتراجع وانتكس، وعندئذ يكون بحاجة إلى من يأخذ بيده ويسدد خطاه، ويعينه على أن يعود إلى الطاعة ويثبت عليها، وينفره من المعصية، وذلك عمل الدعاة إلى الله تعالى فهم الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويعينون على طاعة الله تعالى.

- وإن ما أصاب المسلمين اليوم من ضعف وعجز وتبعية وتخلف عن ركب العلم وضلال عن طريق الحق له أسباب عديدة، لابد أن يكون منها معصية الله بالبعد عن كتاب الله الذى أمر باتباعه: ﴿**وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ...**﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وليس أحسن عند الله من هداية عباده إليه سبحانه وتعالى.

٣- ودعوة غير المؤمنين بالله تعالى إلى الدخول فى الإيمان بالله تعالى:

الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا يدخلون فى دينه الخاتم مساكين غلبت عليهم شقوتهم وأضلتهم شياطينهم، وهؤلاء عوامل هدم للقيم الاجتماعية الصحيحة وعناصر إفساد للمجتمع، ولا عاصم لهم من ذلك إلا الإيمان بالله تعالى وخوف عقاب الآخرة.

- وما نقرأ فى تاريخ الأمم عن مجتمع لا إيمان فيه إلا كان مجتمعًا فاسدًا مضطربًا يأكل فيه القوى الضعيف، وتثور فيه الحروب والمنازعات لأتفه الأسباب؛ لأن من شأن الإيمان بالله

تعالى وبدينه الخاتم أن يحول بين الظلم وأن يمنع العدوان ويقضى على المطامع والأهواء.

- وجاهليات الأمم هى التى فقد فيها الناس الإيمان فثارت بينهم الحروب لأتفه الأسباب، حتى وإن كانت أمما معاصرة فإنها تعيش جاهلية بهذه الحروب التى تحركها المطامع والأهواء.

- ومن أجل ذلك كانت دعوة الناس إلى الإيمان بالله وبمنهجه ونظامه أهم أهداف الاختلاط بالناس والتعاون معهم على البر والتقوى، وذلك عمل جليل يقوم به فى كل عصر رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من دعوة إلى الله وحركة بدينه وتحمل للمشاق وصبر على أذى الناس حتى يدخلوهم عن اقتناع فى الإيمان والهدى دون ضغط أو إكراه، فلا إكراه فى الدين، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

- ومن أجل ذلك أيضاً تعادى حكومات الظلم الدعاة إلى الله والمتحركين بدينه فى الناس، وتعتبر الجهاد فى سبيل الله جريمة، وتتآمر مع أعداء الله وأعداء الإسلام فى الشرق والغرب على حربهم والتضييق عليهم، غافلين جميعاً عن الحق والخير والهدى.

٤- وتبصير الناس بقضاياهم الاجتماعية:

الاختلاط بالناس والتعارف عليهم والتآلف معهم يستهدف - من وجهة نظر التربية الاجتماعية الإسلامية - تبصير الناس بقضاياهم الاجتماعية ليكونوا على علم بها، وتكون لديهم قدرة على التعامل معها، بحيث كلما أشكلت إحداها استطاعوا حل إشكالها.

● وأهم القضايا التى تعد موضع اهتمام التربية الاجتماعية الإسلامية هى:

- قضية الزواج وأسس اختيار الزوج أو الزوجة.
- وقضية حقوق كل من الزوجين نحو الآخر وواجبه.
- وقضية تربية الأبناء وتعليمهم.
- وقضية المرأة العاملة، بين بيتها وعملها.
- وقضية البطالة، أسبابها وعلاجها.
- وقضية العجز عن العمل أو فقده.
- وقضية الفقر بدرجاته المتعددة.
- وقضية الجهل والأمية والتسرب من التعليم.

- وقضايا التعليم العديدة فى مراحله كلها.
- وقضية المرض وقاية وعلاجا وتداويًا، وقضية الصحة.
- وقضية الجريمة؛ انتشارها والوقاية منها.
- وقضية الحقوق الاجتماعية للفرد وللمجتمع.
- وقضية التأمين الاجتماعى، بين الفرد والمجتمع.
- وقضية الضمان الاجتماعى، وحق المواطن على الدولة.
- وقضية التضامن والتكافل الاجتماعيين.
- وقضية التخلف الاجتماعى أسبابه وعلاجه.

● إن التربية الاجتماعية الإسلامية توظف الاختلاط بالناس بوصفه من سنن الإسلام ومن دواعى الفطرة فى الناس، لتبصر من خلاله الناس أفرادًا وجماعات ومجتمعا وحكومة بأهم القضايا الاجتماعية تحللها وتردها إلى أسبابها وتعالج ما يشكل منها؛ بأسلوب يهدى إليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسائر التشريعات الإسلامية، وفى مقدمتها اجتهادات علماء المسلمين.

● ولنضرب على ذلك مثالاً بقضية واحدة هى: قضية التخلف الاجتماعى؛ مثلاً:

● وتبصير الناس بهذه القضية يعنى أن يعرفوا أهم أسبابها من:

- انتشار العادات والتقاليد البالية التى لا تجد لها مساغًا فى نظام الإسلام ومنهجه، وعلومه وثقافته.
- والحرمان من التعليم أو الإهمال فيه أو فى تعميمه مما يؤدى إلى انتشار الجهل والأمية والتخلف.
- وهبوط المستوى الثقافى والعلمى والمعرفى والفنى والجمالى.
- وفقد الرعاية الصحية بإهمال المرافق العامة والبنى التحتية وعدم الاهتمام بالطب الوقائى أو العلاجى.
- وإهمال رعاية اليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل.
- وعدم توفير فرص العمل الشريف الذى يحقق للإنسان كفايته من احتياجاته الأساسية.

– وعدم تأمين المرأة والطفل، وتجاهل حاجات الشيخوخة.

– وشيوع الرشاوى والفساد وعدم الشفافية فى الأجهزة الحكومية.

● مع تبصير الناس بما يترتب على التخلف الاجتماعى من آثار سيئة تعود على الفرد والجماعة والمجتمع، والتأكيد على قدرة الإسلام على علاج كل ما يترتب على التخلف الاجتماعى.

٥- والتعاون على جلب المصالح ودفع المفاسد:

هذا التعاون من أهداف الاختلاط بالناس والتآلف معهم، وقد أخذته التربية الاجتماعية الإسلامية من القرآن الكريم مباشرة فقد قال الله تعالى: ﴿ ... **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ... ﴾ [المائدة: ٢].

ومعنى الآية الكريمة – فيما نحن بصدده –: تعاونوا على جلب المصالح فهى بر وخير ونفع للمسلمين، متآزرين فى تعاونكم بتقوى الله تعالى، ولا تتعاونوا على القيام بأعمال تؤثم صاحبها، وإنما ادفعوا هذه الأعمال عنكم.

● وبالتعاون على البر والتقوى يستطيع الإنسان أن يجلب المصالح الآتية فى دنياه وآخرته:

– عبادة الله وحده بل إخلاص العبادة له سبحانه، مما ينقى عقله وقلبه من الشرك والخرافة والوهم، ومن الغل والحسد، وفى كل ذلك مصالح دينية دنيوية.

– والتقدم فى مجالات العلم والعمل والفن والإبداع والتقدم، فهذه الأمور لا تتم بغير التعاون بين الناس.

– والتقدم فى المجالات الحيوية فى حياة الإنسان فى الزراعة والصناعة والاقتصاد والتجارة والتقنية، فعمود ذلك كله التعاون على جلب المصالح.

● وبالتعاون على دفع المفاسد يستطيع الإنسان أن يدفع عن نفسه المضار والمفاسد التالية:

– الشرور والآثام والجرائم التى تلحق بالإنسان ضرراً فى دينه ودنياه، فبغير التعاون لا يستطيع الإنسان أن يقضى على تلك الأضرار.

– وأسباب الضعف والتخاذل التى يوسوس بها شياطين الإنس والجن، التى تقعد عن طلب الرزق وطلب العلم والسعى إلى ما فيه صالح الدنيا والآخرة، لولا التعاون ما أمكن لإنسان وحده أن يدفع هذه الأسباب.

- ودفع الأعداء والانتصار عليهم فى معارك الحق، وما أكثر أعداء الإسلام، أعداء الله ورسوله الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر، ويحاربونهم فى كل بقاع الأرض، ويكيدون لهم، ويشجعون بعض المسلمين على الكيد للإسلام والمسلمين!

- وليس كيد الأعداء مقصوراً على أمور الدين بتشويهه واتهامه ولكنها تتعدى ذلك إلى أمور الدنيا من تقدم علمى وفنى واقتصادى -وانظر تحديهم لقيام وحدة بين المسلمين أو قيام سوق مشتركة فضلاً عن وحدة اقتصادية أو سياسية!!!

- إن العالم المعادى كله شرقه وغربه، وثنييه ومسيحييه ويهوده يقفون لهذه الوحدة بكل مرصد، ويخططون ويتعاونون فيما بينهم على ذلك -على الرغم مما بينهم من عداء- ويبذلون فى سبيل منع هذه الوحدة ما استطاعوا من جهد ووقت ومال وعلم وسلاح.

- وإن اختلاط المسلمين وتعارفهم وتآلفهم وتعاونهم وتآخيهم فى الدين هو البداية الحقيقية لهذه الوحدة بين دول المسلمين، وبغيرها سوف تظل دول الإسلام رازحة تحت نير التبعية للغرب أو للشرق، للصليبيين أو لليهود، ولن تقوم لهم قائمة تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم ضد أعدائهم، فضلا عن أن يأخذوا زمام المبادرة، فتكون لهم الكلمة العليا ولمنهج الحق الذى يؤمنون به قدرة على تحقيق العدل بين الناس.

٦- ترسيخ روح التضامن والتكافل

هذا التضامن والتكافل بين المسلمين هدف من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية، وهى تستمد هذا الهدف من النصوص الإسلامية الكثيرة فى الكتاب والسنة، فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ١٠]، والأخوة من مقتضياتها الأولية التضامن والتكافل.

وقد جاءت عشرات الأحاديث النبوية التى تؤيد هذا التضامن والتكافل وتدعو إليهما، وتقرر أنهما من صفات المؤمنين الثابتة التى لا تفارقهم إلا عندما يفارقهم إيمانهم وإسلامهم.

- فقد روى مسلم بسنده عن النعمان بن بشير الأنصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

- وروى البيهقى بسنده عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل النحلة، إن أكلت أكلت طيبًا، وإن وضعت وضعت طيبًا، وإن وقعت على

عود نَخِر لم تكسره، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب إن نفخت عليها، احمرت وإن وزنت لم تنقص».

– وروى البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل جليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة».

– وروى الطبرانى –فى الكبير– بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل النخلة، ما أخذت منها من شىء نفعك».

– وروى الطبرانى –فى الكبير– بسنده عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتى كالمطر، يجعل الله فى أوله خيراً وفى آخره خيراً».

● ويفهم من هذه الأحاديث النبوية الشريفة ما يجب أن يكون بين المؤمنين من تضامن وتكافل فى السراء والضراء وحين البأس، فهم فيما أنابهم كالجسد الواحد، وهم بعضهم لبعض كالمطر يجعل الله فى أوله خيراً وفى آخره خيراً –أى السابقون منهم واللاحقون– وعندما يختلطون ويتعارفون ويتآلفون ويتضامنون ويتكافلون يكون كل منهم لأخيه كالنخلة ما أخذ منها من شىء نفعك، وكالنحلة لا تأكل إلا طيباً ولا تضع إلا طيباً، وكسبيكة الذهب وكحامل المسك، لا يكون من أحدهم نحو أخيه إلا أن يجلب له خيراً، أو يدفع عنه شراً؛ فقد روى أبو نعيم –فى الحلية– بسنده عن سلمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن وأخيه كمثل الكفين، تُنَقِّى إحداهما الأخرى».

– وروى ابن شاهين[1] –فى كتابه السنة– بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى».

٧– وتعويد الناس وتدريبهم على التمسك بقيم الإسلام:

اختلاط المؤمنين بعضهم ببعض يقوى عزائمهم على فعل الخير، ويشجعهم جميعًا على التمسك بقيم الإسلام ومعاييره، لأن المؤمنين فى اختلاط بعضهم ببعض وتعارفهم وتآلفهم لهم أخلاقهم بوصفهم جلساء صالحين وإخوة مؤمنين يعين كل منهم أخاه على ذكر الله وفعل الخير، ويذكر كل منهم من نسى هذا الذكر.

(١) هو عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين (٢٩٧–٣٨٥ هـ) علامة واعظ من حفاظ بغداد له ثلاثمائة مصنف.

- والمؤمنون عندما يختلط بعضهم ببعض على تعارف وتآلف وتآخ فى الله، فمعنى ذلك أن تسودهم وتسود حياتهم وسلوكهم القيم الإسلامية، وهى قيم تؤدى إلى النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة، وتحقق للناس جميع الناس عدلاً ومساواة فى الحقوق والواجبات وأمنا واطمئنانا وسعادة فى الدنيا والآخرة.

- وإن المسلمين يوم تسودهم القيم والمعايير الإسلامية سوف ينتصرون فى كل معركة، وأولى هذه المعارك هى معاركهم مع أهوائهم وشهواتهم وشياطينهم ممن يزينون لهم الباطل ويصرفونهم عن الحق، فالقيم الإسلامية تجعلهم فى يقظة وفى حصانة من كل شر، وأهل قدرة على التخلص من السلبيات والأضرار التى تلحق الناس عندما تسودهم قيم غير إسلامية.

● ومن سنن الله تعالى فى الكون من يوم أنزل خاتم كتبه على خاتم رسله ﷺ؛ أن التمسك بالقرآن الكريم وبسنة النبى ﷺ مخرج من كل فتنة وشر. بل مخرج من كل ضيق وهم؛ فقد روى الدارمى بسنده عن على رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن» قلت: وما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله، كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذى من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبًا، هو الذى من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم».

● والذى نحب أن نؤكده اليوم وفى كل يوم أن المسلمين فى أى زمان أو مكان لا يصيبهم الضعف والضر والشر إلا بسبب تركهم لكتاب الله تعالى وسنة نبيهم ﷺ، وتركهم الحكم بما أنزل الله، واتخاذهم دستوراً غير القرآن الكريم ومنهاجًا غير سنة الرسول ﷺ، والتماسهم الحلول لمشكلاتهم فى غير الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة. ولو أراد المسلمون فى أى زمان ومكان أن يهتدوا فلا يضلوا أبدا، وأن يعزوا فلا يذلوا أبداً، وأن ينتصروا فى كل معركة فلا ينهزموا أبداً، وأن يباعدوا بين أنفسهم وبين الكفر والظلم والفسق فإن الطريق إلى ذلك هو الحكم بما أنزل الله، والتمسك بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ فقد روى الحاكم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ : « تركت فيكم شيئين لم تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتى، ولن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض ».

● ومما أحب أن أؤكده مرة بعد مرة؛ أن أعداء الإسلام والمسلمين يعملون بكل جد ودأب، ويتخذون لذلك كل الأسباب لكى يعزلوا المسلمين عن الإسلام منهجًا لحياتهم ونظامًا لأمورهم، وكثيراً ما يغرون غافلى المسلمين على أن يكونوا معهم فى هذه المحاولات وكثيراً ما يستجيب لهم هؤلاء الغافلون.

– وتخطيط الأعداء لعزل الكتاب والسنة عن حياة المسلمين تخطيط فيه مهارة ودهاء، وفيه مغالطات وافتراءات، وهم على ذلك كله مصرون يموت أحدهم ولا يرى الإسلام وقيمه ومعاييره قد سادت حياة المسلمين، وينفق أحدهم معظم ما يملك[1] لكى يكيد للإسلام والمسلمين.

● وأضعف الإيمان بالسنة للمسلمين فى مواجهة أعدائهم العتاة، وفى رد كيدهم إلى نحورهم هو تمسك المسلمين بالكتاب والسنة، واتخاذ ما فيهما منهجًا لحياتهم فى كل شعبة من شعبها.

ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

* * *

(١) فعل ذلك الأمير الإيطالى : ليون كايتانى (١٢٨٦–١٣٤٥هـ/١٨٦٩–١٩٢٦م) مستشرق رحل إلى الهند وإيران والشام ومصر، ألف كتاب تاريخ الإسلام ولم يكمله، وأنفق جل ماله على البحوث والدراسات التى أراد أن يعرف منها : « سر المصيبة الإسلامية » هذا تعبيره عن الإسلام!!!

الهدف الثانى : من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية

هو : مقاومة العزلة عن الناس إلا فى الفتن :

لتوضيح هذا الهدف يقتضينا الأمر أن نتحدث عن ثلاث نقاط :

الأولى : حكم العزلة عن الناس.

والأخرى : سلبيات العزلة وعيوبها.

والثالثة : أساليب مقاومة العزلة عن الناس.

النقطة الأولى : حكم العزلة عن الناس :

إذا كان الاختلاط بالناس من سنن الإسلام -كما أسلفنا- فإن اعتزال الناس إماتة لهذه السنة.

وإذا كانت فوائد الاختلاط بالناس على النحو الذى بينا آنفا؛ فإن مضار اعتزال الناس هى تضييع هذه الفوائد من جانب وما يضاف إليها من أضرار سنوضحها بعد قليل من جانب آخر.

- فالعزلة عن الناس غير جائزة لهذين السببين ولغيرهما مما سنوضحه فيما بعد.
- والذين أجازوا اعتزال الناس شرطوا لجوازها خوف الفتنة بين المسلمين وتأريث الخلاف والتنازع والتخاصم.
- ومما لا يجيز العزلة بالإضافة إلى ما ذكرنا :

- ما يترتب على العزلة من مضار أنها تعوق مسيرة المجتمع نحو الهداية وفعل الخير، لفقد المذكِّر عند النسيان والمعين عند التذكر؛ إذ كيف يتم ذلك مع العزلة؟
- والعزلة عقبة فى طريق كثير مما فرضه الله على عباده القادرين مثل : الدعوة إلى الله، والحركة بدينه فى الناس والآفاق، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله ليكون منهجه هو السائد فلا يعبد غير الله فى الأرض؛ فلقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ، فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء، فقال واحد من القوم : لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب، ولن أفعل ذلك حتى أذكره

لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله خير من صلاته فى أهله ستين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة؟ اغزوا فى سبيل الله، فإن من قاتل فى سبيل الله فواق[1] ناقة أدخله الله الجنة».

– والعزلة عن الناس بمعنى هجرهم مطلقًا، غضبًا عليهم أو ضيقًا بهم لا قائل به من علماء المسلمين، ولا هو بجائز شرعًا.

– أما إذا كانت العزلة لبعض الوقت ولأسباب مقبولة فهى جائزة، بشرط ألا يزيد الوقت عن ثلاثة أيام، لما روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، والسابق يدخل الجنة»، ولما رواه أبو داود بسنده عن أبى خراش السلمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه».

– والأسباب التى تبيح للمسلم العزلة عن أخيه المسلم أهمها سببان:

الأول منهما:

أن يكون فى اعتزاله أو هجره صلاح للمهجور، ومثَّل العلماء لذلك بمثلين من عمل الرسول ﷺ: «هجره زوجاته شهرًا كاملاً وأمره المسلمين بأن يعتزلوا كعب بن مالك رضى الله عنه عندما تخلف عن غزوة تبوك، ثم تاب الله عليه.

والآخر منهما:

أن يكون فى الاعتزال والهجر سلامة للمهاجر من بوائق المهجور، لما رواه ابن عدى بسنده عن عائشة رضى الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه[2]».

● وأما العزلة خوف المشاركة فى الفتنة أو التسبب فى زيادة الشر فيها؛ فهى جائزة، بشرط أن تكون الفتنة عامة يلحظها كل من تدبر أمر الناس؛ لما رواه أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما؛ قال: لما ذكر رسول الله ﷺ الفتن ووصفها، وقال: «إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا» وشبك بين أصابعه، قلت: هكذا؛ فما تأمرنى؟ فقال: «الزم بيتك وأمسك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر،

---

(١) الفُواق والفَواق: الوقت بين الحلبتين للناقة.

(٢) البوائق جمع بائقة وهى الداهية.

وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة».

ولما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «ستكون فتن؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجئًا أو معاذًا فليعذ به».

ولما رواه البخارى بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاهق إلى شاهق».

والنقطة الثانية: سلبيات العزلة وعيوبها:

العزلة تفوت على المسلمين كل فوائد الاختلاط بالناس من: التعلم، والتعليم، والنفع، والانتفاع، والتأدب، والتأديب، والاستئناس والإيناس، ونيل الثواب، وإنالته، واعتياد التواضع، واستفادة الخبرات والتجارب.

– وكل ما يفوت مصالح الدين أو الدنيا مرفوض شرعًا، لأن الأصل فى اجتماع المسلمين هو تعاونهم على جلب المصالح لا تضييعها.

وقد نصح الإمام الشافعى – رحمه الله – صاحبه وتلميذه يونس بن عبد الأعلى الصدفى[1] بالتوسط فى أمر الانقباض عن الناس– أى العزلة– والانبساط إليهم –أى المبالغة فى الاختلاط بهم– فقال له: «الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط».

● وفى نظرة سريعة فى تاريخ الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء الصالحين نقول: إن العزلة عن الناس فى زمن الرسول ﷺ؛ لم تكن واردة على بال أحد، ولو وردت لمنعها رسول الله ﷺ.

– وبعد وفاته ﷺ، وحدوث النزاع بين بعض المسلمين فى خلافة عثمان رضى الله عنه ثم خلافة على رضى الله عنه، بدا لبعض الصحابة أن يعتزل الفتنة ففعل كسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد رضى الله عنهما، وكان لهما مبررهما.

– أما سائر الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وتابعوهم وكبار الأئمة رحمهم الله فقد كانوا

(١) هو يونس بن عبد الأعلى الصدفى (١٧٠–٢٦٤ هـ) من كبار فقهاء مصر، انتهت إليه رياسة العلم بمصر، وبخاصة فى الحديث والأخبار، قال عنه الشافعى: ما رأيت بمصر أعقل من يونس.

يحبون مخالطة الناس ويحببون الناس فيها –على الرغم من أن بعضهم قد مر بظروف فتنة –لكنه آثر أن يختلط بالناس لأنه لم يرها فتنة عامة، ومن هؤلاء سعيد بن المسيب، والشعبى وابن أبى ليلى، وهشام بن عروة بن الزبير، وابن شبرمة، وشريح القاضى، وشريك بن عبد الله، وسفيان بن عيينة وابن المبارك، والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم رحمهم الله تعالى.

● ومن رغب عن الاختلاط بالناس وفضل العزلة لغير سبب من السببين المبيحين لها فهو مقصر فى حق نفسه وفى حق دينه وفى حق المجتمع الذى يعيش فيه:

– مقصر فى حق الدعوة إلى الله التى أمر الله بها كل قادر عليها إذ كيف يدعو إلى الله وهو معتزل من يدعوهم؟

– ومقصر فى دينه ودنياه لأنه فوت على نفسه وعلى الناس تلك الفوائد السبع –التى ذكرنا– والتى هى من ثمرات الاختلاط بالناس.

– ومقصر فى حق نفسه لأنه فوت على نفسه أن يؤثر فى أحد الناس فيهديه إلى الحق، وفى ذلك ما فيه من الأجر.

– ومقصر فى تطبيق سنن الإسلام الذى أوجب أن يكون المسلم مع العامة والجماعة، حتى لا يعبث به الشيطان وحيداً عن إخوانه، لأنه إنما يأكل من القاصية والناحية.

– ومقصر فى أن يفوّت على نفسه وعلى المجتمع فضيلة التعاون على البر والتقوى، وفضيلتى التضامن والتكافل، فكل تلك الفضائل لا تتم إلا بالاختلاط بالناس.

– ومقصر فى الاهتمام بأمر المسلمين والتعرف من قرب على مشكلاتهم وقضاياهم، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فقد أسهم بهذا فى أن يزيد عدد المشكلات وتراكمها دون حل.

– ومقصر بشكل ما فى عدم الاهتمام باليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل، وإذا أهمل هؤلاء كثر الشر والفساد وزاد عدد الأشرار والمفسدين.

والنقطة الثالثة: كيفية مقاومة العزلة عن الناس:

مقاومة العزلة عن الناس تعنى ربط الناس أفرادا وأسراً وجماعات بعضهم ببعض فى السراء والضراء، مما يعود على المجتمع كله بالخير والتقدم والازدهار.

وهذه الكيفية التى نقاوم بها العزلة عن الناس تعنى عملين:

الأول منهما:

دمج الفرد فى الأسرة بحيث يكون له فيها أثر وفاعلية.

وهذا الدمج يقتضى أموراً من أهمها:

– أن توضح للفرد وظيفته فى أسرته، أبا كان أو أمًا أو أخًا أو أختًا، مع تبصيره بأن الأسرة كيان اجتماعي يجب المحافظة عليه وأداء الواجبات نحو هذا الكيان، فلكل فرد فى الأسرة عمل يجب أن يؤديه ما دام قادراً عليه.

وكل هذه الواجبات قد أوجبها الإسلام، وجعل للقيام بها ثوابا، وللقعود عن أدائها عقاباً.

– والتربية الاجتماعية الإسلامية لا تعفى أحداً فى الأسرة من أن يكون عليه واجب نحوها، حتى الصغار – ما داموا مدركين– فإن عليهم واجبات نحو أسرتهم تناسب مستواهم، وذلك أن الفرد جزء من الأسرة عليه واجبات نحوها كما أن له حقوقًا عليها.

● والنصيحة التى أقدمها إلى بعض الأسر التى لا تكلف أبناءها بأى واجبات تدليلاً لهم، هى أن يكلفوهم ببعض الأعمال التى تناسب أعمارهم، وكلما تقدم بهم زادت تكاليفهم، فذلك أنفع للأبناء وللأسر وللمجتمع كله، وهو أولاً وأخيراً أرضى لله تعالى.

– إن هذه التكليفات ببعض الأعمال للأبناء تنشئهم على أن يعتمدوا على أنفسهم، وأن يفهموا الحياة بشكل أدق وأحسن وأن يواجهوا حياتهم فيما بعد بشخصية أنضج دينيًا ونفسيًا وعقليًا واجتماعيًا، شخصية فاعلة عاملة متعاونة، وليس هناك أحد من المسلمين يعفيه الإسلام من العمل إلا إن كان عاجزاً عن القيام به، فالعمل مطلب شرعى لا يختلف على وجوبه أحد.

والآخر من هذين الأمرين هو:

دمج الأسرة المسلمة فى غيرها من الأسر المسلمة.

وهذا الدمج للأسرة يعنى أن الأسر هى المجتمع إذ الأسرة وحدة المجتمع، ولا مجتمع بغير أسر، ولا أسرة فى غنى عن المجتمع.

– إن دمج الأسرة فى المجتمع يعنى أن تعرف وظيفتها فيه وأن تؤدى واجباتها نحوه.

ونحاول هنا أن نشير بإيجاز إلى وظائف الأسرة وهى:

● الإيجابية والنشاط الاجتماعى، ويكون ذلك بالعمل على:

- وضع التدابير والسياسة التى تؤدى إلى تحسين مستوى المعيشة.
- ومقاومة الانحطاط الاجتماعى، بدعوة الناس إلى التمسك بالقيم الإسلامية فى حياتهم.
- والقيام بالخدمات الاجتماعية للناس ليعيشوا حياة إنسانية كريمة.
- والعمل على زيادة قدرات الناس على الاستفادة من الطاقة المتاحة إلى أقصى حد، وهذا العمل هو: التنمية الاجتماعية.
- ومحاولة الوصول إلى التضامن الاجتماعى، تمهيداً للوصول إلى التأمين الاجتماعى ضد المشكلات والمخاطر.

وربما كان كثير من هذه الأعمال هى أعمال الحكومة، ولكن الأسرة تستطيع أن تسهم فى القيام ببعض هذه الأعمال.

● ومن وظائف الأسرة: الدفاع الاجتماعى:

وهو جملة أعمال تؤديها الأسرة أهمها:

- مقاومة الانحراف عن القيم الخلقية الفاضلة التى جاء بها الإسلام لحماية المجتمع.
- ومقاومة الانغماس فى الرذائل وأهمها التسيب والتهرب من تحمل المسئولية، وسائر القيم الخلقية الراذلة.
- ومقاومة الجريمة صغيرة أو كبيرة، والتضييق على المجرمين وحصارهم اجتماعيًا، حتى يتوبوا.

● ومن وظائفها: الخدمة الاجتماعية:

حيث تستطيع الأسرة أن تقدم الخدمة الاجتماعية لأفرادها وللناس جميعًا، عندما تقوم - وفى حدود إمكاناتها - بالأعمال التالية:

- دفع الحاجة المادية أو المعنوية عن المحتاجين، فذلك يضمن للإنسان حياة إنسانية كريمة.
- ومساعدة الآخرين على الوصول إلى مستوى معيشى أحسن.
- وتفقد أحوال من يحيطون بالأسرة وتوثيق الصلة بهم لتشجيعهم على الالتزام بالعمل وبذل الجهد فى سبيل تحسين الحياة الإنسانية.

● إن دمج الفرد فى الأسرة، ودمج الأسرة فى المجتمع هو الوقاية من العزلة، ومما قد تجره العزلة على أصحابها من أمراض نفسية واجتماعية خطيرة فى الإضرار بالفرد والمجتمع على السواء.

● وإن الأسرة المسلمة يجب أن تربى أبناءها تربية إسلامية لا تسمح لهم بالانعزال عن المجتمع، وهى الحارس الأمين على المجتمع قيمه ومبادئه بل مرافقه، وهى فى تلك الحراسة أفعل من أى أجهزة حكومية بالغة هذه الأجهزة ما بلغت من الدقة وحسن الأداء.

والأسرة بهذا تمارس وظائفها الاجتماعية التى كلفها بها الإسلام، ولا تستطيع أن تقصر فيها كى لا تقع فى الإثم والمعصية، وهذه الوظائف الاجتماعية للأسرة المسلمة لها ما يؤصلها فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

● فوظيفة الفاعلية والنشاط الاجتماعى فى كل عمل، هى قيمة إسلامية رفيعة تسمى: «الإخلاص» وهو مطلب إسلامى أصيل، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ...** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وروى الترمذى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم؛ إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحوط من وراءهم».

● ووظيفة مسئولية الأسرة عن أفرادها وعن المجتمع، نابعة من أن منهج الإسلام لا يترك أحداً دون أن يكون له عمل أو وظيفة، يتحمل مسئولية ذلك أمام الله وأمام الناس، قال الله تعالى: ﴿ **... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وروى أحمد وأبو داود والترمذى بأسانيدهم كما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

● ووظيفة الأسرة: التخفيف من وطأة المظالم الاجتماعية بكل أنواعها سياسية أو اقتصادية أو معنوية، وأصل ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ [يونس: ٥٤]. وروى مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرمًا بينكم فلا تظالموا...».

● هكذا يقاوم الإسلام العزلة عن الناس، سواء كان المعتزل فردًا أو أسرة أو جماعة، ولا تعلل في اعتزال المجتمع بخشية بطش حكومات الظلم والفساد وبخاصة في العالم الثالث التي تنتهك فيه حقوق الإنسان إن شارك في شيء لا يعجب الحكومة كمد يد العون لأسرة اعتقلت الحكومة عائلها(١) -كما يحدث في معظم بلدان العالم الثالث - فلقد جاء في إحصائيات منظمة العفو الدولية لعام ٢٠٠٠م: «إن ثلثي دول العالم متهمة بانتهاك حقوق الإنسان بشكل أو بآخر، حيث رصدت المنظمة انتهاكات في حوالي ١٤٤ دولة من بينها ٣٨ دولة أصدرت أحكام إعدام دون إجراء محاكمات عادلة، و٦١ دولة متهمة باعتقال السياسيين المعارضين، و٣٨ دولة متهمة بتعذيب السجناء.

وفي كل الدول التي شملها التقرير، يعتبر السجن والتعذيب، والاغتيال هي أدوات الحكومة الرئيسة لإخراس المعارضة، والبقاء أطول وقت ممكن في السلطة»(٢).

● هذا الانتهاك لحقوق الإنسان جعل بعض الأفراد والأسر بل بعض الجماعات تنادي باعتزال المجتمع...

وهذه الدعوة إلى اعتزال المجتمع ليس لها سند شرعي من الكتاب أو السنة النبوية، وإنما هي رد فعل لما يعانيه بعض المسلمين من انتهاك لحقوقهم يبلغ أحيانًا حد القتل، وذلك أن العزلة لا تجوز إلا في أحوال الفتنة العامة التي يخشى فيها أن يشارك الإنسان في زيادتها، عندئذ تجوز العزلة إلى أن تزول الفتنة.

* * *

(١) كان ذلك أسلوب حكومة عبد الناصر بُعيد استيلائه على الحكم من الرئيس محمد نجيب، فمن كان يتبرع لأسرة معتقل بخمسة قروش يُقبض عليه ويعذب ويسجن خمس سنوات، والعشرة بعشرة وهكذا...!!!

(٢) جريدة الأهرام في ١١/٢/٢٠٠١م ص٧ إعداد غادة الشرقاوي.

الهدف الثالث : من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية

هو : احترام الحقوق والواجبات للفرد والمجتمع

تنظر التربية الاجتماعية الإسلامية إلى الحقوق والواجبات للفرد والمجتمع على أنها من الأسس التى يقوم عليها بناء المجتمع الإنسانى الراشد، والكتاب والسنة فيهما كثير من الشواهد على ذلك :

– قال الله تعالى : ﴿ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٥] .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وقال : ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة : ٤] .

فما تعليم الله تعالى للإنسان وتكريمه إياه وحمله فى البر والبحر ورزقه من الطيبات وتفضيله على كثير من خلق الله، إلا حقوق منحها إياه خالقه سبحانه، فلا يجوز لأحد أن يهدرها أو ينتقص منها.

– وروى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده؛ لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه، وأن نظن به إلا خيراً » .

– وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سباب المسلم أخاه فسوق وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه » .

● وإنما كان للإنسان هذه الكرامة وتلك الحرمة لأن الله تعالى شرفه بأن خلقه ونفخ فيه من روحه، وعلمه البيان وعلمه ما لم يكن يعلم، وخلقه فى أحسن تقويم، وسخر له ما فى السموات والأرض جميعًا كما دلت على ذلك الآيات الكريمة والأحاديث النبوية .

● هذا الإنسان تقرر احترامه فى الكتاب والسنة فأصبح هذا الاحترام فريضة من فرائض الإسلام، وما يجادل فى ذلك إلا الذين يجهلون الإسلام أو يحقدون عليه، فيكذبون فيما يقولون ويزورون .

● هذا التكريم والتشريف والاحترام أوجب للإنسان حقوقًا عديدة نادى بها الإسلام قبل أن يسمع العالم كله عن تلك الحقوق بما يقرب من ستمائة عام[1]، وهذه الحقوق التى أقرها الإسلام للإنسان يقابلها بواجبات يقوم بها ولا يعفى من القيام بها إلا من عجز عنها، ومن هذه المنظومة -الحقوق والواجبات- يستطيع الإنسان أن يحيا على مستوى التكريم والتشريف الذى خصه به الله تبارك وتعالى.

● وهذه الحقوق التى كفلها الإسلام للإنسان لها خصائص، أهمها:

- أن هذه الحقوق كثيرة تتناول كل شعبة من شعب الحياة مهما دقت أو صغرت حتى تصل إلى حقه فى أن يبتسم له من يقابله من الناس، وحقه فى أن يماط الأذى عن طريقه. وأن ينصر ظالما بكفه عن الظلم ومظلومًا بأخذ حقه له.

- وأن هذه الحقوق ليس القصد من إقرارها وتشريعها فى الإسلام مجرد الاعتراف بها، وإنما الهدف هو تحقيقها وتطبيقها وحمايتها من أى انتهاك أو انتقاص، فلمن احترمها وأداها حسن الثواب عند الله تعالى، وعلى من ضيعها أو انتقصها عقاب الدنيا والآخرة.

- وأنها حقوق للفرد والمجتمع بمعنى أن احترامها هو تقدير للفرد والأسرة والمجتمع جميعًا، لأن الفرد جزء من أسرة، والأسرة جزء من المجتمع، وانتهاكها أو انتقاصها إهانة للفرد وللأسرة وللمجتمع كله، كما يتضح ذلك من تشريعات الإسلام.

- وأن هناك توازنًا دقيقًا موضوعيًا بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع وواجبات كل منهما، وإنما كان ذلك بسبب أن واضع نظام الحقوق والواجبات هو رب الناس أجمعين، فهو لا يحابى الفرد على حساب المجتمع كما فعل «الرأسماليون»، ولا يحابى المجتمع على حساب الفرد كما فعل الشيوعيون والاشتراكيون، وإن كان الشيوعيون يغالطون، إلى أن أوصلتهم المغالطة إلى الانهيار المدوى المخزى على مستوى العالم كله.

فما هى حقوق الإنسان كما أقرها الإسلام؟

* * *

---

(١) أكدنا ذلك فى كتابنا: التربية السياسية الإسلامية -نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢١ هـ الموافق ٢٠٠٠م.

١- حقوق الفرد على المجتمع

حقوق الفرد أو الإنسان على المجتمع أو الدولة أكدتها النصوص الإسلامية فى الكتاب والسنة، وسبقت بها العالم كله بما يقرب من ستمائة عام[١]، وقد كفل الإسلام للإنسان حقوقًا عامة خمسة يندرج تحتها عشرات الحقوق، وهى مكفولة مرعية إلى يوم القيامة وهى ما تلتزم الشريعة الإسلامية بالمحافظة عليها، وهى :

- حقه فى نفسه أى فى الحياة دون إلحاق ضرر بحياته أو بدنه.
- وحقه فى عقله بحيث لا يتعرض له أحد بالإضرار.
- وحقه فى ماله بحيث لا يعتدى عليه أحد.
- وحقه فى نسله بحيث لا يحال بينه وبين الزواج والنسل ولا يتعرض له أحد بالإضرار.
- وحقه فى دينه بحيث تكفل له حرية التدين، ولا يتعرض له بالأذى فى دينه أحد من الناس.

● وفى كل من هذه الحقوق وردت آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة نستشهد ببعضها فيما يلى :

أ- حقه فى الحياة؛ بصيانة نفسه وجسمه من أى عدوان يقع عليه بدليل قول الله تعالى :

﴿ ... وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ... ﴾ [الأنعام : ١٥١].

بل صان الإسلام النفس عن أن يقتلها صاحبها فحرم قتل الإنسان نفسه قال الله تعالى :

﴿ ...وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٩].

والمسلم والذمى والمعاهد سواء فى حق الحياة.

روى الحاكم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا».

---

(١) أول وثيقة وأقدمها فى العالم هى ما سميت «الماجنا كارتا» التى أصدرها الملك الإنجليزى «جون» سنة ١٢١٥م أى بعد ظهور الإسلام بما يقرب من ستمائة عام، وآخر وثيقة لحقوق الإنسان هى ما أعلنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠/١٢/١٩٤٨، وهى وثيقة تحترمها الدول الضعيفة أما الدول القوية صاحبة حق «الفيتو» فتعصف بها عيانا بيانا!!!

وروى النسائى بسنده عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «من قتل نفساً معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة».

ب- وحقه فى صيانة عقله، ولذلك حرم الإسلام كل ما يضر بالعقل كالخمر والمخدرات ونحوها، بل جعل عقوبة لمن يعرض عقله أو عقل غيره للتلف.

وصيانة هذا العقل حق رئيس من حقوق الإنسان مؤمنا كان أو غير مؤمن، والعقل من وجهة نظر الشرع هو أهم ما يميز الإنسان فهو مناط التكليف.

- والذين يعرضون العقل للضرر نوعان:

- الشياطين الذين يضلون الناس، ومن ضل عقله كان كمن لا عقل له، قال الله تعالى: ﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا**﴾ [النساء: ١١٧-١١٩].

- والسادة والكبراء وبعض الضالين من الناس، قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا**﴾ [الأحزاب: ٦٦، ٦٧]. ومن ضل عقله كان كمن فقده، وقد دخل فى المعصية بتزيين هؤلاء الشياطين والسادة والكبراء والمضللين، ومن عصى الله فقد ضل، قال الله تعالى: ﴿**... وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

- وفى تحريم ما يضر العقل من خمر وميسر واتخاذ أصنام وأزلام قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ٩٠].

وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته**».

جـ- وحقه فى صيانة ماله، وذلك أن المال تدرك به المصالح الدينية والدنيوية، وبغيره لا يستطيع الإنسان أن يمارس أسباب حياته الدنيا، لذلك تعوذ رسول الله ﷺ من الفقر، فقد روى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «... اللهم

إنى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة . . . » وفى رواية : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر . . . » .

● وتقدير الإسلام للمال وحرصه على صيانته لصاحبه جاءت فيه آيات وأحاديث منها :

قول الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٨٨] .

وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « . . كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه . . . » .

د- وحقه فى صيانة عرضه ونسله، فقد أوجب الإسلام العفة والإعفاف، وحرم الزنا ودواعيه وأمر بحفظ الفروج وغض الأبصار عن النظر إلى ما حرم الله، وفرض عقوبة على الزنا، وحظر الخلوة بالأجنبية وحرم اللواط والسحاق، وكل ما هو شاذ فى التعبير عن الرغبة الجنسية، وفى ذلك آيات كريمة عديدة وعشرات الأحاديث النبوية .

- قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ [الإسراء : ٣٢] . وقال جل وعلا : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا . . .** ﴾ [النور : ٣٠، ٣١] .

- وروى الطبرانى -فى الأوسط- بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، يخرج منه الإيمان فإن تاب رجع إليه » .

هـ- وحق الإنسان فى أن يتدين ويصان دينه، والدين والتدين اختيار وحرية إرادة لا إكراه فيه، فإن اختار أحد الناس الإسلام دينا فقد أحسن إلى نفسه فى اختيار الدين الخاتم الذى أتمه الله وأكمله ورضيه للبشرية كلها دينًا .

● وحرم الإسلام الإكراه على الدخول فى الدين، قال الله تعالى : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ . . .** ﴾ [الكهف : ٢٩] .

ولذلك حرم الإسلام العدوان على الدين، أو منع المتدين من ممارسة تدينه.

وما عُرف فى تاريخ المسلمين وتاريخ فتوحاتهم الذى بلغت نصف الدنيا فى نصف قرن تقريباً بعد وفاة الرسول ﷺ، ما عرف عنهم أنهم أكرهوا أحداً على الدخول فى دين الإسلام، وإنما تركوا أهل الكتاب من يهود ونصارى وما يدينون به، بل احترموا دور العبادة كلها من صوامع وبيع، وما اضْطُهد أحد فى دولة الإسلام من أجل دينه ولا ظُلم ولا كُلف ما لا يطيق ولا حيل بينه وبين عبادته، حتى إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما ذهب إلى بيت المقدس لم يصل داخل كنيسة القيامة خشية أن يأتى من بعده من يقول: ها هنا صلَّى عمر ويتخذها مسجداً، وكل مخالفة لمنهج الإسلام فى التعامل مع أهل الأديان إنما هى خطأ من بعض المسلمين، ولا تحسب بحال على الإسلام ومنهجه ونظامه، وكل دين له من المؤمنين به الملتزمين بمنهجه وغير الملتزمين، ولا يعيب ذلك الدين فى شىء وإنما يعيب جهلة المتدينين.

* * *

٢- حقوق المجتمع على الفرد

سبق أن قلنا إن حقوق الفرد على المجتمع هي واجبات المجتمع نحو الفرد، ونقول هنا: إن حقوق المجتمع على الفرد هي واجبات الفرد نحو المجتمع.

- والمجتمع المسلم أو الحكومة المسلمة تقدر الفرد وتحترمه لأنها تستمد شرعيتها منه ومن إرادته واختياره، فهي -مثلاً- لا تفرق بين فرد وآخر بمقتضى لونه أو الإقليم الذى يعيش فيه، أو بمقتضى ثروته أو فقره، لأنه مجتمع يؤمن بالدين الذى ينادى بأن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وبأنه لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالعمل الصالح.
- وهذا الموقف من المجتمع المسلم نحو الفرد موقف إنسانى، لم تعرفه الإنسانية على هذا النحو إلا فى الإسلام، أما مجتمعات الغرب أو الشرق من غير المسلمين فيمارسون التمييز العنصرى بين الناس تبعًا لألوانهم وأقاليمهم، ثم يدعون التحضر ويزعمون أنهم يحرصون على حقوق الإنسان!!! إنه عالم غارق فى بحر لجى من التفرقة بين الناس على أساس الجنس والدين واللغة واللون.
- إن الإسلام يعتمد تبادل المصالح بين الفرد والمجتمع من خلال ممارسة كل منهما لحقوقه وأدائه واجباته، ويرى أن تبادل هذه المصالح هو الذى يحقق الوئام بين الناس ويسلُّ من نفوس بعضهم الحقد على بعض، ومن أجل تحقيق هذا الوئام فقد شرَّع نوعين من التشريع أحدهما للفرد والآخر للمجتمع.

- فمن تشريعات الإسلام للفرد ليقوم بواجبه نحو المجتمع:

أ- تشريع الزكاة:

وهى فرض على كل قادر عليها، يعطيها لثمانية أنواع من الناس حددتهم الآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

والزكاة قدر معين من جميع ما تؤدى فيه الزكاة من زروع وثمار وماشية وعقار ومال.

ب- وتشريع البذل والتضحية:

وهذه التضحية تكون بالمال أو الجهد أو الوقت، ولكنها ليست على سبيل الفريضة، وإنما

هى من الأعمال الفاضلة التى يثيب الله تعالى فاعلها أحسن الثواب، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

وكل هذه الصدقات موجهة نحو المجتمع ولصالحه.

جـ- وتشريع إعمار الأرض والبحر:

وذلك بزرع الأرض وتحريم تركها بورا، وبالبحث عن مكنوناتها كلها والاستفادة منها، وصيد البحر واستخراج ما فيه من لآلئ وأصداف ونحوهما، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا...﴾ [النحل: ١٤].

وروى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كانت له به صدقة».

د- وتشريع نشر العلم وتحريم كتمانه:

وذلك أن التعلُّم واجب شرعى على كل مسلم، والعلم مطلب إسلامى معزز بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وقال جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ...﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وروى ابن عبد البر بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شىء حتى الحيتان فى البحر».

وروى البيهقى بسنده عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا العلم وعلِّموه الناس».

وروى ابن عدى -فى الكامل- بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كتم علماً عن أهله أُلجم يوم القيامة لجاماً من نار».

هـ- وتشريع بناء المساجد وإعمارها:

وذلك أن المسجد أهم مؤسسة دينية اجتماعية، وكل مسلم قادر؛ مطالب بأن يسهم فى بناء المسجد أو يستقل ببنائه إن استطاع وأن يعمره بالتعبد فيه، والعناية به وبمرافقه، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ [التوبة: ١٧، ١٨].

- ولذلك كان من أعظم الذنب وأكبر الجرم، أن يهمل المسجد، أو يخرب أو يمنع عباد الله عن بيوته وهى المساجد، وقد فعل الطغاة ذلك على فترات من تاريخنا، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا...**﴾ [البقرة: ١١٤].

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة».

و- وتشريع الجهاد فى سبيل الله تعالى:

والجهاد وإن كان يحقق صالح الفرد فى دينه ودنياه إلا أن مصلحة المجتمع فيه واضحة تمام الوضوح، فالجهاد يرد عن المجتمع أعداءه ويؤمن البلاد والعباد من كل عدو معتد أو متربص.

- والجهاد فرضه الله تعالى على كل قادر عليه، قال الله تعالى: ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: ٤١].

وروى البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أى الناس أفضل؟ قال: «**مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله...**».

وروى أبو داود بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أى العمل أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد فى سبيله».

ز- وتشريع وجوب طاعة الحاكم فى غير معصية لله تعالى:

وذلك التشريع بطاعة الحاكم تأمين للمجتمع مهما كان ما يأمر به الحاكم من بذل للمال أو الجهد أو الوقت أو التضحية بالنفس ما دام ذلك فى طاعة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ...**﴾ [النساء: ٥٩].

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن يعصنى فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن يعص الأمير فقد عصانى».

وبعد: فهذه تشريعات تصب فى صالح المجتمع، ثم تئول إلى أن تكون فى صالح الفرد بوصفه جزءاً من المجتمع.

● وفى مقابل هذه التشريعات التى توجب واجبات على الفرد نحو المجتمع، فإن هناك تشريعات توجب واجبات على المجتمع نحو الفرد، تعد حقوقًا للفرد يجب على المجتمع احترامها.

ومن هذه التشريعات:

أ- تشريعات تأمين المجتمع للفرد من الناحية الاجتماعية:

وذلك يتناول أعمالاً تأمينية من أهمها:

- تأمين الفرد صحيًا وقاية له من الأمراض، وعلاجا له إن مرض.
- وتأمينه تعليميًا أى إتاحة الفرص له ليتعلم ويتثقف بإنشاء المدارس والجامعات ومعاهد التدريب الحرفى.
- وتأمينه من حيث حصوله على العمل الشريف والكسب والتملك.
- وتأمينه ضد العجز عن العمل لمرض أو شيخوخة أو نحوهما.
- وتأمينه ضد الجريمة والمجرمين بالنهى عن المنكر ومحاربة المنكرات وأهلها ومعاقبتهم.

ب- وتشريعات توجب على المجتمع -الحكومة- تأمين الفرد سياسيًا:

وذلك يتناول أعمالاً ذات أهمية بالغة منها:

- تأمين حق الفرد فى الحريات كلها: حرية التفكير والتعبير، وحرية التنقل والإقامة، وحرية النقد والاعتراض، وحرية الترشح للمجالس بمختلف درجاتها وحرية الانتخابات وشفافيتها، وحرية التملك والعمل والكسب والإنفاق، وحرية اختيار الزوج وتربية الأبناء.

وكل تلك الحريات وغيرها مما لم نذكر هي حقوق للفرد على المجتمع أو الحكومة، فإن منعت الحكومة هذه الحقوق أو انتقصتها فإنها تفقد صفتها واعتبارها لأنها حكومة بقيامها ورعايتها لهذه الحقوق.

● ومن أهم حقوق الفرد على المجتمع أو واجب الحكومة نحو الفرد:

- أن يشعر بأنه يعيش آمنا فى وطنه، آمنا من الظلم والسجن والاعتقال والتعذيب البدنى أو النفسى، ومصادرة أمواله وأملاكه، وحقه فى أن يحاكم أمام قاضيه الطبيعى لا العسكرى ولا العرفى.

- وأن يشعر بالأمن على وطنه من عدو خارجى يتهدده، أو عدو يفرض عليه سلطانه السياسى أو الاقتصادى أو الثقافى دون حرب وقتال.

وبعد: فإن تبادل الفرد والمجتمع تلك الحقوق والواجبات هو معامل الأمان للحياة الإنسانية الكريمة، فما الوسائل التى تكفل لكل منهما ممارسة حقوقه والقيام بأداء واجباته؟

* * *

٣- وسائل احترام حقوق الفرد والمجتمع وواجباتهما

تلك الوسائل حيوية بل ضرورية وكلها جاءت بها التربية الاجتماعية الإسلامية، بل ألزمت بها الفرد والمجتمع ومن هذه الوسائل:

أ- التوعية بهذه الحقوق والواجبات:

وتتم هذه التوعية من خلال مؤسسات وآليات نذكر منها:

- الأسرة (أبوين وإخوة كباراً) وهى المصدر الأول للتربية والتوعية.
- والمسجد وهو أوثق مصادر التربية، والمسلم أكثر تردداً عليه من تردده على المدرسة والنادى.
- والمدرسة بمعناها الواسع الذى يضم الجامعة، فهى المختصة بالتوعية على أعلى مستوى لها، فهى توعية قائمة على العلم والمعرفة.
- والنادى بمختلف أنواعه الرياضى والاجتماعى والسياسى، فتلك مهمة النادى إلى جانب أنشطته المعتادة.
- والنقابات المهنية.
- والأحزاب السياسية.
- والجمعيات الأهلية.

كل هذه المؤسسات عليها واجب توعية المواطن بحقوقه حتى يتمسك بها ويحافظ عليها ويدافع عنها ضد كل منتقص لها أو منتهك.

وكل توعية للإنسان بحقوقه وواجباته تنمى فيه الإحساس بالمسئولية والاعتزاز بوطنه والتمسك بكرامته.

ب- وتوضيح العقوبات والزواجر التى يواجه بها من انتهك حقًا أو قصر فى أداء واجب:

بشرط أن يكون هذا التوضيح مستلهمًا ما جاء فى الكتاب والسنة من هذه العقوبات والزواجر، لأنها أعدل العقوبات والزواجر، إذ هى من وضع رب الناس الذى لا يحابى أحداً على حساب أحد.

مع توضيح أهمية هذه العقوبات فى إحداث الاستقرار الاجتماعى على مستوى الفرد والمجتمع -الحكومة- إذ يحفظ تطبيقها للفرد كرامته وحقوقه ويلزمه بواجباته، وكذلك المجتمع.

وهذا التوضيح يتطلب أموراً هامة منها:

- تربية الفرد والمجتمع على احترام العقوبات والزواجر، والخضوع لها عند التقصير أو الإهمال.

- وتبصير الفرد والمجتمع بأن تطبيق هذه العقوبات طاعة لله ورسوله، ومغفرة للذنوب بإذن الله تعالى.

- وتعويد الناس على أن تكون العقوبات والزواجر هى العلاج لأى انحراف اجتماعى، وهى السبيل إلى القضاء على الجريمة وعلى كل أنواع الخلل الاجتماعى.

جـ- وتربية الفرد والمجتمع على المحافظة على المرافق العامة:

وذلك أن هذه المرافق ملك عام للمجتمع أى لجميع الناس، وهى حق للمواطنين جميعًا، ومن هنا كانت المحافظة عليها محافظة على الحقوق وحرصًا على أداء الواجبات.

ولقد نهى الإسلام عن الإفساد عمومًا، وعن إفساد ما فيه صالح الناس خصوصًا، وإهمال المرافق إفساد لها، وقد نهى الله عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [الأعراف: ٨٥] وقال جل شأنه: ﴿ **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٧].

وبعد: فهذه هى بعض الوسائل التى تلجأ إليها التربية الاجتماعية الإسلامية من أجل احترام حقوق الفرد والمجتمع وواجباتهما.

فما الأهداف التى تسعى إليها التربية الاجتماعية الإسلامية من وراء المحافظة على الحقوق والواجبات؟

ذلك ما نوضحه فى الصفحات التالية والله الموفق.

* * *

٤ – أهداف احترام الحقوق والواجبات

لا شك أن التربية الاجتماعية الإسلامية تريد أن تبنى مجتمعًا إنسانيًا سليما من الأمراض الاجتماعية، قادرًا على أن يمارس الحياة الدنيا بأسلوب تتحقق له فيه السعادة الدنيوية، وقادرًا على أن يمارس هذه الحياة الدنيا وفق منهج الإسلام الذى يحقق له سعادة الحياة الآخرة التى هى الحياة الأبدية.

من أجل ذلك حرصت التربية الاجتماعية الإسلامية –بما اتخذته من وسائل لاحترام الحقوق والواجبات –على أن تحقق أهدافًا تسهم فى بناء المجتمع الإنسانى القادر على أن يحقق لنفسه من خلال الكتاب والسنة سعادة الدنيا والآخرة.

ومن هذه الأهداف الإنسانية النبيلة:

أ– تحقيق الوئام بين الناس، وتأكيد أنه لا تضارب بين مصالح الناس ولا بين حقوقهم أو واجباتهم لو التزم كل منهم بمنهج الإسلام فى التعامل مع غيره.

ومعنى ذلك أن يحل التعارف والتآلف والتواد والتراحم والتعاون على البر والتقوى والتضامن والتكافل، محل النزاع والخصام وتضارب المصالح وغمط الحقوق وإهمال القيام بالواجبات.

ب– ومقاومة الانحراف عن منهج الله تعالى المؤدى الانحراف عنه إلى شيوع الجريمة وكثرة عدد المجرمين.

ومقاومة هذا الانحراف تعنى منع وقوع الجريمة أكثر مما تعنى العقاب على وقوعها، وتعنى التضييق على المجرمين وحصارهم فى أضيق نطاق أكثر مما تعنى تطبيق العقوبات على من ارتكب الجريمة.

كما أن مقاومة الانحراف عن منهج الله ونظامه تعنى أن تطبق العقوبات على كل من أجرم غنيًا كان أو فقيرًا، وقويًا كان أو ضعيفًا، وذا سلطة وجاه أو ممن لا سلطة لهم ولا جاه.

جـ– وتحقيق العدالة والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات وفى ممارسة الحريات بحيث يعبر كل إنسان عن ذاته وعن طموحه المشروع، وأن يفعل المجتمع –الحكومة– نفس الفعل، فى ظل نظام اختاره الله تعالى وختم به إنزال الكتب وإرسال الرسل لما فيه من الكفاية والقدرة على تحقيق الحياة الإنسانية الكريمة.

ومعنى ذلك القضاء على كل مظاهر التمييز بين الناس، فالفرد يعبر عن ذاته وطموحه بطاقاته وإبداعاته، والمجتمع يعبر عن ذاته وطموحه بعلمائه ومؤسساته وبرامجه الإصلاحية.

د- ومقاومة الصراع الطبقى أو العرقى أو الحضارى بين الناس ليحل محله ذلك الوئام والتعاون مهما اختلفت الطبقات وتعددت الأجناس والأعراق والألوان، لأن الناس جميعًا لآدم وآدم من تراب، فالقرآن الكريم يعلن: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..** ﴾ [الحجرات: ١٣].

وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بآبائها؛ مؤمن تقىّ وفاجر شقى، والناس بنو آدم وآدم من تراب».

هـ- وتطبيق الأخوة فى الدين تطبيقًا عمليًا، بمعنى القيام بكل واجباتها، والتمتع بسائر حقوقها، وفى ذلك من الأمن الاجتماعى ما فيه فى الحياة الدنيا، ولما فيه فى الحياة الأخرى من منزلة عالية عند الله: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

و- وتأمين حقوق غير المسلمين فى المجتمع المسلم، لأن ذلك من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية؛ لأنها توظف طاقات الفرد والمجتمع لخدمة الإنسانية كلها، مؤمنها وكافرها سواء فى تأمين الحقوق والواجبات.

وذلك أن العلم والإبداع والكشف والاختراع منحة من الله لعباده مؤمنين وغير مؤمنين، فيجب أن يستفيد به كل عباد الله؛ فمن آمن منهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضاء الله تعالى وقدره فقد أحرز لنفسه سعادة الدنيا والآخرة، ومن شاء أن يكفر بذلك فليس لأحد أن يكرهه على الإيمان، ولكن الكافر قد وضع نفسه بكفره فى المكان الذى أعده الله للكافرين به يوم القيامة.

ونختم الحديث عن هذا الهدف الثالث من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية بأن نؤكد أن احترام حقوق الفرد والمجتمع وحرص كل منهما على ممارسة حقوقه ودفاعه عنها والقيام بأداء واجباته هو لب العدالة الاجتماعية وروح المساواة بين الناس أفرادًا ومجتمعات، وبه تقوم الحياة الإنسانية الكريمة التى أرادها الله تعالى للإنسان الذى كرمه وفضله على كثير من خلقه.

الهدف الرابع : من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية

هو : إعلاء شأن الأسرة فى المجتمع

لا تستهدف التربية الاجتماعية الإسلامية ما هو أدخل فى بناء المجتمع السليم الآمن، من إعلاء شأن الأسرة فى المجتمع؛ لأن الأسرة -فى الحقيقة والواقع- هى قوام المجتمع وعموده الذى يرتكز عليه، فبالأسرة يقاوم المجتمع كل أسباب الضعف والانحلال والتخلف، فضلاً عن مظاهر الجمود والانكماش.

● ولا يستطيع المجتمع أن يجد بديلاً عن الأسرة ليحترم قيمه ومعاييره، وليحافظ على أخلاقه وآدابه، لا يستطيع الحصول على بديل للأسرة فى ذلك حتى لو كان المجتمع حافلاً بالمفكرين والعلماء والفلاسفة الذين يرسون الدعائم النظرية للقيم والمعايير، وذلك لعجز هؤلاء جميعًا عن تثبيت هذه القيم فى الناس أو المحافظة عليها، لأن ذلك شأن الأسرة وحدها، فهى المنوط بها تربية الأبناء على احترام قيم المجتمع والمحافظة عليها وتثبيتها فى سلوك الناس، إنها تغرس فى أبنائها الالتزام بالقيم، واليقين بأن أداء الواجبات شرط فى التمتع بممارسة الحقوق.

ونحاول فى الحديث عن هذا الهدف أن نتحدث عن أمور ثلاثة:

١- كيفية إعلاء شأن الأسرة فى المجتمع المسلم.

٢- ووظائف الأسرة فى المجتمع المسلم.

٣- والمحافظة على الأسرة بمنع الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

ونسأل الله تعالى العون والتوفيق.

* * *

١ – كيفية إعلاء شأن الأسرة فى المجتمع المسلم

إعلاء التربية الاجتماعية الإسلامية لشأن الأسرة ليس مجرد أمنية توضع مع مصفوفة الأمانى التى ينظر إليها واضعوها نظرهم إلى ما هو بعيد أو شبه مستحيل، يظل بعيداً عن الواقع حبيساً لا يغادر العقل والخيال، وإنما يكون إعلاء شأن الأسرة بوسائل وآليات لها القدرة والفاعلية على هذا الإعلاء.

ومن ذلك :

أ- اعتبار الزواج الشرعى وسيلة وحيدة لتكوين الأسرة :

الإسلام يعتبر الزواج من سننه المستمرة ونظمه الدائمة، لقول الله تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يس : ٣٦].

والرجل والمرأة معًا فى ظل زوجية شرعية هما الحياة الإنسانية القادرة على إعمار الأرض بما ينجبان من ذرية، وعلى الاستمرار فى الحياة والامتداد فى المستقبل، ولهذا كان الزواج من سنن الإسلام الماضية إلى يوم القيامة.

- ولا يعرف الإسلام طريقًا للتعبير عن الرغبة الجنسية للرجل والمرأة سوى الزواج الشرعى، وكل ما عداه حرام وفاحشة.
- كما لا يعرف الإسلام طريقًا لتكوين الذرية إلا الزواج والأسرة، لذلك جعل الإسلام الزواج واجبًا شرعيًا على كل من استطاع، فكل حصول على الذرية من غير طريق الزواج مرفوض بما فى ذلك التبنى ونسبة المتبنَّى للمتبنِّى.
- وإنما جعل الإسلام الزواج وسيلة للتعبير عن الرغبة الجنسية وعن الحاجة إلى الذرية، لأسباب، منها :

– تعويد الناس على العفة والطهارة والانضباط فى التعبير عن شهواتهم البدنية، محافظة عليهم وعلى المجتمع من الانحراف عن الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

– ولتعليمهم أن طلب الولد من طريق الزواج الشرعى سنة من سنن الإسلام، وإلا انقرض الجنس البشرى وتوقف إعمار الأرض التى خلقها الله ليعمرها الإنسان.

- وللقضاء على الشذوذ الجنسى لواطا وسحاقا وزنى، وما فى ذلك من وقاية المجتمع من هذه الأمراض أو الآفات.

- وتنفير الناس من كل ما يهذى به المنحرفون عن الفطرة السوية ،كما تفعل بعض دول الغرب التى تشرع اتصال الرجل بالرجل بل زواجه به، وتحريم الإجهاض ومنع الحمل إلا لسبب، وشراء الأطفال ونحو ذلك من العيوب.

كل ذلك إنما شرعه الإسلام من أجل إعلاء شأن الأسرة.

ب- وضع النظم والقوانين التى تعلى من شأن الأسرة:

وذلك من أجل أن يفرض احترام الأسرة على المجتمع كله، وكلما كانت هذه النظم والقوانين مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كان ذلك أحسن وأقرب إلى فطرة الناس، ولا يكفى أن توضع النظم والقوانين، وإنما تلتزم وتكون مطبقة على الناس بحيث يعاقب من عطلها.

- وشرط هذه النظم والقوانين أن تكون مفصلة وواضحة ومفسرة بحيث لا تعطى لأهل الميول والأهواء فرصة للاعتساف فى تفسيرها وتطبيقها.

- وأن يكون كل ما يتصل بالأسرة فى هذه النظم والقوانين نابعًا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

جـ- وسن قانون يوضح حقوق الأسرة وواجباتها:

وهذه الحقوق هى معامل الأمان للأسرة، حقوق الأسرة على عائلها، وعلى كل فرد فيها، وعلى المجتمع حكومة ووزارات وهيئات ومؤسسات، ولهذا القانون شروط يجب أن تتوافر فيه، منها:

- **أن يفصل ويفسر بحيث يكون مزيلاً للبس والاختلاف ومانعًا للتأويل، ومستمدًا من الكتاب والسنة والسيرة النبوية.**

- **وأن يشتمل على حقوق كل فرد فى الأسرة نحو باقى أفرادها، ونحو المجتمع كله حكومة ووزارات وهيئات.. الخ ابتداءً من الأبوين فالأبناء، فكل من يعيش فى الأسرة من جدود وجدات وأعمام وعمات وأخوال وخالات وعاملين فى الأسرة.**

- **وتحديد واجبات كل فرد فى الأسرة نحو دينه ووطنه وأعضاء أسرته، وكل من فى أسرته من أقارب ومعاونين.**

- وتوضيح واجبات الأسرة نحو الوطن العربى الذى يضم اليوم ما يقرب من مائة وخمسين مليونًا من الناس.
- وتوضيح واجبات الأسرة نحو وطنها الإسلامى الذى يضم اليوم أكثر من ألف وخمسمائة مليون من البشر.

د- وسن القوانين التى تعين الأسرة على أداء وظائفها:

وظائف الأسرة كثيرة ومتنوعة -كما سنذكر ذلك بعد قليل- ولا تستطيع الأسرة أن تؤدى هذه الوظائف إلا إن ساندتها فى ذلك الأداء القوانين والنظم، مثل:

- سن قوانين لمساعدة الأسرة على أداء وظائفها فى المجتمع وقيامها بأداء واجباتها نحو أفرادها ومن يعيشون فى كنفها ونحو المجتمع حكومة ومؤسسات.
- وسن قوانين تصون الأسرة وتحافظ عليها من كل من يحاول الاستهانة بشأنها أو انتقاص حقوقها أو إهدارها، أو إعفائها من واجباتها محاباة لها.
- وسن قوانين مفصلة بواجبات الأسرة نحو نفسها ومجتمعها ووطنها العربى ووطنها الإسلامى.

- إنما جعلنا كل ذلك من خلال القوانين، لما هو معروف بين الناس من أن القوانين والأنظمة هى أكبر معين على الحياة الاجتماعية السليمة الآمنة، كما أنها ضمان للتعايش السلمى بين الناس، وبخاصة إذا كانت هذه القوانين مأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وباب الاجتهاد فى تفسير الكتاب والسنة مفتوح أمام العلماء وأهل الذكر مادامت على الأرض حياة إنسانية.

كما أن المصالح المرسلة وسد الذرائع والاستحسان والقياس روافد لسن القوانين على طول الزمان وتعدد المكان، ولا يساعد الأسرة على أداء وظائفها إلا سن تلك النظم والقوانين فما هى وظائف الأسرة فى المجتمع المسلم؟

ذلك ما نوضحه فيما يلى والله الموفق.

* * *

٢- وظائف الأسرة فى المجتمع المسلم

تكاد تنحصر وظائف الأسرة -فى إجمال- فى المحافظة على المجتمع من كل ما يعوق مسيرته نحو التقدم والرقى، ومن كل ما يعطل قيمة من قيمه أو يخل بمعاييره، ومن كل ما يضيع حقوقه أو ينتقص منها، ومن كل ما يحول بينه وبين أداء واجباته.

- والعلاقة بين الأسرة والمجتمع علاقة الجزء بالكل، فكما أن مجمل وظائف الأسرة هو المحافظة على المجتمع، فإن مجمل وظائف المجتمع هو المحافظة على الأسرة وتأمينها من كل ضرر يلحق بها.
- ولكى نفصل وظائف الأسرة المسلمة نشير إلى أن ميلاد هذه الأسرة هو يوم يتم الزواج الشرعى بين رجل وامرأة ويكون اختيار كل منهما لصاحبه قد تم وفق المعايير الإسلامية فى اختيار الطرف الآخر، عندئذ تبدأ الأسرة فى ممارسة وظائفها، وهى:

أ- المحافظة على حسن العشرة بين الزوجين:

وحسن العشرة معناه أن يتقى الله كل طرف منهما فى الطرف الآخر فيؤدى نحوه واجباته، ويمارس حقوقه، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..**﴾ [النساء: ١٩] والخطاب للرجال والأمر متوجه إليهم، ولكن النساء خوطبن بقوله تعالى: ﴿...**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**...﴾ [النساء: ٣٤]، وحفظ الغيب من الزوجة لزوجها هو حفظ عرضه وماله وولده، فتلك هى المعاشرة الحسنة.

- وحسن العشرة بين الزوجين ينعكس عليهما حبًا ومودة واستقرارًا وتعاونًا على مواصلة الحياة معاشًا ومعادًا، ورعاية للأبناء وتأمينًا لهم بحسن تربيتهم تربية إسلامية.

وفى حسن العشرة بين الزوجين دعم للمجتمع كله ورعاية للبنة الأولى التى يتكون منها المجتمع وهى الأسرة.

ب- والمحافظة على العلاقة الطيبة مع الأقارب:

وذلك أن الأسرة ركيزة المجتمع التى تشع عليه قيما، ومعانى جميلة يعيش بها المجتمع آمنا مطمئنا.

وربما كانت علاقة الأسرة -الأبوين- بأبنائهما لا تحتاج إلى توصية، لان الله قد فطر الأبوين عليها.

ولكن علاقة الأسرة بالأقارب نسبًا وصهرًا تحتاج إلى توصية وحث وتشجيع، لأن الأسرة -غالبًا- تنشغل بحب أبنائها عن البر بالأقارب، لذلك حرص الإسلام على الأمر بالإحسان إلى ذوى القربى، فقال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ... ﴾ [النساء: ٣٦]. وقال جل شأنه: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وقد روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يبسط له فى رزقه ويُنْسَأ له فى أثره فليصل رحمه».

● فإذا أدت الأسرة وظيفتها هذه فإنها ترطب العلاقة بين الأقارب وتعطف بعضهم على بعض، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلى، وأحلم عنهم ويجهلون علىَّ، فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» والمل: هو الرماد أو التراب.

وهذا دعم جيد للعلاقات الطيبة فى المجتمع كله.

جـ- وتربية الأبناء تربية إسلامية:

فالأسرة مسئولة أمام الله تعالى عن تربية أبنائها وفق منهج الإسلام وعلى هدى أخلاقه وقيمه، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]. والوقاية من النار تعنى الائتمار بأمر الله والانتهاء عما نهى عنه، يفعل المؤمن ذلك لنفسه ولمن فى ولايته.

وروى الطبرانى -فى الكبير- بسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يربى أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين».

والتربية الإسلامية فى جوهرها تعلُّم وتدرُّب على طاعة الله تعالى، فقد روى ابن جرير -فى تهذيب الآثار- بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى، فذلك وقاية لهم من النار».

● ولب التربية الإسلامية أمران:

أحدهما: امتثال أوامر الله تعالى، والله تعالى ما أمر إلا بما فيه صالح الفرد والمجتمع فى المعاش والمعاد، وأهم أوامر الله تعالى هى توحيده وعبادته وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

والآخر: اجتناب ما نهى الله عنه، وقد نهى الله تعالى عن كل ما يلحق ضرراً بالفرد أو المجتمع مما يفسد معاشهم ومعادهم، وما نهى عنه الإسلام كثير حتى إن الإمام السيوطي -رحمه الله- فى كتابه الجامع الصغير -عقد بابا سماه: «المناهى» ذكر فيه مائة واثنين وسبعين حديثًا شريفًا، بدأت جميعًا بعبارة: «نهى رسول الله ﷺ عن كذا..».

أما سائر ما نهى عنه الإسلام فأكثر من ذلك كثيراً.

ومجموع امتثال الأوامر واجتناب النواهى فيه صلاح للمعاش والمعاد، لأن فيه طاعة الله، وطاعة الله تفضى إلى سعادة الدنيا والآخرة.

- وتربية الأبناء تربية إسلامية لها أساليب عديدة تبدأ بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، والحوار والمناقشة والإقناع، والاقتداء بالرسول ﷺ، والقصة والموقف والحدث والتاريخ، والزجر والضرب لترك الصلاة وغير ذلك من الأساليب(١).

- وميادين التربية الإسلامية عديدة تتناول كل جانب من جوانب شخصية المسلم، روحه وخلقه وعقله ودينه وبدنه... إلخ.

- وفى هذه التربية الإسلامية للأبناء دعم لاستقرار المجتمع كله وأمان له ممن لم يربوا فى أسرهم.

د- وتوضيح القيم والمعايير الإسلامية والمحافظة عليها:

القيم والمعايير التى تسود أى مجتمع هى المحرك الأساسى لسلوك الإنسان فى المجتمع، لذلك كانت القيم من أهم ما يجب أن يهتم به المجتمع ويحافظ عليه.

والقيم الاجتماعية هى الصفات التى يرغب فيها الناس، وهى صفات توجه سلوك الأفراد فى المجتمع، وتلك الصفات هى التى امتدح الإسلام الاتصاف بها.

والمعايير الاجتماعية هى: النماذج أو المقاييس لما ينبغى أن يكون عليه السلوك الاجتماعى عمومًا.

- **وتوضيح هذه القيم والمعايير هى من صلب وظائف الأسرة، وهو توضيح يجمع بين القول والتوجيه والعمل والسلوك، وقد تشارك مؤسسات أخرى الأسرة فى توضيح القيم والمعايير كالمسجد والمدرسة والنادى ونحوها، لكن الأسرة -بحكم كونها محضن الأبناء- أكثر فاعلية فى دعم القيم والمعايير من أى مؤسسة أخرى، وأكثر قدرة على المحافظة على هذه القيَم والمعايير.**

---

(١) انظر لنا فى تفصيل ذلك: كتابنا: تربية الناشىء المسلم -نشر دار الوفاء بالقاهرة.

هـ- وتوريث الأسرة أبناءها القيم والمعايير الإسلامية:

التوريث هو نقل الميراث من جيل إلى جيل، وهو أسلوب تعلمه المسلمون من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾ [فاطر: ٣١، ٣٢]. فالمؤمنون الصالحون هم ورثة الكتاب الذى أوحاه الله إلى خاتم رسله ﷺ، وعليهم أن يورثوه للأجيال التي بعدهم، وهكذا.

- والعبرة بالتوريث المشمول بالعمل والممارسة، وليس بمجرد نقل الموروث، ومن لم يعمل بما ورث من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عوقب وعُذب، فقد روى الديلمي -في مسند الفردوس- بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العالم والعلم والعمل فى الجنة، فإذا لم يعمل العالم بما يعلم؛ كان العلم والعمل فى الجنة وكان العالم فى النار».
- والأسرة المسلمة يجب أن تورث مع المال والمتاع القيم والمعايير الإسلامية أى الكتاب والسنة، ولهذا التوريث وسائل عديدة منها:

- الحرص على ربط هذه الموروثات بالكتاب والسنة والسيرة النبوية على أنها جزء رئيس من الدين لا يمكن التخلي عنه بحال.
- وبيان قيمة التمسك بهذه القيم والمعايير الإسلامية فى تحقيق سعادة الإنسان فى دنياه وآخرته.
- وإعطاء الأبناء القدوة من سلوك الآباء وتمسكهم بهذه القيم والمعايير الإسلامية.
- وتشجيع الأبناء على التمسك بهذه القيم والمعايير بربطها بتاريخ الإسلام وقصص المسلمين وتاريخ الصحابة رضى الله عنهم.
- ومتابعة الأبناء فى تمسكهم بالقيم والمعايير الإسلامية ومحاسبتهم وإثابتهم على العمل بها وعقابهم على التخلى عنها.

وبعد: فإذا كان للأسرة تلك الوظائف الحيوية الفاعلة فى المجتمع بحيث تحدث فى المجتمع الاستقرار والطمأنينة، فكيف يحافظ الإسلام على هذه الأسرة لتستمر فى أداء وظائفها؟

ذلك ما نحاول توضيحه فيما يلى والله الموفق.

٣- المحافظة على الأسرة لتؤدى وظائفها

يحرص الإسلام على المحافظة على الأسرة، وتجعل التربية الاجتماعية الإسلامية ذلك من أهدافها الكبرى كما رأينا ذلك آنفا عند حديثنا عن إعلاء شأن الأسرة فى المجتمع.

● والمحافظة على الأسرة إنما تكون بتطهير المجتمع الذى تعيش فيه الأسرة من كل الأسباب التى تضر بالأسرة بل تقضى عليها، وهى: الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغى والشرك والكذب على الله تعالى، فإن القضاء على تلك الرذائل يتيح للأسرة أن تعيش آمنة مطمئنة قادرة على أداء وظائفها.

وقد حرم الله تعالى هذه الفواحش ما ظهر منها وما بطن وغيرها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وهى محرمات خمس جمعت كل الرذائل والدنايا وأسباب الفساد وهى:

- الفواحش وتدخل فيها الكبائر كلها -وقد عدها بعض العلماء فى سبعين كبيرة[١] سواء منها ما كان ظاهراً يراه الناس أو كان باطناً يخفيه المرتكب، وعلى رأس الفواحش الزنى.

- والإثم وهو كل ذنب يعصى به الله تعالى، ويرى كثير من العلماء أن الإثم هو الخمر واستدلوا على ذلك بقول الشاعر القديم:

شربت الإثم حتى ضل عقلى
كذاك الإثم تذهب بالعقول

- والبغى بغير الحق: والبغى هو الظلم وتجاوز الحد فيه، أو هو الخروج على السلطان الشرعى، وكل بغى فهو بغير حق.

- والشرك بالله تعالى وهو من أكبر الكبائر كما وصفه الرسول ﷺ.

- والقول فى دين الله بغير معرفة أو علم، كمن أنكروا الألوهية أو النبوة أو اليوم الآخر.

● وقد جمع رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف بين سبع من هذه الرذائل وأمر باجتنابها، فقد

---

(١) انظر: الكبائر للإمام الحافظ شمس الدين الذهبى (٦٦٣-٧٤٨هـ) ط دار الغد- القاهرة ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م.

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات[1]: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

فما وسائل منع هذه المحرمات من المجتمع، وما أهداف منعها؟

أ- وسائل منع المحرمات من المجتمع:

منع هذه المحرمات هو أقوى الأسباب فى المحافظة على الأسرة وعلى المجتمع، ليؤدى كل منهما وظائفه المنوطة به، لذلك كانت هناك وسائل منع على مستوى الأسرة ووسائل منع على مستوى المجتمع كله.

أولاً: وسائل منع المحرمات على مستوى الأسرة:

- تربية الأبناء على النفور والكراهية لكل ما حرم الله تعالى، لأن الله تعالى ما حرم إلا ما يضر بالإنسان فى معاشه ومعاده.
- ومنع الأبناء من مخالطة قرناء السوء، وتحذيرهم من كل من يزين لهم إتيان ما حرم الله.
- والتدقيق فى متابعة الأبناء للتأكد من بعدهم عما حرم الله، وإنما تكون المتابعة بمصادقة الأبناء وإعطائهم الفرصة للحديث عن أخطائهم حتى يمكن تداركها قبل أن تستفحل.
- وعدم الإغداق على الأبناء من المال ومن الحرية المطلقة لأن ذلك يساعد على إفسادهم.
- وإيجاد أنواع من النشاط الذى يستهوى الأبناء كالنشاط الثقافى والاجتماعى والرياضى ونحوه.

ثانياً: وسائل منع المحرمات على مستوى المجتمع:

وهذه الوسائل منوطة بالمجتمع أى الحكومة وسلطتيها التشريعية والتنفيذية، ومؤسساتها الإعلامية، ومن ذلك:

- **إصدار التشريعات والقوانين التى تجرم ارتكاب أى محرمات حرمها الإسلام فى الكتاب والسنة، وإلزام المجتمع بالتقيد بهذه التشريعات.**
- **المسارعة بإيقاع العقاب على كل مرتكب لما حرمه الإسلام دون تهاون أو تفاوت بين المرتكبين فى تطبيق القوانين عليهم، فإن هذا التفاوت ظلم يغرى الناس بالتمرد والتطرف والعنف بل اليأس من الطاعة والالتزام.**

(١) الموبقات: الأعمال التى توقع صاحبها فى الآثام.

- وإعطاء المسجد فرصة لتوعية الناس بخطر ارتكاب المحرمات بإطلاق حرية الكلام للعلماء في المساجد وفتح أبوابها طوال اليوم وتخفيف قبضة الحكومات عليها.

- وإعطاء المدرسة فرصتها في التنفير من ارتكاب المحرمات، بجعل مناهجها متضمنة للقيم والمعايير الأخلاقية الإسلامية، وحسن اختيار المعلمين الذين يعطون لأبنائهم القدوة في سلوكهم.

- وحرمان الذين يعتادون ارتكاب المحرمات من بعض حقوقهم المدنية كتفسيقهم ورفض قبول شهادتهم وتغريمهم، وربما نفيهم عن المجتمع إن رأى القضاء ذلك.

- وحظر فتح أماكن لشرب الخمر، وعقاب من شربها كما أمر الله، وعدم التهاون في ذلك تحت أي ضغط، وكذلك حظر أماكن لعب الميسر ونحوها.

- والأخذ على أيدي الظالمين وأخذ الحق منهم لتوصيله إلى أهله، فقد روى البيهقي بسنده عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير متعتع».

والحديث النبوي الجامع في هذا المجال هو ما رواه البيهقي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن؛ ما ظهرت الفاحشة في قوم قط فعمل بها بينهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم، ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما في أيديهم، وما عطلوا كتاب الله وسنة رسوله إلا جعل الله بأسهم بينهم».

ب- أهداف منع المحرمات من المجتمع:

أكبر أهداف منع المحرمات من المجتمع هو المحافظة على الأسرة والمجتمع ليؤدي كل منهما وظائفه.

وهذه الأهداف تعني الفرد والأسرة والمجتمع وكل حاكم في حكمه وولايته، وهي:

- التقرب إلى الله بهداية العصاة وإخراجهم من ذل المعصية لله إلى عز طاعته، وذلك عمل جليل يجزل الله تعالى عليه الثواب، فقد روى الطبراني في الكبير بسنده عن أبي رافع

رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يهدى الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت».

والتقرب إلى الله بصالح الأعمال يعطى المتقرب حظوة عند الله تعالى فيزداد من عبده قرباً، كما دلت على ذلك الأحاديث الشريفة.

– وتطهير المجتمع مما حرم الله، فهذا فى حد ذاته هدف يعود على الناس جميعًا بالخير العميم فى دينهم ودنياهم؛ وذلك أن مرتكبى المحرمات آفات بشرية يجب مقاومة شرها وفسادها، وحسبك شراً بشارب الخمر ولاعب الميسر والزانى والكاذب وعاق والديه وسائر المرتكبين للكبائر التى عدها الإمام الذهبى فى سبعين كبيرة، وقال بعض العلماء: إنها إلى السبعمائة أقرب.

وتطهير المجتمع من مرتكبى المحرمات واجب على كل قادر عليه، فقد روى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بهديه، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

وتطهير المجتمع من هؤلاء أمان للمجتمع كله وتشجيع للصالحين من الناس وحصار للأشرار منهم.

– وحماية المجتمع من الأضرار النفسية والبدنية والعقلية والخلقية التى يتسبب فيها مرتكبو المحرمات، ودفع الضرر عن المسلمين واجب على كل قادر عليه، ومن توقف عن دفع الضرر عن المسلمين وهو قادر عليه فقد اثم، قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وروى البخارى بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**».

● ولا عبرة بما يتذرع به المرتكبون للمحرمات من قولهم: الحرية الشخصية فى التعبير عن الحاجات الجسدية، لأن الله تعالى شرع لهذه الحاجات الجسدية أن تعبر عن نفسها فيما أحل الله.

– واحترام مشاعر الصالحين والصالحات من أن تخدشها أعمال المرتكبين لما حرم الله، لأن خدش حيائهم أذى لهم وإلحاق للضرر بهم، لمجرد أن تقع أعينهم أو تسمع آذانهم أو تعى عقولهم لهذه الفواحش والكبائر التى يمارسها المرتكبون.

والمسلمون جميعًا مطالبون بمنع ذلك لأنهم خير أمة أخرجت للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع إيمانهم بالله تعالى، وهم أمة التعاون على البر والتقوى، قال الله تعالى: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة: ٧١].

وروى الترمذى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان دواد وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئا فقال: لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا».

– والحرص على الالتزام بقيم الإسلام ومعاييره فى المجتمع المسلم، لأن الالتزام بذلك هو حياة المجتمع الحقيقية، وهو الذى يحمى المجتمع من أعدائه، لأن الاعتصام بقيم الإسلام ومعاييره هو الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والله تعالى قد قال: **﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** [آل عمران: ١٠١].

وهذا الاعتصام بالله هو الذى يهيئ للمسلمين الانتصار على أعدائهم فى تلك المعارك المستمرة ضد الإسلام والمسلمين، إن أعداء الإسلام يوجهون أعتى الضربات للمسلمين، وأعتى الحرب والكيد والتضليل ضد الإسلام كتابه وسنة نبيه ﷺ وقيمه ومعاييره وتاريخه وتراثه، حتى تخلو الساحة من الإسلام والمسلمين، ولكن الله غالب على أمره وقد وعد بنصر المؤمنين.

وبعد: فإن التربية الاجتماعية الإسلامية، وهى تعمل على تحقيق هذه الأهداف، إنما تؤمن الفرد والأسرة والمجتمع من مخاطر وأضرار تلاحق الإسلام والمسلمين على الدوام، وهى بذلك تولد عند المسلمين استعداداً وتحفزاً لمواجهة من يترصدون الإسلام والمسلمين ويتربصون بهما الدوائر، وحسبها هذا شرفا وفضلاً وإرضاء لله رب العالمين وإعلاء لشأن الإسلام.

وإلى الهدف الخامس من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية والله المستعان.

* * *

الهدف الخامس : من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية

هو : إخلاء النظم فى المجتمع المسلم مما يخالف الإسلام

وهذا هدف كبير من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية، لأن إخلاء النظم مما يخالف الإسلام وشريعته من أهم عوامل الاستقرار فى المجتمع، بل من أهم أسباب نموه ورقيه وقدرته على تحقيق الأمن بين الناس.

● والنظم الرئيسة فى المجتمع هى :

- النظام الاجتماعى.
- والنظام الاقتصادى.
- والنظام السياسى.
- والنظام التربوى.

ويمكن اعتبار الثلاثة الأخيرة داخلة فى النظام الاجتماعى، وتحت كل نظام من هذه الأنظمة فروع كثيرة تتناول فى مجموعها كل شئون الحياة الإنسانية فى الدنيا والآخرة.

وربما كانت هذه التسميات لهذه النظم حديثة نسبيًا، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه النظم جميعًا موجودة بمقاصدها وفحواها فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مما سوف نوضح كثيراً منه بعون الله وتوفيقه.

● ومن أجل حفظ أى نظام لابد من وضع القوانين واللوائح التى تحدد الأعمال المخالفة للنظام، وتحدد عقوبة المخالف، وتعطيه الحق فى الدفاع عن نفسه.

● ودين الإسلام ومنهجه حافل بعديد من الأنظمة التى تعنى بالحياة الإنسانية الكريمة التى أرادها الله تعالى للإنسان، وفيه أنظمة دقيقة ووافية وملائمة لفطرة الإنسان وقدراته فى مختلف شعب حياة الإنسان؛ العقيدة والعبادة والأخلاق وتعامل الناس بعضهم مع بعض.

وكل هذه الأنظمة نابعة ومنبثقة من الكتاب والسنة عند التدبر والفهم والفقه لهذين المصدرين.

● وعندما تخلو الأنظمة فى عمومها من كل ما يخالف الإسلام عقيدة وعبادة وخلقًا ومعاملة، فإن المجتمع يستطيع أن يشق طريقه نحو تحقيق سعادة الدنيا والآخرة.

– وإخلاء النظم كلها من جميع ما يخالف الإسلام، ليس فيه تضييق على الناس –كما يزعم بعض أعداء الإسلام –بل فيه توسعة عليهم بترشيد أعمالهم وتسديدها لتحقيق السعادة فى الدارين.

● ونحاول –من أجل توضيح هذا الهدف– أن نتحدث عن أمور، أهمها:

– ما المعايير التى يحكم بها على النظم بأنها إسلامية، أى خالية مما يخالف الإسلام؟

– وما وسائل جعل النظم إسلامية؟

– وما أهداف جعل النظم إسلامية؟

وفى تفصيل تلك الأمور ربما جاء الحديث عن هذا الهدف موسعًا ومطولاً إلى الحد الذى تستدعيه طبيعة هذا الهدف، والله تعالى هو المستعان.

* * *

١- المعايير التى يحكم بها على النظم بأنها إسلامية

لا نستطيع أن نقول : إن هذا النظام الاجتماعى أو السياسى أو الاقتصادى أو التربوى أو الثقافى إسلامى ما لم تحكمه معايير معينة تقضى بأن يكون إسلاميًا.

وأول هذه المعايير :

أن تخلو هذه النظم مما يخالف الإسلام عقيدة وشريعة، خلقًا وعملاً وسلوكًا، وفى اختصار : أن تخلو من الكبائر التى عدها بعض العلماء فى سبعين كبيرة أو أكثر.

وثانى هذه المعايير :

أن يكون الأخذ بهذه النظم محققًا لصالح الفرد والمجتمع فى الدنيا والآخرة، وكل نظام لا يوفر ذلك فلا يمكن أن يكون إسلاميًا أى نابعًا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وثالث هذه المعايير :

أن تكون هذه الأنظمة صالحة لكل زمان ومكان، وذلك أن النظم الإسلامية -بخاصة ما يتصل منها بالعقيدة والعبادة والخلق وسائر الثوابت -لها صفة الصلاحية مهما تغير الزمان أو المكان أو الناس؛ لأنها من عند الله تعالى.

ورابع هذه المعايير :

أن يكون قبول المسلمين لهذه النظم وإقبالهم على تطبيقها، تقربًا إلى الله تعالى بقبول شرعه ومنهجه، وليس خوفًا من سلطان أو ظالم أو مستبد، لأن التقرب إلى الله بالعمل ينبع من القلب والعقل، وخشية السلطان والظالم والمستبد ضعف وجبن ونفاق، وفرق كبير بين التوجُّهين.

وخامس هذه المعايير :

أن تكون لدى المقبل على التحاكم إلى هذه النظم، رغبة فى التضحية من أجل التمسك بها، التضحية بالمال والجهد والوقت بل بالنفس، احتسابًا لهذه التضحية عند الله، وليس تزلفًا لحاكم أو نفاقا لواضع نظام غير تلك الأنظمة.

ولهذه النظم الإسلامية خصائص تميزها عن سواها، ومن أبرز هذه الخصائص :

أ- شمولها وعموميتها:

وذلك أن النظم الإسلامية شملت كل ما يتصل بحياة الإنسان من: قول أو صمت، ومن: عمل أو ترك، وعمت كل الناس فى كل الأزمنة والأمكنة.

- فنظام القول:

أى كل قول يصدر عن الإنسان بلفظ أو إشارة أو كتابة أو غيرها من وسائل التعبير، لابد فيه من صفات أساسية هى:

أن يكون مُبينًا، وأن يكون بلغة سامعه، وأن يكون على قدر فهم السامع واستيعابه، وأن يكون خاليًا من الفحش والبذاء، والهذر والتشدق والفيهقة، والإلغاز والتعمية؛ لأن الكلمة قد يلقيها قائلها فى غير مراعاة لهذه الصفات قد تهوى بصاحبها فى النار.

- ونظام الصمت:

أى سكوت الإنسان عن الكلام، فلابد أن يكون تأملاً وتفكرًا وتدبرًا فى ملكوت السموات والأرض، مع ذكر بالقلب والمشاعر لله تعالى، وأن يكون هذا التفكر فى الخير لا فى الشر، وفى هدى الناس لا فى إضلالهم، وأن يكون فى حبهم وحب الخير لهم.

وأن لا يكون سكوتا عن الحق ولا عن نصرة مظلوم يقدر على نصره.

- ونظام العمل:

أى عمل يقوم به الإنسان، لابد أن يكون مصحوبًا بالإخلاص لله تعالى فيه، وأن يكون مما أمر الله به أو ندب إليه، وأن يكون موافقًا لما جاءت به الشريعة، وأن يكون نافعًا لصاحبه أو لغيره من الناس، وأن لا يكون عبثًا دون هدف أو لعبا غير مباح.

- ونظام الترك:

أى كل ما يترك الإنسان القيام به أو التوقف عنه، فكل ذلك يجب أن يكون مما حرمه الله تعالى أو كره فيه، أو نهى عنه رسول الله ﷺ، أو يكون شرًا أو باطلاً أو ضارًا بالنفس أو بأحد من الناس، وأن لا يكون قعودًا عن نصرة المظلوم والضعيف.

- ومعنى ذلك أن الأنظمة الإسلامية شاملة وعامة بأوسع مما اصطلح عليه الناس فى أى عصر من نظم، إذ ليس الإنسان فى حياته كلها إلا فى حالة من هذه الحالات: التكلم أو الصمت والعمل أو الترك، وذلك الشمول وتلك العمومية لأن الإسلام هو خاتم الأديان

ورسوله هو خاتم الرسل، فليس هناك فرصة لأن يأتى دين فيتمم أو يكمل أو أن يأتى رسول ليضيف.

ومعنى هذا الشمول وتلك العمومية أن الإسلام قد وضع من الأنظمة ما يكفل للإنسانية كلها أن تعيش آمنة مطمئنة قادرة على تحقيق ما يصلح معاشها ومعادها إلى يوم القيامة.

ب- وقدرة الأنظمة الإسلامية على بناء مجتمع إنسانى راشد:

وذلك أن الأنظمة الإسلامية فى جملتها وتفصيلها صادرة من عند الله تعالى وموحى بها إلى خاتم رسله ﷺ، فلابد أن تكون قادرة على بناء مجتمع إنسانى راشد؛ أى يسوده الإيمان والإسلام والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

- وتلك لبنات بناء المجتمع الإنسانى الذى لا يضيع فيه حق ضعيف ولا يخشى فيه ظلم متجبر أو طاغوت، ولا يحابى فيه أحد على حساب أحد، بل يعيش الناس فيه فى أمان ووئام وممارسة للحقوق وأداء للواجبات، ويعمرون الأرض ويملأونها عدلاً وإحسانًا.
- ومن ادعى أن الأنظمة الإسلامية غير قادرة على ذلك، فقد أنكر معلومًا من الدين بالضرورة إن كان من المسلمين، وعليه أن يتوب إلى الله وأن يرجع إلى رحاب الإيمان ويتمتع بسماحة الإسلام. أما إن كان من غير المسلمين فليبحث له عن أسباب لإنضاج عقله وتوعية قلبه بالحق، وتعميق ثقافته بالحضارة الإسلامية، وبخاصة منهج الإسلام فى الحياة.
- وادعاء بعض الناس أن الأنظمة الإسلامية عاجزة عن ذلك بدليل ما يعيشه المسلمون من تراجع حضارى، وضعف سياسى واقتصادى، وتبعية للدول التى لا تدين بدين الإسلام، فهى دعوى واهية تخلط -عن جهل أو حقد- بين النظم والذين يطبقونها- وهو خلط غير مقبول، لأن الأنظمة السليمة الصحيحة تحتاج دائمًا إلى من يطبقونها كاملة غير منقوصة وغير مرقعة برقع من أنظمة أخرى، فالعيب إذن فى الذين يطبقون وليس فى الأنظمة.

ويمكن الرد على هذه الدعوى الباطلة بأن صالحى المسلمين من حكام وعلماء ومفكرين ومصلحين طبقوا الأنظمة الإسلامية فترات غير قصيرة من الزمان فنجحوا وأفلحوا وسادوا.

ولو شئنا أن نستشهد بأسماء هؤلاء الصالحين على مر تاريخ الإسلام ما وسعتنا

الصفحات ولا الأسفار؛ غير أننا نلتقط أسماء بعضهم -بعد عصر الخلفاء الراشدين الأربعة - ومنهم: عمر بن عبد العزيز، وهارون الرشيد، وعماد الدين زنكى، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبى، وعدد لا بأس به من القادة والساسة فى حكم الدولة العثمانية فى تركيا.

- ولو ذهبنا إلى الاستشهاد بالعلماء والمفكرين لهالنا عددهم، فمنهم المكتشفون والمخترعون، وواضعو أسس علوم لم تكن معروفة من قبلهم فى مجالات عديدة مثل: علم النحو، وعلم العروض والقافية، وعلم الجبر وعلم الحساب، وعلم الفيزياء والكيمياء والفلك والطب والصيدلة والمعمار ولكننا نلتقط بعض الأسماء مثل:

أبى الأسود الدؤلى، والخليل بن أحمد، وأئمة الفقه الأربعة، ثم ابن الهيثم، وابن زهرون، والخوارزمى، وابن حمزة، وابن قرة، والطوسى، وجابر بن حيان، وجابر بن الأفلح، وابن يونس المصرى، والبيرونى، وموسى بن شاكر، وبنوه الثلاثة، وأبو بكر الرازى، وأبو عبد الله البتَّانى، وابن سينا، والكرمانى، والخازن، والخرقى، وابن الصلاح، والنيسابورى، وفخر الدين الرازى، وابن ماجة الأندلسى، ونصير الدين الطوسى، وقطب الدين الشيرازى، وغيرهم ممن أسهموا فى نهضة العلوم والفنون والعمران والحضارة، وهم الذين أنشأوا بعلومهم ومكتشفاتهم جسرًا علميًا حضاريًا عبرت عليه أوربا فى نهضتها العلمية، كما سجل ذلك عدد غير قليل من الباحثين الغربيين.

- ومن قال بغير تلك الحقائق فهو ملزم علميًا وخلقيًا بأن يقدم دليلاً -مقبولاً لدى المنصفين- على أن الأنظمة الإسلامية قد طبقت تطبيقًا صحيحًا ثم فشلت فى بناء مجتمع إنسانى راشد آمن قادر على أن يمسك بزمام ركب التقدم العلمى والفنى والحضارى عمومًا ليقود هذا الركب إلى ما يصلح الإنسانية كلها.

جـ- وتوازن الأنظمة الإسلامية وتكاملها:

هذه النظم الإسلامية التى تميزت بالشمول والعمومية والقدرة على بناء مجتمع إنسانى راشد، متوازنة، أى توازن بين صالح الفرد والمجتمع، وبين صالح الدنيا والآخرة، وتعترف بالمثالية والواقعية، ومتكاملة بمعنى أنها أنظمة يكمل بعضها بعضا ولا يغنى بعضها عن بعض مهما تطاولت الأيام وتعددت الأمكنة، وبخاصة فيما يتصل بالثوابت من هذه الأنظمة كالعقيدة والعبادة والخلق...

- والتوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، يعنى أن يعيش الفرد فى ظل النظم الإسلامية

طاهراً تقيا آمنا مطمئنًا على دينه ونفسه وولده وماله وعمله وكسبه، وحرياته كلها، وسائر حقوقه التى كفلها الإسلام لكل إنسان، وأن يمارس المجتمع -الدولة- حياة اجتماعية تحفظ فيها حقوقه وحقوق حكامه ومسئوليه، وأن يستمتع بحقوقه كلها حق الطاعة فى غير معصية لله وحق ألا ينازع فى السيادة والحكم ما دام يحكم بما أنزل الله.

- ومعنى التوازن بين مصالح الفرد والمجتمع أن يؤدى كل منهما واجباته دون إهمال أو تقصير، وأن يكونوا جميعًا الفرد والحكومة أمام القانون سواء عند الثواب والعقاب، فلا سلطان ذى السلطان يحميه من العقوبة عند الخطأ، ولا ضعف الضعيف يتسبب فى أن تضاعف له العقوبة؛ كلهم فى الحق سواء، وكلهم عند الخطأ والانحراف عن النظام سواء.

- ومن توازن الأنظمة الإسلامية أنها تستطيع علاج كل داء فى المجتمع سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا أو تربويًا أو ثقافيًا، فهى الحل الأمثل لكل هذه المشكلات، لأن الله تعالى ما فرط فى كتابه الكريم من شيء، بل جعل فيه تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة، والرسول ﷺ رسم فى كلماته النبوية طريق علاج المشكلات بل طريق منعها من الظهور!!!

فقد روى ابن حبان فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تُفرغ من دلوك فى إناء المستسقى، وأن تلقَى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار؛ فإن إسبال الإزار من المخيلة ولا يحبها الله، وإن امرؤ شتمك وعَيَّرك بأمر ليس هو فيك؛ فلا تعيِّره بأمر هو فيه، ودعه، يكون وبالُه عليه وأجره لك، ولا تسُبَّن أحدا».

أفبعد هذا الهدى النبوى تستطيع مشكلة أن تُطل برأسها، فضلاً عن أن تفسد ما بين المسلمين؟ وروى أبو داود بسنده عن أبى ذرّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

وروى الترمذى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**».

وروى مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، وحملوا على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**».

وهناك سيل زاخر من الأحاديث النبوية الشريفة التى لو أخذ الناس بها ما عرفت المشكلات إليهم طريقًا، ولحلوا كل مشكلة أعانها الشيطان على الظهور.

ومن الأحاديث النبوية أحاديث طالبت المسلمين بتقوى الله فى صلة الأرحام وبالعدل بين الأولاد، وفى إحسان معاملة الخدم والأرقاء، بل تقوى الله فى البهائم المعجمة.

وطالبت بعض الأحاديث باتقاء دعوة المظلوم مؤمنًا كان المظلوم أو كافرًا، واتقاء النار بالصدقة مهما كانت يسيرة ولو بشق تمرة، واتقاء الملاعن أى تلويث طريق الناس، وظلهم ونبع مائهم.

أَبَعْدَ هذا الهدى النبوى تكون مشكلات؟

– وأما التكامل فى هذه النظم الإسلامية فيعنى أن تلك الأنظمة مترابطة متماسكة يخدم بعضها بعضًا ويدعمه، ويتوقف بعضها على بعض أى لا يغنى بعضها عن بعض.

– ومن معانى تكامل النظم الإسلامية أى كونها، وحده واحدة أن لا يكون فيها جميعًا ولا فى واحد منها شىء مما يخالف شرع الله ومنهجه وسنة نبيه ﷺ.

ومن أجل توضيح ذلك فإن النظم الإسلامية جميعًا يجب ألا تتضمن شيئًا من الكبائر التى حرمها الله تعالى.

- والكبيرة كل عمل أوعد الله فاعله بالعذاب فى الآخرة، أو وصف صاحبه بأنه ملعون أو مغضوب عليه أو وصفه الرسول ﷺ بأنه ليس بمؤمن.
- واجتناب الكبائر عمل جليل الأثر يثيب الله عليه بمغفرة الصغائر من الذنوب، لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، قال العلماء خلفًا عن سلف فى هذه الآية: إنها أرجى آية فى القرآن الكريم، لما فيها من سعة رحمة الله.
- وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة فى الكبائر وعددت منها مرة ثلاثا ومرة أربعًا ومرة سبعًا.

وقد اهتم كبار العلماء بعدِّ الكبائر ورصدها واحدة واحدة ولكن أجمع عد لها ما ذكره الإمام الحافظ المحدث المؤرخ شمس الدين الذهبى (٦٦٣-٧٤٨ هـ) فقد ألف فيها كتابًا برأسه عد فيه سبعين كبيرة، أذكر القارئ بها وهى:

الشرك بالله، وقتل النفس، والسحر، وترك الصلاة، ومنع الزكاة، وإفطار يوم فى رمضان من غير عذر، وترك الحج مع القدرة عليه، وعقوق الوالدين، وهجر الأقارب، والزنى،

واللواط، والربا، وأكل مال اليتيم ظلمًا، والكذب على الله ورسوله، والفرار من الزحف، وغش الإمام الرعية وظلمه لهم، والكبر والفخر والخيلاء والعجب والتيه، وشهادة الزور، وشرب الخمر، والقمار، وقذف المحصنات، والغلول من الغنيمة، والسرقة، وقطع الطريق، واليمين الغموس، والظلم، والمُكَّاس -أى أصحاب المكس[1]، وأكل الحرام وتناوله على أى وجه، وأن يقتل الإنسان نفسه، والكذب فى غالب أحواله، والقاضى السوء، وأخذ الرشوة على الحكم، وتشبه المرأة بالرجال وتشبه الرجال بالنساء، والديوث -المستحسن على أهله- والقواد- الساعى بين الاثنين بالفساد، والمحلِّل والمحلَّل له، وعدم التنزه من البول، والرياء، والتعلم للدنيا وكتمان العلم، والخيانة، والمنان، والمكذب بالقدر، والتسمع على الناس ما يسرون، والنمام، واللعان، والغدر وعدم الوفاء بالعهد، وتصديق الكاهن والمنجم، ونشوز المرأة على زوجها، والتصوير فى الثياب والحيطان والدراهم وسائر الأشياء، واللطم والنياحة، والبغى، والاستطالة على الضعيف[2]، وأذى الجار، وأذى المسلمين وشتمهم، وأذية عباد الله والتطول عليهم، وإسبال الإزار أو الثوب واللباس والسراويل، ولبس الحرير والذهب للرجال، وإباق[3] العبد، والذبح لغير الله عز وجل، ومن ادعى لغير أبيه وهو يعلم، والجدل والمراء واللدد، ومنع فضل الماء، ونقص الكيل والزرع وما أشبه ذلك، والأمن من مكر الله، وأذية أولياء الله ومعاداتهم، وتارك الجماعة المصلى وحده لغير عذر، والإصرار على ترك الجمعة والجماعة من غير عذر، والإضرار بالوصية، والمكر والخديعة، والتجسس على المسلمين والدلالة على عوراتهم، وسب أحد من الصحابة رضى الله عنهم.

وأنصح بقراءة كتاب الكبائر، كما نصحت فيما مضى بقراءة شعب الإيمان للبيهقى، وكلاهما مطبوع وميسر.

وبعد: فما الوسائل التى يستطيع المسلمون بها جعل الأنظمة فى المجتمع المسلم خالية مما يخالف شرع الله ومنهجه؟

ذلك ما نوضحه فيما يلى والله المستعان.

* * *

(١) المكس: الضريبة يأخذها المكاس من كل من يدخل البلاد من التجار وهو بذلك يعين الظلمة على ظلمهم، لأنه يأخذ مالاً لا يستحقه ويعطيه لمن لا يستحقه.

(١) يدخل فى مفهوم الضعيف: العبد والخادم والجارية والزوجة.

(٢) إباق العبد: هروبه من سيده.

٢- وسائل جعل النظم فى المجتمع خالية مما يخالف شرع الله

هذه الوسائل ليست عصًا سحرية يرفعها الساحر أو يشير بها لتستجيب له الحكومات والأجهزة والمؤسسات، فتنفى عن النظم فى المجتمع كل ما يخالف شرع الله ونظامه، كما أن تحريك هذه الوسائل لا يتم بالقهر أو بالعنف، وإنما تتحرك هذه الوسائل من تربية وتوعية وإعداد وبمحاولات جادة وأعمال دائبة وصبر مستمر، وتضحية بالوقت والجهد والمال، وذلك ما لا يستطيعه إلا الذين يحسنون التواصى بالحق والصبر وقليل ما هم.

- غير أن هؤلاء المحاولين للتغيير المتواصين بالحق والصبر؛ لهم وجود وحضور وفاعلية فى كل مجتمع مسلم، فهم روح المجتمع وملحه وسكره وماء حياته، وهم الدعاة إلى الله على بصيرة والعاملون فى الحركة الإسلامية الذين يستهينون بما يلاقون من عنت، وما أكثر ما يلاقون!!! ولكنهم صابرون محتسبون.

- ولا عجب فى أن يقبل بعض الناس على الانخراط فى موكب الدعاة إلى الله والمتحركين بدينه فى الآفاق، وأن يوفروا أنفسهم على القيام بهذا العمل الجليل، فهم الذين ورثوا النبى ﷺ فى الدعوة إلى الحق والخير والهدى، بل هم الذين أورثهم الله تعالى الكتاب ليعملوا بما فيه مقتدين بالنبى ﷺ، والكتاب والسنة، دعوة إلى الله وحركة بدينه وأمراً بالمعروف ونهيا عن المنكر وجهادا فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

- ومن فضل الله على المسلمين فى كل عصورهم أن عصراً من هذه العصور لم يخل من الدعاة إلى الله والمتحركين بدينه الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر المجاهدين فى سبيل الله؛ تصديقًا لقول المعصوم ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس»**.

- **هؤلاء هم الذين يعملون ويجاهدون من أجل أن تخلو النظم فى المجتمع المسلم من كل ما يخالف شرع الله ومنهجه ونظامه.**

ووسائلهم فى ذلك هادئة مقنعة فاعلة قادرة على التغيير فى المدى البعيد، وهذه الوسائل ثلاث:

- التربية؛ من خلال آلياتها المعروفة لدى المسلمين وهى: الأسرة والمسجد والمدرسة.

- والتوعية؛ من خلال أنواعها المعروفة وهى: توعية القلب والعقل والجوارح.

- والإعداد؛ من خلال أنواعه المعروفة وهى: إعداد الروح والخلق، وإعداد العقل والثقافة، والإعداد العلمى والتقنى، والإعداد السياسى والاقتصادى.

وإلى حديث وجيز عن هذه الوسائل والله المستعان.

* * *

الوسيلة الأولى : التربية

وهى أهم النظم الاجتماعية وأقواها أثراً فى إحداث التغيير، وهى أدوم الوسائل على مر الزمان؛ لذلك كانت عمل الأنبياء والمرسلين ومن ورثوهم من الصالحين.

والمشغولون بالتعليم منذ عصر النبى ﷺ هم آثر عنده من سواهم من الصالحين، فقد روى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين؛ إحداهما يقرءون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال النبى ﷺ : « كل على خير هؤلاء يقرءون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بعثت معلماً، وجلس معهم ».

● وللتربية الإسلامية شروط وآداب نشير إلى بعضها فيما يلى :

– أن تكون مهتدية فى مفاهيمها وأهدافها بالقرآن الكريم، مقتدية بسنة الرسول ﷺ فذلك من شروط التربية والتعليم.

– وأن تكون مستهدفة إعمار القلب بالإيمان، فقد روى ابن ماجة بسنده عن جندب بن عبد الله(١) رضى الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ ونحن فتيان حزاورة(٢)؛ فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً ».

– وأن تكون مستهدفة إعمار العقل بالفكر الصحيح والعلم النافع، داعية العقل إلى التأمل والتدبر فى عظيم خلق الله وفى سير السابقين.

– وأن تكون مستمرة لا تتوقف بأحد عند سن معين، فما دام الإنسان المسلم حيًا فإنه يتعلم ويتربى مما يحيط به من ناس وأحداث وأشياء، بل عليه أن يستزيد من العلم يوماً بعد آخر، لأن الله تعالى علم رسوله ﷺ أن يدعو: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] مع أنه معصوم يوحى إليه من ربه – ولكن الازدياد من العلم مطلب إسلامى أصيل.

– وأن يكون التعلم والعلم والتعليم خالصاً لوجه الله تعالى، فقد روى الترمذى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: « من تعلم علماً لغير وجه الله أو أراد به غير

---

(١) ويقال له: جندب الخير وهو من علق من بجيلة فهو بجلى علقى.

(٢) جمع: حَزَوَّر: وهو الغلام إذا اشتد وقوى وحزم.

الله فليتبوأ مقعده من النار».

– وأن يكون التعليم مستهدفًا نفع الناس فى دينهم ودنياهم، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».

– وأن يكون التعلم والعلم والتعليم للعمل والممارسة لا لذات العلم، حتى لا يتحول العلم إلى هرطقة ويتحول العلماء إلى هراطقة، فلا يغنى عنهم العلم شيئًا وإنما ينشغلون بالجدل واللجاج، كما وقع فى ذلك اليهود والنصارى، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: «هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شىء» فقال زياد بن لبيد الأنصارى رضى الله عنه: كيف يُختلس منا، وقد قرأنا القرآن، فوالله لَنَقْرَأنه ولنُقْرِئنه نساءنا وأبناءنا، قال: «ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فما تغنى عنهم». أى حفظوها لذاتها ولم يعملوا بها فما أغنت عنهم شيئًا.

● **آليات التعليم والتربية:**

من أهم هذه الآليات الفاعلة فى التعليم والتربية ثلاث مؤسسات هى: الأسرة والمسجد والمدرسة.

أولاً: الأسرة:

وعمل الأسرة فى التعليم والتربية سهل ميسور لأن الأسرة تمارسها مع أبنائها بأسلوب تلقائى متكرر، هو إعطاء الطفل القدوة من سلوك أبويه وإخوته الكبار بحيث يكون هذا السلوك منضبطًا مع القيم الإسلامية.

مع الاهتمام بأن كل سلوك يصدر عن الأبوين أو الإخوة الكبار مخالف للقيم الإسلامية يراه الطفل فيترسب فى أعماقه حتى إذا نهاه عنه الأبوان، فإذا شب عاد هذا السلوك يطارده حتى يمارسه، وذلك تقصير من الأبوين فى إعطاء القدوة لأبنائهما يُسألان عنه أمام الله تعالى.

فإذا انضم إلى القدوة الاستعانة ببعض آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ ولو على

مائدة الطعام كان ذلك تأكيداً لسلامة التربية الإسلامية وزاد من قدرتها على التأثير فى الأبناء.

- وإذا كان ذلك هو الصواب، فما بالنا بالأسر المسلمة التى لا تمانع من أن يتخلق أبناؤها بأخلاق غير المسلمين كالتدريب على الأكل باليد اليسرى والتقطيع للطعام باليد اليمنى؟ وما بالنا بالأسرة التى تستبدل تحية الإسلام، فتسمع من أبنائها أو تسمعهم كلمات غير المسلمين فى تحيتهم؟ وما بالنا بالأسرة التى تسمح للأبناء أن ينادوا آباءهم وأمهاتهم بأسمائهم ورفع الصوت أمامهم؟ وما بالنا بالأسرة التى تسمح للبنين بالتشبه بالبنات وللبنات بالتشبه بالبنين فى الملابس؟

ثانيًا: المسجد:

لقد علمنا رسول الله ﷺ أن المسجد -إلى جانب أنه بيت الله تعالى المخصص للعبادة -مؤسسة اجتماعية بالغة الأهمية بل هو مؤسسة تعليمية تربوية يتعلم المسلمون فيها كثيراً مما يتصل بأمور الدين وأمور الدنيا من خلال الخطب والدروس والمحاضرات التى تلقى فى المسجد، فهو مدرسة عالية للراغبين فى العلم[١].

وارتياد المسجد وأداء الصلاة فيه يعلم الطاعة وسرعة الاستجابة والنظام والدقة والخشوع والإقبال على الله، ويعلم آداب دخول المسجد وآداب الخروج منه، والصمت وحسن الاستماع.

تلك بعض وظائف المسجد فى تاريخنا كله، ما توقف عن كثير منها إلا بعد أن منيت كثير من البلدان الإسلامية بالانقلابات العسكرية، فأراد الانقلابيون -من أجل السيطرة الكاملة على كل كلمة تقال خشية أن تمس ظلمهم واستبدادهم- أن يحجموا وظائف المسجد ويحصروها فى أداء الصلوات ويقصروا الكلام على من يتحدثون بما يرضيهم، فأغلقت المساجد إلا فى أوقات الصلوات وحيل بين الدعاة وبين الحديث فيه فضلاً عن خطبة الجمعة[٢].

---

(١) كان ذلك فى مساجد دمشق والكوفة والبصرة ومصر وتونس والمغرب وكل ذلك بعد المدينة المنورة ومكة المكرمة.

(٢) لقد رأيت -بحكم سني الذى فاق السبعين عامًا- المساجد وهى مفتوحة الأبواب طوال النهار وجانبًا من الليل، ورأيت فيها دروسًا ومحاضرات وندوات ثقافية وشاركت فى كثير منها دون منع أو حساب أو عقاب.
أما بعد الحكم العسكرى فى مصر فلقد اعتقلت مرة بعد أن خطبت الجمعة لأننى طالبت فى الخطبة بالاقتصاد فى الأموال التى أنفقت على الاحتفال بمرور ستة أشهر على قيام ثورة ١٩٥٢م بمصر، وذهب بى إلى سجن =

إن الأمل كبير فى أن تفتح أبواب المسجد أمام المسلمين، لأن المساجد بيوت الله وليست بيوت الحكام[1].

- والمسجد متمم لعملية التعليم والتربية التى بدأت بالأسرة.

ثالثًا: المدرسة:

وهى ركيزة التعليم والتربية، وهى بمستوياتها المتعددة أهم آليات التعلم والتربية لما تتيحه من تعليم ذى منهج ونظام وإلزام.

والمدرسة فى الإسلام واكبت المسجد فى نشأته، بل كان المسجد يقوم بعملها فى بادئ الأمر، فلما كثر عدد المتعلمين الصغار، اتجه بهم نحو الكتاتيب -لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وتعلم مبادئ العلوم- ثم اتجهوا من بعد ذلك إلى المدرسة.

- والمدرسة فى المجتمع المسلم المعاصر قد استلب منها ما يجعلها إسلامية وأصبحت مؤسسة تعليمية تستهدى غير القيم الإسلامية، كما أرادت لها ذلك حكومات كثير من بلدان العالم الإسلامى، بدليل إهمال السيرة النبوية فى مقررات التربية الدينية والاكتفاء بالإشارة إليها جزءاً من التاريخ، ولابد أن يكون ذلك التجاهل من توصيات أعداء الإسلام القدامى مثل: «دانلوب، وجب» أو المحدثين كالصهاينة والصليبيين والأمريكان.

- والتربية الإسلامية فى مناهج التعليم لا تكفى لتربية مسلم يعرف دينه نظريًا وعمليًا، بل إن منهج التربية الإسلامية آخذ فى الانكماش، وهو منهج بمعزل عن تقديم الإسلام على أنه دين للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والجمالية، والجامعات لا تقل إهمالاً للتربية الإسلامية عن المدارس -بغض النظر عما يدرس فى بعضها من مقرر يسمى «الثقافة الإسلامية» وذلك جهد مشكور ولكنه غير كاف.

- وماذا تفعل المدارس والجامعات الأجنبية فى بلدان العالم الإسلامى؟ هل لهم عمل أهم من إقصاء الإسلام عن حياة المسلمين؟

= الأجانب ثم السجن الحربى ثم معتقل العامرية دون ذنب إلا إلقاء خطبة الجمعة. والاعتراض على الإسراف فى إنفاق الأموال.

وأشهد الله أنى رأيت طاغية مصر جمال عبد الناصر وقد أمر باعتقال من يصلون الفجر فى المساجد والذهاب بهم إلى لاظوغلى فالسجن الحربى حيث التعذيب الوحشى العسكرى والدفن لمن مات فى الصحراء، أشهد بذلك، وما أحب أن يُنسى هذا لأن فى تذكره عبرة لأولى الألباب.

(١) قرأت فى الأهرام فى ٢٠ / ٢ / ٢٠٠١م أن وزير الأوقاف قال: إن أبواب المساجد مفتوحة طوال اليوم فأرجو أن يكون ذلك صحيحًا وأن يأجره الله إن فعل.

● وماذا يفعل الصهاينة والصليبيون والملحدون والأمريكان فى العالم الإسلامى الواقع فى نفوذهم الاقتصادى والثقافى والسياسى؟ هل لهم عمل أهم من إقصاء الإسلام من حياة المسلمين؟

● إن إقصاء الإسلام عن حياة المسلمين هو الذى فتت العالم الإسلامى وحال بينه وبين الوحدة أو الاتحاد، ومنع التكافل الاقتصادى فضلاً عن السياسى بين دوله، ووراء هذا الإقصاء أعداء الإسلام وضعف المسلمين.

● وهيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها وسائر مؤسساتها خاضعة للولايات المتحدة ألد أعداء الإسلام والمسلمين لسيطرة اليهود عليها، وهى تجيد الكيل بمكيالين وتمارس التفرقة فى القضايا السياسية على أساس الدين والعرق بدليل مواقفها من: فلسطين والبوسنة والهرسك وكوسوفو والشيشان وكشمير وبورما والفلبين وغيرها!!!

ماذا فعلت هذه الهيئة من أجل إيقاف عدوان إسرائيل على النساء والأطفال والبيوت الآمنة فى الضفة الغربية وغزة وإسرائيل نفسها؟ لا شىء!!!

لكنها اهتزت وجاء أمينها العام وممثل أوروبا وروسيا عندما أسر جندى إسرائيلى على يد مقاتلى حزب الله فى شبعا المحتلة!!!

● ولا بد أن يقول أحد الذين لا يعجبهم ذلك الذى أقول: إنه التفسير التآمرى للأحداث وهو إحساس لدى الكتاب الإسلاميين!!!

وأقول رداً على هؤلاء: إنه ليس إحساساً بل رؤية لواقع ملموس، إن أخطأته العين فلن تخطئ الأذن سماع صراخ المغتصبات فى البوسنة والهرسك والشيشان وبعض دول البلقان...

ونعوذ بالله من أن نتهم أحداً ظلما دون دليل، لو كان من ألد أعدائنا وأعداء الإسلام اليهود والأمريكان.

وبعد: فإلى الحديث عن الوسيلة الثانية من وسائل إخلاء النظم فى المجتمع المسلم مما يخالف دين الله ومنهج شريعته الخاتمة، والله المستعان.

* * *

الوسيلة الثانية : التوعية

وهى متممة للتربية بل هى عند التحقيق نوع من التربية، إذ هى توعية للقلب والعقل والجوارح، وهى ميادين عمل للتربية من خلال الأسرة والمسجد والمدرسة.

والتوعية وسيلة فاعلة فى تعريف الناس بدينهم ومنهجه ونظامه، وهى واجب شرعى على العلماء القادرين وأهل البصيرة.

وهذه التوعية أنواع ثلاثة:

- توعية القلب بإيقاظه من الغفوة والغفلة.
- توعية العقل بتنبيهه وحفزه على التفكر والتدبر.
- وتوعية الجوارح بترشيد سلوكها.

أولاً: توعية القلب أو الروح:

وإنما تكون توعية القلب بإيقاظه من الغفوة وتنبيهه من الغفلة واستثارة مشاعره، ولذلك طريقة ذات خطوات يعرفها الدعاة إلى الله وورثة نبيه ﷺ فى هداية الناس.

وهذه الخطوات هى:

- تنقية القلب من الشوائب والعوالق والأغيار، وطرد وسوسات الشياطين، فإذا نقى من ذلك تهيأ لقبول الحق والهدى وعمل الخير، واجتناب كل ما حرمه الله تعالى.

ويدخل فى تنقية القلب رفض همز الشيطان ولمزه ووسوسته وملئه بالأوهام والأباطيل والضلالات[1].

- ووصل القلب بخالقه سبحانه وتعالى عن طريق الأذكار والأوراد والدعاء، وكلها أذكار وأوراد وأدعية وردت عن النبى ﷺ، وإذا وصل القلب بخالقه دخل فى طاعته وامتثال أمره، واجتناب ما نهى عنه، وذلك هو الوعى الصحيح.
- وأداء الفرائض والإكثار من أداء النوافل، فهذا مما يجلو القلب ويزيل عنه ما يرين عليه من صغائر وآثام، ويعمر القلب بالحق والخير والهدى، وحب الله ورسوله وحب الناس وحب

(١) توسعنا فى الحديث عن ذلك فى كتابنا: التربية الروحية الحلقة الأولى من هذه السلسلة نشر دار التوزيع ١٤١٥-١٩٩٥م - القاهرة.

الخير لهم، وذلك وعى للقلب يحول بينه وبين ما يغضب الله تعالى.

وهذه الخطوات الثلاث من التوعية واجب الدعاة إلى الله نحو من أوصاهم الله بدعوتهم إليه.

ثانيًا: توعية العقل وحفزه على التفكر والتدبر:

والعقل قريب المعنى من القلب والروح -كما أوضحنا ذلك فى كتابينا التربية الروحية والتربية العقلية[1].

والعقل من أكبر نعم الله على الإنسان فهو ما يميزه عن الحيوان وهو ما جعله مناط التكليف الشرعي من أمر ونهى، وتلك قمة التشريف الإلهى للإنسان وتكريمه وتفضيله على كثير من خلق الله.

● وإذا كان عمل العقل هو الفهم والتصور والإدراك للوازع الأخلاقى، لكى يتدبر فيما يحيط به فيهتدى ويتجه نحو الصلاح فإن لهذا العقل محاذير فى عمله من أهمها:

- تقليد السابقين دون تفكير فيما كان عليه السابقون، لأن ذلك إلغاء للعقل بقبول كل قديم دون تفكير.

وقد نبه القرآن الكريم إلى خطر هذا التقليد فى قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠].

والعقل المتحرر من التقليد هو الذى يستطيع إدراك الحق والباطل، والإقبال على طاعة الله والنفور من مخالفة منهجه.

- وأن يخاف أصحاب السلطة الدنيوية وأصحاب النفوذ والجاه، لأن هذا الخوف يؤدى إلى الرضوخ لظلم هؤلاء المستبدين وطغيانهم بل ربما يسروا له ظلمه وطغيانه، ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه وخالف أمر ربه.

● وفى عصرنا هذا زاد عدد الظالمين المستبدين وأصبحوا دولاً لا أفرادًا، وزاد تخويفهم وترهيبهم لأصحاب العقول واختراع آلات تعذيب تدمر العقل، فما يفعل الدعاة إلى الله والعلماء والمفكرون مع من يعذبونهم وينتهكون أعراضهم أمام ذويهم بل يضربونهم على

---

(١) التربية العقلية هى الحلقة الثالثة من هذه السلسلة -نشر دار التوزيع ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦م.

أجهزتهم التناسلية؟! كما هو شأن الحكام العسكريين فى العالم النامى، وإن هؤلاء المعذبين أو الآمرين بالتعذيب لن ينساهم التاريخ كما لا ينسى من صبروا على تحمل التعذيب، ذلك شأن التاريخ مهما جبن المؤرخون المعاصرون للحكام المستبدين.

إن مهمة الدعاة إلى الله أن يعيدوا للناس ثقتهم فى الله وفى أنفسهم وفى عقولهم وفى الحق والخير والهدى، وأن يطالبوهم بالصبر، كما تحدث بذلك المعصوم ﷺ، فقد روى البخارى بسنده عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله وهو متوسد بردة له فى الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليقيمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

ثالثًا: توعية الجوارح بترشيد سلوك الإنسان:

الجوارح جمع: جارحة وهى فى الأصل الصائدة من الكلاب والفهود والطيور، لأنها تجرح الصيد وتكسبه لمن أطلقها.

وسميت أعضاء الإنسان جوارح تشبيها بها، وجوارح الإنسان هى: لسانه ويداه ورجلاه.

- وأهم جوارح الإنسان لسانه لما يحتمل أن يجلبه على صاحبه من ضرر وشر عندما يتحدث، ولأهمية ما يقوله اللسان جاء قوله تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨].

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم**».

وروى الحاكم -فى المستدرك- بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: «ثكلتك أمك يا ابن جبل، وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

وروى البخارى بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يتكفل لى بما بين لحييه (لسانه) وما بين فخذيه (فرجه) أتكفل له الجنة».

وتضاف العينان والأذنان إلى الجوارح، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «كتب على بن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك إلا محالة، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان تزنيان وزناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه».

● والجوارح كلها تشهد على الإنسان وعمله يوم القيامة، فقد روى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول: يارب ألم تجرنى من الظلم، قال: يقول: بلى، فيقول: فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقى، فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلّى بينه وبين الكلام فيقول: بُعداً لكُنَّ وسحقًا فعنكن كنت أناضل».

● والدعاة إلى الله وظيفتهم أن يرشدوا الإنسان ويفقهوه بأن معظم المعاصي والمحرمات إنما تقارف بالجوارح، فلابد إذن لهذه الجوارح من الانضباط مع ما أحل الله لتمارسه بغير حرج، ومع ما حرم الله لتمتنع عنه وإلا أوقعت صاحبها فى الحرج، قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ**﴾ [النور: ٢٤، ٢٥].

وقال جل وعلا: ﴿**وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [فصلت: ١٩-٢٣].

● وللتوعية الإسلامية شروط وآداب نشير إلى بعضها فيما يلى:

- أن تكون لوجه الله تعالى مستهدفة صالح الإسلام والمسلمين، خالية من كل ما يخدش

الإخلاص. فقد روى أحمد بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليمًا ولسانه صادقًا، ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وأذنه مستمعة وعينه ناظرة».

– وأن يكون موضوع التوعية مما يهم المسلمين فى حاضرهم أو مستقبلهم، فقد روى الحاكم –فى المستدرك– بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

– وأن يكون عمل التوعية مستمرًا، وذلك واجب كل من يمارس التوعية من الدعاة إلى الله، فقد روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذى يتعلم ثم لا يُحَدِّث به، كمثل الذى يكنز الكنز فلا ينفق منه».

– وأن تكون التوعية على قدر عقل من يُوَعَّى، فقد روى أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «علموا ويسروا ولا تعسروا...».

وروى الديلمى –فى مسند الفردوس– بسنده عن على مرفوعًا إلى النبى ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله».

– وأن لا يضيق الموعَّى بمن يوعيه وبأسئلته ولا يمل التكرار عليه حتى يفهم. فقد روى ابن ماجة بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ وأفتوهم» وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «أنه كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثًا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه».

– وأن يجيب الموعَّى سائله بأكثر مما تستدعيه الإجابة حرصًا منه على تزويد السائل بعلم ينفعه، وقد كان هذا هدى النبى ﷺ، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن النبى ﷺ أن رجلاً سأله: ما يلبس المحرم؟ فقال: «لا يلبس القميص، ولا العمامة ولا السراويل، ولا البرنس، ولا ثوبًا مسَّه الورس أو الزعفران، ولا الخفين، إلا أن لا يجد نعلين، فليقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين» أى يقطع الخفين.

● ولهذه التوعية آليات ووسائل تستعين بها لتحقق أهدافها، وهذا ما سوف نوضحه فيما يلى والله المستعان.

آليات التوعية الإسلامية :

التوعية الإسلامية لابد لها من آليات وأجهزة ووسائل تستعين بها على تحقيق أهدافها، وهي تشارك التربية في آلياتها التي ذكرنا آنفًا من الأسرة والمسجد والمدرسة، فهذه الثلاثة آليات فاعلة للتوعية بل هي الأساس التي ترتكز عليه التوعية.

غير أن التوعية الإسلامية لها بالإضافة إلى ذلك آلية رابعة ربما كانت أشد فاعلية من آليات الأخرى وهي : «الإعلام».

الإعلام:

في البداية لابد أن نشير إلى أن الإعلام وأجهزته كلها -في العالم الثالث -تحت سيطرة الحكومات، ومعظم هذه الحكومات تستولى على الإعلام وأجهزته ورجاله بكل إصرار وقوة بل بالقهر والجبروت، إذ ترى بقاءها في الحكم مرهون بالاعتماد على الإعلام والقوة العسكرية.

وكل حكومات العالم الثالث تعتمد على الإعلام في بقائها سواء من تولى منها الحكم بانقلاب عسكري أو استفتاء أو انتخابات فيها كثير من الشوائب وفي أجواء الأحكام العسكرية والعرفية.

- وكل حكومة من هذه الحكومات تجعل للإعلام وزارة ووزيراً، وهو ما لا يتبع في كثير من بلدان العالم الغربي، ومع بالغ الأسف فإن الإعلام حق للمواطن في بلدان العالم الغربي، ولكن بلدان العالم الثالث تغمط المواطن حقه في الإعلام، إلا ما ترغب الحكومة في تسريبه إليه.

- ولكي لا نوصف بالتحامل على تلك الحكومات، فإننا نتحدث هنا عن مبررات هذه الحكومات في تسخير الإعلام والقوة العسكرية في كل ما يتصل بالحريات وحقوق الإنسان عموماً.

وهذه المبررات لحرمان المواطن من حرياته وحقوقه عند هذه الحكومات كما تعلن عنها في جلسات كبار المسئولين الخاصة التي تتسرب إلى الأصدقاء والأولياء لهذه الحكومة ثم تتسرب حتى يعرفها المفكرون والكتاب وهذه المبررات عندهم هي :

- أن الشعب الذي تحكمه جاهل تسيطر الأمية على ثلاثة أرباع سكانه، ولذلك فإنه قد يسيء استخدام الحريات إن أطلقت له، وقد يطالب بتغيير الحكومة أو مشاركتها في

السلطة -لا قدر الله- وعندئذ تضيع على المجتمع مكاسب الشعب -التى هى فى الحقيقة مكاسب للحكومة والحزب الواحد - أما الشعب فقد وفرت له الحكومة الأمية والبطالة والفقر وسوء التعليم القليل، ووفرت له الرغبة الشديدة فى الهجرة من البلاد، وفرت له القلق والخوف من الاعتقال والتعذيب والسجون، والتنعم بقوانين الطوارئ التى تستمر فى بعض بلدان العالم الثالث أكثر من ربع قرن!!! ووفرت هذه الحكومات للمواطنين أعداداً غفيرة من رجال أمن الدولة والاستخبارات وغيرها من الأجهزة التى وظيفتها هى قمع المواطن الراغب فى الحرية!!!

- وأن الشعب غير قادر على الانتقال إلى العلم والمعرفة فهو مع الجهل والأمية!!!

تقول هذه الحكومات ذلك وهى التى تنادى بأن التعليم من حق المواطن دون مقابل مادى، مع أنها التى تسأل عن التعليم مدارسه ومعلميه ومناهجه، فكيف يغادر الشعب الأمية فى ظل عجز الحكومات عن استيعاب عدد الملزمين، وعن توفير تعليم جيد يلحق المتعلمين بركب الحضارة.

ولو أن الحكومة أنفقت على التعليم بمقدار ما تنفق على الإعلام وأجهزة الأمن والتخابر والقمع والإرهاب، لاستطاع التعليم أن يستوعب عدد الملزمين واستطاعت نوعيته الجيدة أن تقدم العلم والثقافة والمعرفة.

لكن ليبق أمر المواطن على ما هو عليه من جهل وأمية حتى لا يزعج الحكومة بتطلعاته.

- ومعظم هذه الحكومات تتصور أنها وحدها التى تعمل لصالح الشعب، ولو زعزعت عن الحكم لكانت خسارة فادحة للشعب ومكاسب الشعب...!!!

وكثير من هذه الحكومات يدعى رؤساؤها أنهم عباقرة أفذاذ جاءوا لشعوبهم على موعد مع القدر ليرفع به المواطنون رءوسهم من الذل والاستعباد، وتلك مغالطة جعلها الإعلام وأجهزته تدوى فى الآذان فتملأ بعض النفوس الفاهمة بالمرارة والأسى، وتملأ سائر نفوس الذين تغلب عليهم الأمية أو الذين يجنون المكاسب من الحكومة والحزب بالإعجاب والإشادة والهتافات التى تعلو منادية بأنها تفدى الظالم المستبد بالروح والدم.

- **والعجيب أن ذلك يحدث حتى اليوم فى مجتمعات تغطيها شبكات الاتصالات وتنقل إليها أخبار العالم دون المرور على أجهزة الإعلام والرقابة وبطش الأحكام العرفية وقوانين الطوارىء!!!**
- **ومن خطط هذه الحكومات أن أحلت التعصب الأعمى للأندية الرياضية محل الرغبة فى الانتماء إلى حزب سياسى إن وجد، أو إلى الانضمام إلى جماعة إصلاحية أو جمعية**

خيرية، ولقد رأيت بنفسى متى بدأ هذا التعصب للأندية الرياضية عندما استبد نظام الحكم بمصر فأطاح بأول رئيس للجمهورية «محمد نجيب» واعتقل حتى مات، وبدأ إلهاء الناس بالتعصب للأندية الرياضية.

– ومن مبررات الحكومات المستبدة فى حرمان الشعب من حقوقه وحرياته أن تسيطر الحكومة على إنشاء الأحزاب السياسية فتمنع قيامها أو تسمح لمن قدم فروض الولاء للحكومة وحزبها، ثم على الإعلام وأجهزته أن يقنع الناس بذلك ويبرر هذه السيطرة الحكومية على إنشاء الأحزاب أو الجماعات أو الجمعيات.

- والأحزاب السياسية فى العالمين الأول والثانى إنما تنشأ لكى تشارك فى الحكم عندما تصل إليه عن طريق الانتخابات الحقيقية، أما فى العالم الثالث فالأمر جد مختلف، لأن إنشاء الحزب وإلغاءه والقبض على أعضائه من عمل الحكومة، بل إن الجيش يستطيع إسقاط الحكومة التى جاءت عن طريق الانتخابات!!!
- وبعض الحكومات فى العالم الثالث تعصف بحقوق الإنسان عندما ترفض تشكيل حزب سياسى إسلامى، مع أن العالمين الأول والثانى حافلان بالأحزاب اليهودية أو المسيحية.

إنها مؤامرة عالمية على الإسلام تشارك فيها حكومات العالم الثالث، لكى يعزل الإسلام عن حياة الناس.

والإعلام من وراء ذلك يبرر ويقدم الحجج والبراهين!!!

– والأمر كذلك فى تشكيل الجماعات والجمعيات، لابد أن توافق عليها الحكومة ولابد أن تكون غير إسلامية!!!

بل إن هيمنة الحكومات فى العالم الثالث على كل شىء امتدت إلى النقابات المهنية من حيث تشكيلها وحلها واعتقال أعضائها ومحاكمتهم محاكمات عسكرية.

وكل ذلك افتيات على حق المواطنين فى التفكير والتعبير والمشاركة فى حكم بلادهم، شأن كل الناس فى غير العالم الثالث.

وعلى الإعلام وأجهزته أن يمهد لكبت الحريات أو الإقناع بضررها وخطرها.

وفى أيام الطاغية الأكبر فى مصر حاولت «النكتة» – التى يشتهر بها الشعب المصرى عندما يقهر –فقالت النكتة:

إن كلباً مصرياً هرب من البلاد فقبض عليه عند الحدود، فقيل له: لماذا تهرب؟ قال: لكى أنبح!!!

- ومن قهر حريات المواطنين فى العالم الثالث حظر إنشاء مجلة أو جريدة يومية أو أسبوعية أو دورية إلا بإذن من الحكومة، وبعد بحث وتحر دقيقين من طالب الترخيص، خشية أن يكون غير مستعد لنفاق الحكومة، أو أن يكون منتميًا لجماعة أو جمعية تنادى بحرية التعبير، فإن تبين لأجهزة التخابر براءته من كل هذه التهم، لم يسمح له أيضًا بإصدار جريدة أو مجلة خشية أن ينتكس فينادى بالحرية.

فإن سمح لأحد بإصدار جريدة أو مجلة أخذت عليه الشروط بأن يكون أكثر إخلاصًا للحكومة من رؤساء تحرير الصحف والمجلات التى تعينهم الحكومة بقرار لأنها مالكة جميع الصحف والمجلات والدوريات، مع ادعائها أن ذلك ملك للشعب.

- ومع هذا القهر للرأى والفكر والتعبير وسائر الحريات نجد بعض الكتاب يشيدون بالحريات التى تمنعها هذه الحكومات للناس دون حياء!!!

وبعد هذا الاستعراض السريع الموجز لمبررات حكومات العالم الثالث لحرمان الناس من حقوقهم وحرياتهم، نقول:

إن أجهزة الإعلام ومن يقومون عليها فى دول العالم الثالث أصبحت حراسًا للحكومة لا يقلون أثرًا وفاعلية عن رجال أمن الدولة والمخابرات، ولا عجب فى ذلك، فإن كثيرًا منهم نوقشوا أمام أمن الدولة قبل أن يتولوا مناصبهم!!!

- ولقد ترتب على حرمان المواطنين فى العالم الثالث من حقوقهم وحرياتهم، ووضع أكبر العقبات أمام احتمال مشاركتهم فى حكم بلادهم، التى استأثر بحكمها المغامرون العسكريون وورثة العروش والإمارات والدول... ترتب على ذلك أن يرغب كثير من المواطنين فى الهجرة من بلادهم إلى بلدان العالم الأول أو العالم الثانى، فيسرت حكومات الظلم والاستبداد هذه الهجرة للتخلص من هؤلاء الطامحين إلى الحرية الذين يرغبون فى التمتع بحقوق الإنسان، وأفادت بلاد المهاجر من هذه الهجرة بأن استوعبت من أتموا تعليمهم الجامعى على الأقل، ومن يملكون رءوس أموال ينفقونها هناك فى مشروعات أو يودعونها فى مصارف تلك البلاد!!!

- **وإذا كان الإعلام وأجهزته ورجاله فى العالم الثالث ملكا خاصًا للحكومات المستبدة، فماذا عسى أن يفعل الناس وبخاصة الدعاة إلى الله والغيورون على أوطانهم فى توظيف الإعلام ليسهم فى التوعية الإسلامية التى تستهدف إخلاء النظم الاجتماعية من كل ما يخالف شرع الله ومنهجه ونظامه؟**

إنهم مطالبون -من أجل صالح دينهم، ودنياهم - أن يتخذوا مواقف معينة، وألا يظلوا

مستسلمين لهذه الحملات الإعلامية المضللة عن الحق، المدافعة عن الظلم والاستبداد، التى تبلبل أفكار الناس وثقافتهم، وتحول ولاءهم وتشوه انتماءهم.

إن عليهم أن يقوموا بأعمال ثلاثة لمقاومة هذا الطغيان الإعلامى الموجه من حكومات الظلم والاستبداد، وهى:

أولاً: ألا يصدقوا كل ما يسمعون أو يقرأون أو يشاهدون، إلا بعد مراجعة دقيقة وتحكيم عادل لعقولهم وقلوبهم وقيمهم الإسلامية ومعاييرهم الإسلامية، فى قبول مفرزات هذا الإعلام أو رفضها بحيادية وموضوعية، وأتصور أن ما سوف يرفضونه أكثر مما سوف يقبلونه.

ثانياً: أن يبحثوا لأنفسهم وذويهم عما يسلّى وينفع من خلال مكتبة منزلية معقولة، وشرائط مسموعة أو مرئية تقدم المتعة والفائدة وتحافظ على الدين والخلق -وهى بفضل الله متيسرة- ولا ينقص المسلم أن يكون ذا بصر بما ينفعه ويقيه وأهله ناراً وقودها الناس والحجارة كما أمر الله تعالى بذلك فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...**﴾ [التحريم: ٦].

ثالثاً: أن يحاول أهل القدرة والكفاءة من المفكرين والكتاب أن يؤلفوا الكتب والأعمال المسرحية والسينمائية والتليفزيونية التى تتلاءم مع قيم المجتمع وتاريخه وتراثه وحضارته، حتى لا يترك هذا الميدان لمن يشوهون الحقائق ويسيئون إلى الأديان ويروجون للقيم المخالفة للإسلام المستوردة من عند غير المسلمين.

وأغلب الظن أن تجد هذه الأعمال طريقها إلى النور والانتشار على مستوى الأسر والجماعات إن حيل بينها وبين وسائل الإعلام وأجهزته والمحركين له فى اتجاه مضاد للقيم الإسلامية.

وبعد: فإن التوعية بوصفها وسيلة من وسائل إخلاء المجتمع المسلم من كل ما يخالف دين الإسلام ومنهجه، سواء منها ما كان توعية للقلب والروح أو للعقل والفكر أو للجوارح جديرة بأن تنال من الدعاة إلى الله كل عناية واهتمام، وأن تشمل هذه الرعاية والاهتمام آليات هذه التوعية من الأسرة والمسجد والمدرسة والإعلام وأجهزته؛ إن ذلك بفضل الله تعالى لقادر على أن يصد بعض السهام الموجهة إلى الإسلام والمسلمين إن لم يصدها جميعاً، وهذا واجب شرعى على كل مسلم قادر عليه.

وإلى الحديث عن الوسيلة الثالثة من وسائل إخلاء المجتمع المسلم وأنظمته من كل ما يخالف شرع الله ومنهجه، وهى: الإعداد بكل أنواعه، والله المستعان.

الوسيلة الثالثة: الإعداد بكل أنواعه

هذه الوسيلة كسابقتيها -التربية والتوعية- تستهدف معهما إخلاء النظم في المجتمع المسلم من كل ما يخالف شرع الله ومنهجه ونظامه، هي السبيل بل هي الضمان لسلامة سير المجتمع المسلم ونظمه نحو الصلاح والإصلاح، وإحراز النجاح في الدنيا والآخرة.

- والإعداد هو الأخذ بالأسباب المشروعة التي تكفل للمسلمين الاستجابة لمتطلبات المعاش والمعاد في إطار ما يرضي الله تبارك وتعالى، ويحمي دينه ويحرر عباده من الخوف والقهر والكفر والضلال.

- والإعداد مطلب شرعي أمر الله تعالى به في قوله الكريم: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهذا إعداد للحرب والقتال ومواجهة أعداء الإسلام.

- والإعداد للحياة الدنيا مطلب شرعي كذلك أشارت إليه عشرات الآيات القرآنية الكريمة، ومنها قوله تعالى: ﴿ ... **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الحج: ٧٧]، وقوله عز وجل: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ...** ﴾ [الجمعة: ١٠].

- والأحاديث النبوية التي تطالب المسلمين بالإعداد لكل شئون الدنيا والآخرة كثيرة، وذلك أن الإعداد أخذ بالأسباب. وترك الأسباب مطلقًا جهل بسنة الله في الكون، والاتكال على الله تعالى لا ينافي الأخذ بالأسباب، مع سكون النفس إلى مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، وليس من شروط التوكل على الله ترك الأسباب.

قال ابن العربي المالكي: «وقد كان النبي ﷺ يعمل بالأسباب سنةً للخلق وتطييبًا لنفوسهم.

وكان هدي رسول الله ﷺ الإعداد لكل أمر من أمور المسلمين في حربه وغزواته، وفي سلمه وسائر أعماله، فقد أعد لغزوة الأحزاب فحفر الخندق، وقال للأعرابي الذي أهمل تقييد ناقته وقال: توكلت على الله: «اعقلها وتوكل» رواه الترمذي، وقال أبو بكر بن العربي ورد صحيحًا.

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق».

● والإعداد يستهدف إعداد الإنسان لنفسه وإعداد المجتمع كله لأن يمتنع عن كل ما يخالف شرع الله ونظامه، لينعم المجتمع كله برضا الله تعالى الذى أمر بهذا الإعداد.

وسوف نتحدث بعون من الله عن أهداف الإعداد وعن أنواعه:

أولاً: أهداف الإعداد:

للإعداد نوعان من الأهداف أحدهما عام والآخر خاص أو مرحلى.

● فالأهداف العامة للإعداد كثيرة منها:

– التهيؤ والتجهز لمواجهة المواقف التى تستوجب هذا الإعداد؛ كالزواج والتزويج والإعداد لأداء فريضة الحج، بل أداء الصلوات ونحو ذلك مما يحتاج إلى إعداد مسبق.

– والتهيؤ والتجهز لممارسة الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس، فإن ذلك يقتضى إعداداً للنفس وإعدادا للعقل والثقافة، ومعرفة بمن يدعوهم ويتحرك فيهم، لأن الدعوة إلى الله لا تكون إلا عن بصيرة.

– وممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تحتاج إلى تهيؤ وتجهز، وأخذ بأسباب هذا الأمر وذاك النهى، كمعرفة شروط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وآدابهما.

– والتهيؤ والتجهز للجهاد فى سبيل الله نفسيًا وجسديًا وماديًا لخوض هذه المعارك التى ورد فيها قوله تبارك وتعالى: ﴿...خُذُوا حِذْرَكُمْ...﴾ [النساء: ٧١]. وقوله سبحانه: ﴿...وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ...﴾ [النساء: ١٠٢].

– وإعداد المجتمع كله لخوض معارك الحرب ومعارك السلام، وذلك واجب الحكومة وأجهزتها، والمعارك غير الحربية فى حياة المسلمين اليوم لها أهمية المعارك الحربية، كالإعداد لمواجهة مشكلات الفقر و البطالة والأمية والمرض، ومواجهة العدو المتربص...

– والإعداد على مستوى الوطن العربى لمواكبة ركب العلم والتقدم حتى لا تتفوق إسرائيل علميًا وعسكريًا وتملى شروطها وتعبث بحقوق أصحاب البلاد الشرعيين –كما هو حادث اليوم...

- والإعداد على مستوى العالم الإسلامى لمواجهة حركات التنصير القائمة على قدم وساق فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، ومقاومة حركات التشويه والتمزيق للعالم الإسلامى الذى اتخذه الغرب عدواً بعد سقوط ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى.

- ووسائل هذا الإعداد على كثرتها ميسورة وممكنة إذا صح العزم وصدقت النوايا وأفاق الغافلون من المسلمين.

- أما الأهداف الخاصة أو المرحلية فكثيرة أيضًا، منها:

- ما هو على مستوى الفرد المسلم؛ بأن يكون على مستوى ما تطلبه المرحلة التى يعيشها من حياته، والمرحلة التى تعيشها أمته، من علم ومعرفة وقوة ورؤية نافذة للأحداث.

- وعلى مستوى الأسرة، إذ لابد أن تعد الأسرة المسلمة نفسها للتعامل مع ما يحيط بها من متغيرات، ومن تحد واضح للقيم الإسلامية، ومن محاولات مستميتة لإضلال أبنائها عن الحق وإبعادها عن الاعتزاز بدينها وقيمه ومعاييره.

- وعلى مستوى الوطن المحلى والوطن العربى والوطن الإسلامى، فلكل فرد أو أسرة أو جماعة أو جمعية أو حزب سياسى أو نقابة، لكل هؤلاء واجبات فى إعداد أنفسهم لمواجهة التحدى الموجه إليهم بشكل مباشر أو غير مباشر.

- وعلى مستوى العالم الإسلامى دولا وحكومات فلابد من إعداد ملائم فى مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة والإعلام، وليس هذا بصعب أو مستحيل، فإن المسلمين اليوم قرب عددهم أو كاد من ألف وخمسمائة مليون إنسان؛ فيهم من العلماء والحكماء والمفكرين والباحثين والأثرياء ما يمكن العالم الإسلامى من مواجهة أعدائه.

ثانيًا: أنواع الإعداد:

للإعداد أنواع كثيرة مطلوبة جميعها، لا يغنى بعضها عن بعض، بل لا يغنى مجموعها عن بعضها لأنها متكاملة، لا تفلح ولا تنتج ما يتوقع منها من نتائج إلا مجتمعة.

وهذه الأنواع من الإعداد كلها مطالب بها المسلمون جميعًا أفرادًا وجماعات وحكومات، بحيث يعتبر التقصير فى القيام بها ممًّا يحاسب الله عليها فى الدنيا والآخرة، ومن عقاب الدنيا الانهزام أمام أعداء الإسلام، أو فقد الأمن والطمأنينة، أو فقد بعض أقاليم العالم الإسلامى!!!

وما حدث، وما يزال يحدث فى أنحاء عديدة من العالم الإسلامى من اليهود والصليبيين الجدد والروس والصرب والكروات، والهندوس وغيرهم، من انتهاك لأمن كثير من بلدان المسلمين وقتل جماعى للمسلمين واغتصاب لنسائهم، وقتل أطفالهم وبقر بطون الحوامل من المسلمات، كل ذلك إنما هو عقوبات دنيوية على ترك الإعداد، وعدم الأخذ بالأسباب.

● وقد يتوهم بعض الناس أن هذا الإعداد واجب الحكومات ولكن ذلك تصور خاطئ توحى به السلبيات لأنهم مسيرون بإرادة الحكام!!!

إن المسلمين -فى عمومهم اليوم- غارقون فى متع حياتهم الدنيا متغافلين عما أوجب الإسلام عليهم من الإعداد لكل عدو، بحيث يصبح همهم الدين أولاً، لأن الدين يصلح شأن الدنيا، فقد روى أحمد بسنده عن زيد بن ثابت رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: « ... من كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له... »

فما أنواع الإعداد؟ هى:

إعداد روحى خلقى، وإعداد عقلى ثقافى، وإعداد علمى تقنى، وإعداد اقتصادى، وإعداد سياسى.

وفى كلمات سريعة عن كل نوع من أنواع هذا الإعداد نقول:

الإعداد الروحى والخلقى:

وإعداد الروح يبدأ بأداء ما فرضه الله، وبالإكثار من أداء النوافل والرغبة فى الوصول إلى منزلة الإحسان... ويتطلب ذلك الإحساس القوى بوجود الله تعالى وأنه يراقب الناس فى أقوالهم وأعمالهم، والإقبال على الله تعالى بحبه وحب الناس وحب الخير لهم، والثقة فى الله تعالى وفى بره بخلقه واستجابته لهم، مع الرضا بقضاء الله وقدره.

إن هذا الإعداد الروحى يباعد بين المسلم وبين المعاصى والآثام وإذا تطهر المسلم من ذلك كان أهلاً لأن يتحقق على يديه النصر.

وإعداد الخلق يبدأ بالتخلى عن راذل الأخلاق التى حرم الإسلام الاتصاف بها، وهى كل معصية لله ورسوله، ثم التحلى بمكارم الأخلاق التى أوجب الإسلام على المسلم أن يتصف بها، وعلى رأس هذه الصفات شعب الإيمان كلها التى جمعها البيهقى فى سبع وسبعين

شعبة، كما جمع الذهبي الرذائل والآثام تحت عنوان الكبائر في سبعين كبيرة، وإذا أُعد الخلق على هذا المستوى كان صاحبه جديراً بأن يتحقق على يديه النصر، لأن إعداد الروح والخلق بهذا المستوى يجمع لصاحبه صفات الإيمان، والله تعالى قد وعد المؤمنين بالنصر في قوله تعالى: ﴿ ... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

والأسر والجماعات والجمعيات والهيئات والحكومات مطالبة بهذا النوع من الإعداد، لكي يتأهلوا جميعاً لأن يتحقق على أيديهم النصر على الأعداء، المقتحمين للوطن العربي المحتلين لأجزاء منه، المهيمنين على كثير من بلدان العالم العربي اقتصادياً وسياسياً وهم اليهود والقوى التي تؤيدهم وتمدهم بالمال والسلاح، وعلى رأس هذه القوى الولايات المتحدة الأمريكية.

والإعداد العقلي والثقافي:

كل مسلم مطالب بأن يحافظ على عقله بالامتناع عن كل ما يضر به من تعطيل أو مرض أو تغييب لعقله، وذلك باجتناب ما حرم الله من الخمور والمخدرات والمسكرات عموماً، واجتناب الغضب الشديد، الذي يذهب العقل إلى حين.

كما أن على المسلم أن يأخذ بأسباب الصحة العامة والصحة العقلية بشكل خاص، فيعتني ببدنه ويعمل ما وسعه على تجنب ما يضر بدنه من إسراف في طعام أو شراب أو ممارسة شهوات أو سهر أو إكثار من النوم أو استسلام للكسل حتى يصح بدنه فيصح عقله ويسلم من الآفات.

- وعلى المسلم أن يمد عقله بأسباب قوته وصحته واستقامة فكره، فيفكر ويتدبر فيما حوله من مخلوقات الله، وينظر في سير الأولين ليأخذ العبرة بمن أطاعوا الله ومن عصوه، ويخلِّص عقله من الجمود والتبعية والتقليد والخرافات والأوهام وألا يثق في الظنون والأوهام، وأن يباعد بين نفسه وبين الميل والهوى والعجلة، وأن يجعل التثبت والتبين أسلوبه في الحكم على الناس وعلى الأشياء.
- وعلى المسلم أن يزود عقله بالعلم والمعرفة والثقافة النافعة التي تعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته، وأهم مصادر المسلم في ذلك كله؛ كتاب الله وسنة نبيه وسيرته ﷺ، وأهم مراجع المسلم في ذلك هو تاريخ الإسلام وصالحي المسلمين، وتاريخ المصلحين المجددين على رءوس القرون.

وأما سائر مراجع الثقافة فلا بأس أن يطلع عليها ولكنه يأخذ منها ما لا يتعارض مع الإسلام ومنهجه وشريعته.

- تلك هى الثقافة المأمونة الموثقة التى يزود بها المسلم عقله على وجه الوجوب أو الندب، وما عدا ذلك من مرجعيات ثقافية فهو من المباح لكن بشرط ألا يتعارض مع الإسلام.

ولهذه الثقافة التى يتزود بها المسلم من أجل عقله وظيفتان:

إحداهما: القدرة على عرض الإسلام على الآخرين ودعوتهم إليه من خلال الحوار والنقاش، وحرية الرأى واحترام الرأى الآخر وحرية الاختيار، وتقديم الأدلة والبراهين والشواهد.

والأخرى: القدرة على رد الاتهامات والشبهات التى يوجهها أعداء الإسلام للإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً، وهى تهمٌ عاصر بعضها رسول الله ﷺ وحكى عنها القرآن الكريم فى قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣]. ولا تزال مثل هذه التهم توجه إلى الإسلام وإلى رسوله ﷺ وإلى المصلحين المجددين حتى يومنا هذا، يرددها اليهود والصليبيون الجدد وعدد من المستشرقين، بل الضالون من المسلمين[1].

- هذا على مستوى الأفراد والأسر، ولكن هذا الواجب يمتد ليشمل الجماعات والجمعيات والمؤسسات والحكومات، كل هؤلاء واجب عليهم تزويد العقل بالعلم والمعرفة والثقافة، وتأهيله لأداء وظائفه الدينية والدنيوية.

الإعداد العلمى والتقنى:

ليس من المبالغة فى شيء القول بأن الإسلام دين العلم، أو الدين الذى حث على طلب العلم أكثر من غيره من الأديان والنظم، وذلك أن الآيات القرآنية التى دعت إلى طلب العلم وإلى اعتباره فضيلة يجب التحلى بها، وإلى اعتباره منقذاً للناس من الكفر والضلال والحيرة والضياع، تلك الآيات الكريمة أكثر من مائتى آية نذكر منها:

---

(١) وللتوسع فى معرفة وظائف العقل: انظر لنا «التربية العقلية» الحلقة الثالثة من هذه السلسلة -نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- في مجال العلم والعلماء قوله تبارك وتعالى: ﴿ . . . يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ . . . ﴾ [المجادلة: ١١] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ . . . ﴾ [فاطر: ٢٨].

- وفي مجال طلب العلم ووجوب الاستزادة منه جاء قوله تعالى: ﴿ . . . وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]. وقوله: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] أى أن البحث عن العلم يجب أن يستمر لأن ما أوتيه الإنسان قليل من كثير يجب البحث عنه والوصول إليه.

● والأحاديث النبوية فى الثناء على العلم وطلبه ومكانة العلماء أكثر من أن تحصى أو أن يشار إلى عدد تقريبي منها، ونذكر منها ما يلى:

- روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقًا إلى الجنة».

- وروى البيهقى -فى شعب الإيمان- بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم».

والمعنى أن العلم يضحى فى سبيله بتكبد المشاق فى بعد مكان طلبه لأنه فريضة يجب أن تؤدى.

● وكلمة العلم تعنى فى تراث الإنسانية كلها نوعين من العلم:

- العلم النظرى: وهو ما يكمل بمجرد طلبه والعلم به.

- والعلم العملى: «التقنية» وهو ما لا يكمل إلا بتطبيقه وتنفيذه.

والإسلام نادى بهذا وذلك.

● وللعلم بنوعيه خصائص تميزه منها:

دقة المفاهيم، والتعميم، والملاحظة، والتجربة، وإمكان اختبار الصدق، وثبات الصدق، والموضوعية بمعنى رفض الميول الفردية والآراء الشخصية.

● والمسلم الذى يفقه الإسلام عليه أن يوظف العلم بنوعية النظرى والعملى فى وظيفتين:

إحداهما: ما يدفع عنه المضار والأخطار فى دينه ودنياه.

والأخرى: ما يجلب له المصالح والمنافع فى دينه ودنياه.

● وطلب العلم والاهتمام به كما هو فرض على كل مسلم هو كذلك فرض على كل حاكم مسلم وكل حكومة، وذلك بأن تيسر طلب العلم وأن ترعى العلماء وتمدهم بالعون المادى والمعنوى، وتعتبر ذلك من بين أهدافها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لأنها بذلك تمضى فى طريق التقدم والأخذ بأسباب القوة لمواجهة الإعداد سلمًا وحربًا، وبخاصة أولئك الأعداء الذين يتسترون بالديموقراطية وتماثيل الحرية وشعاراتها، أو ذلك السرطان البشرى الذى انتشر فى العالم العربى على حين غفلة منه المسمى «إسرائيل» التى توشك أن تسيطر على العالم بسيطرتها على الولايات المتحدة الأمريكية، إن مواجهة هذا العدو المتستر أو الظاهر إنما تكون بالعلم بعد الإيمان، لأن مواجهة الحرب «البيلوجية» وحرب الغازات السامة وتسميم الآبار وإفساد بذور المحاصيل الزراعية والاغتيال والقتل الجماعى وغيره من وسائل دمار البشرية الذى تمارسه إسرائيل فى العالم العربى ومارسته أمريكا فى اليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية، كل ذلك لا يمكن مواجهته إلا بالعلم، كما أمرنا الله تعالى فى قوله الكريم: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...** ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وتعد هذه الآية الكريمة دستوراً جامعًا لكل أنواع الإعداد وتحدد هدف هذا الإعداد، ومواجهة لعدو اليوم وعدو المستقبل، وهم اليهود قتلة الأنبياء المكذبون لرسل الله المتآمرون المعتدون على شعوب الأرض بحجة أنهم شعب الله المختار، ومعهم - بالنسبة لنا عربًا ومسلمين - انجلترا التى مكنت لليهود فى فلسطين وأمريكا التى تعهدت بأن تجعل من إسرائيل قوة أكبر من قوة العرب مجتمعين لسيطرة اليهود عليها وإيهامها بأنهم قاعدة أمريكا «الاستراتيجية» فى العالم العربى وأنهم حماة مصالحها «البترولية» فى المنطقة!!!

الإعداد الاقتصادى:

وهو وضع سياسة للاقتصاد، ومن المعروف أن الاقتصاد يخضع لنظام ينسق بين الأعمال الاجتماعية والمعايير التى تتبع بشأن إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها، بحيث يتم توفير حاجات الناس ومطالبهم سواء منها ما كان أساسيًا ضروريًا أو ثانويًا كماليا.

والحاجات الإنسانية تتطور وتتعدد من مكان إلى آخر ومن زمان إلى غيره وتتزايد طرديًا مع تحضر الإنسان.

ويحتاج أى اقتصاد إلى تخطيط ليحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية معًا؛ وهو أنواع عديدة عرف منها عالمنا المعاصر:

– الاقتصاد الحر: الذى يلغى قيود التجارة الخارجية، ويترك تحديد الأسعار لنظرية العرض والطلب وعدم التدخل فى استخدام الأفراد . . .

– والاقتصاد الموجه: الذى تسيطر عليه الدولة فتملك كل وسائل الإنتاج وتضع نظام توزيع السلع وتحدد الأسعار . . .

– والاقتصاد المختلط: وهو مرتبط بفكرة سيطرة الدول القوية على الدول الضعيفة (الاستعمار) وهو شقان أحدهما تسيطر عليه رءوس الأموال الأجنبية المستقلة والآخر تسيطر عليه القوى الوطنية وهى عادة لا تقدر على الإنتاج الجيد أو الذى يحقق الكفاية.

● والاقتصاد بكل أنواعه يستهدف النمو الاقتصادى على المستوى القومى، وقد شاع تعبير «التنمية الاقتصادية» بمعنى مختصر هو زيادة نصيب الفرد من السلع والخدمات.

وهذه التنمية الاقتصادية تتطلب أموراً، أهمها:

– إزالة المعوقات الاقتصادية من طريق التنمية الاقتصادية، ومن أهم هذه المعوقات كثرة القوانين وتلاحقها و«البروقراطية»، واعتبار المستثمر متهما حتى تثبت براءته وغيرها مما هو معروف فى العالم الثالث البائس الفقير المعقد.

– وتوفير رءوس الأموال والخبرة الفنية.

– والتقدم التقنى فى كل ما يلزم هذه التنمية الاقتصادية.

– وتحقيق الوفرة الفنية أى تقسيم العمل والتخصيص الدقيق، واستخدام الآلات الكبيرة ذات الإنتاجية العالية.

– وتوفير الإدارة الجيدة التى تزيد حجم الوحدة الإنتاحية، أو تجمع عدداً من الوحدات الإنتاجية تحت إدارة واحدة.

– وتوفير القدرات التجارية أى الكفاءة فى شراء المواد الخام، وفى بيع المنتجات النهائية، والحصول على أقل الأسعار على تخفيض التكاليف فى نقل السلع وفى الدعاية والإعلان.

– وتوفير الأموال لسهولة الحصول على الائتمان، والعمل على زيادة رأس المال كلما كان ذلك من ضرورات التنمية الاقتصادية.

● والإعداد الاقتصادى واجب الفرد المسلم لانه يملك العمل وقد يكون مالكًا للمال ولبعض

وسائل الإنتاج، ومن واجبه فى كل ذلك أن يحصن نفسه وعمله وماله من كل ما يخالف الإسلام منهجه ونظامه.

وهذا الإعداد الاقتصادى واجب على مستوى الحكومة بصورة أكبر وألزم، لأنها التى تستطيع فرض النظام والقوانين على الناس جميعًا، وهى الأقدر على أن تخلى كل النظم والقوانين الاقتصادية من كل ما يخالف الإسلام شريعته ومنهجه ونظامه.

والإعداد السياسى:

السياسة فى تاريخ البشرية مواكبة للإنسان عندما تعددت أسره وصار مجتمعًا، لأنها فى جوهرها تدبير للحياة والعيش، وذلك مطلب قديم قدم الإنسانية ذاتها.

وهذه السياسة هى القادرة على التوفيق بين المطالب الاجتماعية والمطالب السياسية للإنسان -وهى مطالب قد توصف بأنها غير متناهية-، ولذلك كانت للسياسة أهداف أهمها:

- تنمية التضامن الاجتماعى، والمحافظة على السلام، والعمل على الاستقرار النفسى والاجتماعى.
- وتحديد الأولويات فى الحياة الاجتماعية، والحياة الاقتصادية، والحياة الثقافية، وحياة السلام أو الحرب، السياسة هى التى تحدد أولويات العمل فى كل هذه المجالات.
- وتحديد المفاهيم الصحيحة الدقيقة للحقوق والواجبات بالنسبة للفرد وللمجتمع، فى إطار صحيح من العدالة والمساواة والاحترام لحقوق الإنسان وحرياته.
- ومواجهة المشكلات بما يناسبها من حلول للتغلب عليها، وتحويل الصعوبات فى أى شعبة من شعب الحياة إلى ممكنات.
- ووضع خطة راشدة محكمة لمقاومة أى اختلاف عن الإسلام منهجه وشريعته.

- والإعداد السياسى واجب الفرد بمعنى أنه مطالب بأن يضع لنفسه ولأسرته ومن يليهم من الناس سياسة تؤمن له ولهم الحاضر وتتحسب للمستقبل، وتهيئ الحياة الإنسانية الكريمة التى أمر الله تعالى بها للإنسان، وهذا الوجوب شرعى أمر به الإسلام وظاهرت على الأمر به آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ وسيرته.
- وهذا الإعداد السياسى واجب شرعى كذلك على مستوى الحكومة والمسئولين فيها

جميعًا، غير أن الإعداد السياسى فى العالم الثالث عمل وجهد وتضحية وإخلاص وليس تمنيات أو تجليات يلهم بها الزعيم الأوحد أو الملهم أو الذى جاء على موعد مع القدر.

● ولهذا الإعداد السياسى على مستوى الحكومة صفات يجب أن تتوافر فيه.

هذا الإعداد السياسى للحكومة يجب أن تقوم به الأجهزة والمؤسسات التى يقوم عليها العلماء والمتخصصون كل فى مجال من مجالات العلم، الذين يضعون الخطط والاختيارات والبدائل لكل عمل سياسى، ثم تعطى هذه الخطط للحكومة لتختار وتنفذ وتراقب وتتابع، دون الحاجة إلى إلهام الزعيم الأوحد الملهم البطل.

● والعلماء والمتخصصون هم الذين يعرفون أن الإعداد السياسى يحتاج إلى أمور غاية فى الأهمية، مثل:

- تحديد الهدف العام والهدف المرحلى لتلك السياسة.
- وتحديد الوسائل والوسائط التى توصل إلى تحقيق الأهداف.
- ووضع الخطط والخطط البديلة لكل عمل.
- وتنظيم الجهود والأعمال اللازمة لتنفيذ الخطة.
- والتنسيق بين العاملين أفرادًا وجماعات ومؤسسات.
- وتوظيف كل مرحلة من مراحل العمل لتفضى إلى التى بعدها.
- وحسن توجيه العمل والعاملين بتسديد خطاهم حتى يبلغوا الهدف.
- وتوفير التمويل اللازم للخطة فى مراحلها المتعددة.
- والاستمرار فى تنفيذ الخطة حتى تحقق أهدافها.
- والمراقبة والمتابعة للعمل والعاملين وتقويم الخلل فى حينه.

● وبهذا الإعداد السياسى المدروس يمكن أن تخلو النظم السياسية والاجتماعية وسائر النظم فى المجتمع من كل ما يخالف الإسلام فى شريعته ومنهجه ونظامه، ليحيا الإنسان فى كل ذلك حياة إنسانية كريمة.

فما الأهداف من وراء جعل النظم الاجتماعية خالية مما يخالف الإسلام؟ ذلك ما نجيب عنه فيما يلى والله المستعان.

٣- أهداف جعل النظم الاجتماعية خالية مما يخالف الإسلام:

هذه الأهداف كثيرة وجليلة القدر، وفى تحقيقها يتحقق كل إصلاح اجتماعى فى المجتمع المسلم، إذ هى أهداف لحماية المجتمع من الشرور والآثام، وحماية له من النظم المعادية.

ونستطيع أن نشير إلى مجمل هذه الأهداف فيما يلى:

أ- حماية أجيال المسلمين من الوقوع فى شرور النظم المعادية:

هذه الأجيال المسلمة المعاصرة كان من قدرها أن تتفتح عيونها وأن تستمع آذانها، وأن تمتلىء مشاعرها بسموم القيم الاجتماعية الوافدة المعادية، وهى قيم تستهدف عزل هذه الأجيال عن الإسلام قيمًا وسلوكًا وقدرة على حل مشكلات المجتمع، فإذا عزلت هذه الأجيال عن الإسلام سهل عليها أن تتبنى القيم المعادية، وأن ينشأ فى هذه الأجيال إلحاد وعلمانية وانحلال أخلاقى، بل تهجم على الإسلام من بعض الغافلين الموالين لأعدائهم.

- وإذا كانت النظم الاجتماعية خالية من كل ما يخالف الإسلام فإن فى ذلك حماية لهذه الأجيال، لكن هذه الأجيال وهى تقبل على القيم الإسلامية وتلفظ القيم المعادية سوف تعانى من الصبر على المكاره ما تعانى، سوف تعانى من حربها لشهوات النفس وهمزات الشياطين، وسوف تعانى من ظلم الحكام الذين يوالون الأعداء، ويخافون الإسلام معاناة شديدة قاسية من سجن وتعذيب وحرب فى الرزق وقيود على الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق، وسوف تكون هذه الأجيال وهى تتمسك بقيمها الإسلامية كالقابض على الجمر، فقد روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر» ولكنهم عند الله فى أعلى مكان بفضل الله تعالى، لأنهم بصبرهم على دينهم وتحملهم من أجله يوفَّوْن بغير حساب.

ب- وحماية المجتمع المسلم من سيادة الأنظمة المعادية:

وذلك أن الأعداء يحاولون جاهدين هم وأولياؤهم أن يقضوا على النظم الإسلامية ليحلوا محلها نظمهم، موعدين ومتوعدين، مانحين المال والمراتب لمن استجاب، ومنشئين السجون والمعتقلات ومستوردين آلات التعذيب وأدواته لمن تمسك بنظم الإسلام وآثر ما عند الله على ما عند الظالمين والأعداء.

ولا عاصم للمجتمع المسلم إلا في رفض سيادة النظم المعادية والإصرار على التمسك بنظم الإسلام مهما كانت التضحيات، فلن يضيع أجرهم عند الله، بل هم على خير وفي خير، فقد روى مسلم بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة منهم فادلجوا – أي ساروا من أول الليل– وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق».

ومعنى ذلك أن ما جاء به النبي ﷺ من نظم وقيم نجاء للناس من كل ما يصيبهم من شرور وأضرار إذا هم أخذوا بأنظمة أخرى مخالفة لما جاء في الإسلام.

جـ– وحماية الناس من ازدواجية الولاء:

الناس هنا هم الأفراد والجماعات والحكومات، وحمايتهم من ازدواجية الولاء يعني حمايتهم مما هو قريب من الشرك ما لم يكن شركًا، لأن الأصل في المسلم أن يكون ولاؤه لله ولرسوله وللمؤمنين وللإسلام ومنهجه ونظامه، وكل ولاء –بمعنى المحبة والمناصرة– لغير ذلك مرفوض بل هو من صميم ما حرم الله. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٦]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: ٥٦].

● ومن الولاء المرفوض:

– الولاء بين المؤمنين والكافرين، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١].

– والولاء بين المؤمنين وأعداء الله أعداء المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ...**﴾ [الممتحنة: ١].

– والولاء بين المؤمين وأقربائهم الذين على الكفر قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا**

آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة : ٢٣] .

● فالأصل أن يكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

● وازدواج الولاء معصية لله ولرسوله تدخل صاحبها فى الشرك عندما يتعمد، وفى الضلال عندما يكون جاهلاً بها ويقيم فى غير ديار المسلمين، ومن والى منهجًا غير منهج الله واتبع غير سبيل المؤمنين فقد وقع فى الإثم والمعصية وشاق الله ورسوله، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

● والمسلمون اليوم أمام ظاهرة خطيرة فى كثير من بلدان العالم الإسلامى وهى ازدواجية الولاء للقوانين، قوانين الإسلام والقوانين الوافدة أو المستوردة من دول لا تدين بدين الإسلام.

إن كثيرًا من الحكومات فى العالم الإسلامى يأخذون من الغرب عددًا من القوانين مثل :

– القانون الدستورى (الدستور) الذى يحدد : شكل الدولة؛ موحدة أو اتحادية، وشكل الحكومة، ملكية أو جمهورية، برلمانية أو غير برلمانية، وكيفية تنظيم السلطات؛ التشريعية والتنفيذية والقضائية، وتنظيم علاقات المواطنين بالدولة (الحقوق الأساسية) .

– والقوانين الأخرى كقانون الإجراءات الجنائية وقانون الإجراءات المدنية والتجارية .

– والقوانين الإدارية، وقوانين البحار، وقوانين الحرب والسلام .

– يأخذون بهذا كله بغض النظر عما فى هذه القوانين مما يخالف الإسلام .

● ولا يأخذون من الإسلام إلا قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين فى الزواج والطلاق والميراث .

وتلك هى الازدواجية المرفوضة شرعًا إذ الأصل أن يكون الولاء لله، وأن الأخذ للقوانين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما يجتهد فيه علماء المسلمين .

● والتربية الاجتماعية الإسلامية تستهدف أن تحمى المسلمين أفرادًا وحكومات من ازدواجية الولاء، حتى لا يقع المسلمون فى الكفر أو الضلال وتكون هذه الحماية بإخلاء النظم فى المجتمع المسلم من كل يخالف شرع الله .

الهدف السادس: من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية

هو: الوصول بالمجتمع المسلم إلى التضامن والتكافل

دين الإسلام الخاتم يعتمد الإيمان بشعبه العديدة والإسلام بأركانه كلها والإحسان بكل معانيه وسيلة لتوثيق الروابط بين المسلمين وترشيدها، وتسديدها نحو ما يرضى الله تعالى.

ويعتمد التواد والتراحم والتآخى فى الله وفى الدين وسيلة لدعم الوحدة بين المسلمين وتأكيد أنهم أمة واحدة.

ويعتمد التعاون والتضامن والتكافل ترجمة عملية للإيمان والإسلام والإحسان والتواد والتراحم والتآخى والتوحد، وتعبيراً صادقًا عن القيم الخلقية الإسلامية.

- تلك مسلَّمة عند كل من يعرف الدين الإسلامى الذى ختم الله تعالى به الأديان السماوية.

- وهذا الهدف وهو: الوصول بالمجتمع المسلم إلى التضامن والتكافل يعتبر نتيجة للأهداف الخمسة التى ذكرنا آنفًا وهى: إحياء سنة التعارف بين الناس، ومقاومة العزلة عن الناس إلا فى الفتن، واحترام الحقوق والواجبات للفرد والمجتمع، وإعلاء شأن الأسرة، وإخلاء النظم فى المجتمع من كل ما يخالف شرع الله، فعندما تتحقق هذه الأهداف -على نحو ما ذكرنا- فإنها تخدم الهدف السادس وتعين على الوصول إليه، فهى بمثابة جذور شجرة وجذوعها وأوراقها وأغصانها، أما ثمارها وجناها الحلو النافع فهو التضامن والتكافل بين المسلمين.

- والقاعدة العريضة والركيزة الراسخة التى يقوم عليها التضامن والتكافل هى: التعاون، وقد فرضه الله فرضًا على المسلمين فى كل زمان ومكان، فى قوله تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾** [المائدة: ٢].

وهذا البر الذى أمر الله تعالى بالتعاون عليه أوضحه الله تعالى فى قوله الكريم:
﴿...وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

● وقد جاءت السنة النبوية المطهرة تدعو إلى التعاون وتشيد بالمتعاونين فى عدد كبير من الأحاديث الشريفة وفى مواقف عديدة من السيرة النبوية، ونذكر من ذلك كله طرفًا نستشهد به ومن ذلك :

– ما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

– وما رواه البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

– وما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » .

– وما رواه مسلم بسنده عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جهز غازيًا فى سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا فى أهله بخير فقد غزا » .

– وقمة التعاون بين المسلمين تتجلى فيما رواه البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ثم شبك بين أصابعه » وكان النبى جالسًا إذ جاءه رجل يسأل أو طالب حاجة إذ أقبل النبى ﷺ بوجهه فقال : « اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما يشاء » .

● وما يتعمق التعاون على البر والتقوى فى نفوس المسلمين وفى أعمالهم بأقوى مما تحث عليه آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة ومواقف الرسول ﷺ .

وإذا تعمق التعاون بين المسلمين صار خلقًا لهم، فأدى إلى تضامنهم وتكافلهم .

● وسوف نتحدث فى هذا الهدف عن ثلاث نقاط :

التضامن، والتكافل، وأهداف التضامن والتكافل، والله المستعان .

١ – التضامن :

هو التآزر، وإلزام القوى أو الغنى نفسه بمعاونة الضعيف أو الفقير، كما يعنى تضامن الفرد مع الجماعة فى المسئولية .

وضمن الرجل غيره : أى تعهد والتزم بأن يؤدى عنه ما قد يعجز عن أدائه، وكل ضامن غارم إذا عجز من ضمنه .

هذا على مستوى الفرد .

● أما على مستوى الدولة أو الحكومة فهو : أن تلتزم الحكومة بأن تعين المحتاجين تضامنًا معهم بوصفهم مواطنين فى وطن هى تحكمه .

فما مظاهر التضامن بين المسلمين؟ وما حكمه؟ وما أهدافه؟ وما وسائله؟

ذلك ما نجيب عنه فى هذه الصفحات .

أ- مظاهر التضامن فى المجتمع المسلم :

الإسلام جعل التضامن بين المسلمين أمرًا لازمًا لا يتم الإيمان إلا به، وقد تأيد ذلك بعدد كبير من أحاديث الرسول الله ﷺ، نذكر منها ما يلى :

– روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

– وروى الطبرانى –فى الكبير– بسنده عن ضُمَيْرَة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا، وليس منا من غشنا، ولا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه» .

– وروى أحمد بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لينصرن الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًا فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلومًا فلينصره» .

● **ومن مظاهر تضامن المسلمين :**

– تضامنهم منذ الخطوات الأولى للدعوة الإسلامية فى مكة، حتى إنهم تضامنوا فى أن ينال من بعضهم العذاب من المشركين تضامنًا مع إخوانهم المعذبين فى سبيل الله، كما حدث من عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة الذين ردوا جوار أقربائهم الذين كانوا يحمونهم لكى ينالهم ما نال إخوانهم من الأذى فى سبيل الله!!!

- وتضامن أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع إخوانه المسلمين الأرقاء الضعفاء فكان يشتريهم وينقذهم من العذاب ثم يعتقهم فى سبيل الله ولوجهه سبحانه وقد أعتق عدداً من الرجال والنساء.

- وتضامنوا فى تحمل الشدائد فى سبيل الله ابتداء من الاستخفاء بدينهم فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، وإلى أن حبستهم قريش فى شعب بنى هاشم ثلاث سنوات أكلوا فيها ورق الشجر.

- وتضامنوا فى الهجرة من مكة إلى الحبشة أكثر من مرة.

- وتضامنوا فى الهجرة إلى المدينة المنورة.

- وتضامنوا فى بناء المسجد النبوى بالمدينة المنورة.

- وتضامنوا فى المؤاخاة فى الله التى عقدها الرسول ﷺ فيما بين المهاجرين والأنصار.

- وتضامنوا فى قتال المشركين فى كل المعارك التى خاضوها فى سبيل الله ابتداء من معركة بدر الكبرى، وإلى أن خلص صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيين.

- وتضامنوا فى عقاب اليهود على غدرهم ونقضهم للعهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين المسلمين.

- وتضامنوا فى حرب الروم والفرس، وفى نشر هذا الدين فى الناس والآفاق كى يبلغوا عن رب العالمين ما أمرهم به.

ب- حكم التضامن بين المسلمين:

التضامن بين المسلمين واجب شرعًا، لما دلت عليه آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ، لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ... ﴾ [المائدة: ٢] والتضامن ثمرة التعاون كما أوضحنا آنفًا، ولقول الرسول ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه».

- وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مشدهم على مضعفهم، ومسرعهم على قاعدهم، لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد فى عهده».

● والتضامن بين المسلمين خلق فيهم ما حافظوا على إيمانهم، وهو من الثوابت -في الإسلام- التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان، فلا ينبغى أن يفارقهم ما عاشوا على الأرض.

وإنما كان التضامن بين المسلمين واجبًا شرعيًا لما دلت عليه آيات القرآن الكريم وكلمات ومواقف السنة النبوية، ولأن المسلمين يواجهون به ما يعترض حياتهم من أخطار ومكائد يدبرها لهم أعداء الله فى كل زمان ومكان.

فبالتضامن يستعينون على دفع هذه المفاسد والمضار، وبالتضامن يستعينون على جلب المصالح والمنافع فى الدنيا والآخرة.

جـ- أهداف التضامن:

للتضامن بين المسلمين أهداف نبيلة بالغة الأثر فى المجتمع المسلم حاضره ومستقبله، ومن هذه الأهداف:

- بناء المجتمع المسلم بناءً صحيحًا متكاملاً يأمن فيه الضعيف والفقير على نفسه وأهله وولده، ويثق بأن يدًا حانية سوف تمتد إليه لتنتشله من ضعفه أو فقره، سواء أكانت اليد الممدودة يد فرد أو أسرة أو جماعة، أو يد الحكومة نفسها، لأن خلق التضامن بين المسلمين يقتضى ذلك.

- وتنقية المجتمع من العيوب والسلبيات التى يخلفها ترك التضامن بين المسلمين كالتفاوت الطبقى الحاد، وما يترتب عليه من حقد وكراهية وحسد، وكل ما نهى الله عنه.

- وتنقية المجتمع من الجرائم والانحرافات وكل ما حرم الله تعالى؛ لأن ذلك هو من نصر المسلم لأخيه المسلم إن كان ظالمًا لنفسه أو لغيره من الناس، ونصر للمظلوم حتى يصل إليه حقه، وهذا النصر هو لب التضامن كما أوضحنا.

- وحث المجتمع على أن تكثر فيه الفضائل وأنواع البر، لأن التضامن -كما قلنا- هو الترجمة الصحيحة للبر، والبر - كما أوضحنا - هو الإيمان بشعبه كلها والإسلام بأركانه والإحسان بأنواعه، وإعطاء للمال لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، وإقام الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر وإيتاء الزكاة التى هى دفع للحاجة عن ثمانية أصناف من المحتاجين، والوفاء بالعهد، والصبر على المكاره.

- ودفع المجتمع المسلم بهذا التضامن إلى أن ينهج منهج الإصلاح والتجديد لأمور الدين وأمور الدنيا فيحرز تقدمًا فى مجالات الحياة كلها وبخاصة فى العلم والتقنية والفن

والعمران وتأمين الآلة الحربية لمواجهة اليهود أعداء الحياة لغيرهم، ومواجهة كل عدو متربص، فيشق بذلك طريقه نحو حياة إنسانية كريمة تليق بتكريم الله تعالى للإنسان.

– وإعطاء المجتمع أفراداً وأسراً وحكومة بهذا التضامن فرصة للتعامل الإسلامى الإنسانى مع سائر الناس مؤمنين وغير مؤمنين، ليمارس بهذا التضامن الإسلامى التعامل مع الحضارات المتعددة والثقافات المختلفة لا الصراع معها –كما يهيئ الغرب نفسه للصراع مع الحضارة الإسلامية!!!

د– وسائل التضامن بين المسلمين:

للتضامن بين المسلمين وسائل عديدة تدعمه وتشجع عليه وتذكر به المسلمين على الدوام، ومن تلك الوسائل:

– ممارسة الدعوة إلى الله والتركيز على تنقية العقيدة مما يعلق بها من شوائب تأتى بها الثقافات المعادية، فكلما صفت العقيدة من هذه الشوائب أقبل المسلمون على التضامن والتآزر.

– والتربية وتنشئة الأبناء على أخلاق الإسلام، حتى تصبح قيم الإسلام هى السائدة، فإذا سادت قيم الإسلام ساد التضامن بين المسلمين لأنه محصلة لكثير من القيم كالتعاون والتواد والتراحم والتآخى؛ عندئذ يصبح التضامن بين المسلمين مكونا من مكونات الشخصية المسلمة.

– والتوعية من خلال آلياتها جميعاً؛ الأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام، والتوعية بما للتضامن بين المسلمين من آثار إيجابية أوضحها:

– إقدار المسلمين على مواجهة أعدائهم صفا كالبنيان المرصوص الذى يشد بعضه بعضا، والتوعية بما للتخلى عن التضامن من آثار سلبية تمزق صفهم وتشتت شملهم ووحدتهم وتضعفهم أمام أى عدو يتربص بهم فى موقف الضعف.

– والربط بين التضامن والأخذ بالأسباب، فإن من الأسباب التى يجب الأخذ بها أسباباً لا يتمكن المسلمون من الأخذ بها إلا متضامنين مثل مواجهة الكوارث والآفات والأعداء، ومواجهة وجوب تطوير الصناعة والزراعة والتجارة والاقتصاد عموماً، فإن ذلك كله لا يتم إلا من خلال التضامن بين الناس أفراداً وحكومات، وبين الحكومات فى الأقاليم الإسلامية المتعددة.

٢- التكافل:

تكفَّل بالشيء: التزم به، وتحمل أعباءه.

وكفل فلانا: قام بأمره، ومنه كفالة اليتيم والأرامل والعجزة.

والكافل: الضامن.

والكفالة: الضمان.

ويعد التكافل بين المسلمين من الأسس التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية السليمة التي تكفل لكل ذي حق حقه، وقد قلنا آنفا: إن التكافل قمة التضامن، كما أن التضامن هو قمة التعاون على البر والتقوى.

والتكافل -كما جاء به الإسلام- هو الصورة المثلى للمجتمع المسلم، وللعلاقات الإنسانية الصحيحة التي يجب أن تسود الناس، ليرضى عنهم خالقهم عز وجل.

كما أن التكافل دعم للأخوة في الدين وإحياء لحقوقها وواجباتها، وتعبير جيد عن القيم الإسلامية.

وسوف نتحدث عن التكافل كما تحدثنا عن التضامن؛ مظاهره عند المسلمين، وحكمه، وأهدافه، ووسائله.

أ- مظاهر التكافل بين المسلمين:

قلنا: إن التكافل خلقٌ في المسلمين ما داموا كاملي الإيمان والإسلام، فهو إذن من القيم الثابتة في الإسلام التي يجب أن يستمر المسلمون عليها في كل زمان ومكان.

ومن مظاهر التكافل في المسلمين الأوائل رضوان الله عليهم ما نذكر بعضه فيما يلي:

- عقد المؤاخاة الذي عقده الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فالتزموا به بل زادوا عليه تطوعًا ونافلة... فقد قاسم الأنصار المهاجرين أموالهم، أخرج الإمام أحمد بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلاً من كثير، لقد كفونا المئونة وأشركونا في المهنا[1] حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم».

---

(١) المهنا: ما يجيء الإنسان من نعمة في غير مشقة.

– ومن التكافل الإيثار ورفض الانفراد بالمنحة، فقد أخرج البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: دعا النبى ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين، قالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا المهاجرين مثلها. وقال: «أمَّا لا فاصبروا حتى تلقوني(١) فإنه سيصيبكم أثرة»

– وما قام به عثمان بن عفان رضى الله عنه فى تجهيز جيش العُسْرة حيث بذل من المال ما استكثره كل من رآه من الصحابة، حتى قال له رسول الله ﷺ: «اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض».

وجاء أبو بكر رضى الله عنه بماله كله وأبقى لأهله الله ورسوله، وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله وأبقى لأهله النصف.

– وتاريخ الصحابة رضى الله عنه وتاريخ التابعين وصالحى المسلمين ملىء بمظاهر التكافل بين المسلمين أفراداً، وتكافلهم مع حكامهم فى حروبهم وما يصيب البلاد من آفات تستدعى البذل والعطاء.

ب- حكم التكافل بين المسلمين:

التكافل بين المسلمين واجب شرعًا، لما رواه أحمد بسنده عن أبى بردة عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة»، قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق» قال: أرأيت إن لم يستطع أن يفعل؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف».

فهذا الحديث الشريف يدل على وجوب الصدقة، وعلى وجوب إعانة ذى الحاجة الملهوف، وكلا العملين تكافل بين المسلمين.

– والزكاة تكافل بين المسلمين قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]. فقد فرض الله هذه الزكاة فرضًا على كل قادر عليها.

– ولما رواه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من وسَّع على مكروب كربة فى الدنيا وسع الله عليه كربة فى الآخرة، ومن ستر عورة مسلم فى الدنيا ستر الله عورته فى الآخرة، والله فى عون العبد ما كان فى عون أخيه».

---

(١) أى يوم القيامة، والأثرة حب الذات.

والتوسيع للكربة عن المسلم وستر عورته تكافل بين المسلمين.

- ولما رواه أحمد بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ذهب الأغنياء بالأجر، يصلون ويصومون ويحجون! قال: «وأنتم تصلون وتصومون وتحجون» قلت: يتصدقون ولا نتصدق: قال: «وأنت فيك صدقة؛ عونك الضعيف بفضل قوتك صدقة».

وهذه الصدقة تكافل بين المسلمين.

- ولما رواه أحمد بسنده عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «كاتب[1] يا سلمان» فكاتبت على ثلاثمائة نخلة أجبيها له بالفقير، وبأربعين أوقية فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعينوا أخاكم» فأعانونى بالنخل، الرجل بثلاثين ودية[2] والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر بقدر ما عنده حتى اجتمعت لى ثلاثمائة ودية، فقال لى رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان ففقّر لها[3]، فإذا فرغت فائتنى أكون أنا أضعها بيدى» ففقرت لها وأعاننى أصحابى حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معى إليها، فجعلنا نقرب له الودى ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقى على المال، فأُتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب المغازى، فقال: «ما فعل الفارسى»؟ قال: فدعيت له فقال: «خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان» فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علىَّ؟ قال: «خذها فإن الله عز وجل سيؤدى بها عنك»، قال: فأخذتها فوزنت لهم منها، والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتنى معه مشهد.

وقصة سلمان الفارسى رضى الله عنه هذه أنموذج حى للتكافل بين المسلمين.

جـ- أهداف التكافل بين المسلمين:

يكاد يكون التكافل نفسه هدفًا بذاته؛ لأنه قمة التعامل الكريم النبيل بين المسلمين، ودليل على فهم المسلمين للإسلام نظريًا وعمليًا، ومع ذلك فإن التكافل يحقق أهدافًا أخرى منها:

---

(١) المكاتبة: عقد بين السيد والعبد على مال يقسط له فإذا دفعه صار حرًا.

(٢) وُدِيُّة: هى النخلة الصغيرة أو الفسيلة من النخل.

(٣) فقِّر لها: أى احفر للفسيلة حفرة لتغرسها فيها.

– تأمين حياة المسلمين أفراداً وجماعات فى داخل الوطن الواحد ضد الفقر والعجز عن العمل والبطالة والمرض والجهل، تأمينا يكفل لهم العيش الإنسانى الكريم، ويسهم فى إحياء أركان الإسلام وأخلاقه وثوابته وقيمه.

– وتأمين مساندة المسلمين شعوباً وحكومات فيما يحتاجون إليه مما يستطيعه إخوانهم فى الدين، مما يعبر عنه فى وقتنا هذا بالتكافل الاقتصادى الذى يجب أن يسود بين شعوب العالم الإسلامى، وأن تسبقه سوق إسلامية مشتركة، وامتيازات جمركية للسلع المنقولة بين بلدان المسلمين، واتحاد بين هذه الدول يؤدى إلى الأمل المنشود وهو وحدة العالم الإسلامى.

– ولأهمية التكافل بين بلدان العالم الإسلامى فإن أعداء الإسلام يضعون العقبات فى طريق التكافل والتكامل الاقتصادى والاتحاد فى أى شيء فضلاً عن الوحدة.

– ويحاول أعداء الإسلام أن يحولوا بين المسلمين وبين الاتحاد أو الوحدة –أى التكافل فيما بينهم– بعديد من الأسباب، نشير إلى بعضها فيما يلى[1]:

- نظرية ملء الفراغ بعد نظرية الاستعمار.
- ونظرية هيئة الأمم المتحدة بعد نظرية عصبة الأمم، وإن كانت تدعى أنها لصالح جميع الأمم وحل مشكلاتها بالطرق السلمية إلا أن الحقيقة أنها لصالح الدول الأقوى لتزيد هيمنتها على الدول الأضعف –بديل حق الاعتراض.
- ونظرية الصراع مع الحضارة الإسلامية واتخاذ الإسلام والمسلمين عدواً بديلاً للغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتى.
- ونظرية النظام العالمى الجديد –أى سيطرة الغرب وأمريكا بالذات على العالم كله.
- ونظرية العولمة وسيطرة أمريكا وحدها على العالم اقتصادياً وسياسياً وثقافياً.
- ونظرية اصطناع الحروب بين بلدان العالم الثالث، بحيث يظل يغلى من داخله فى آسيا وإفريقيا بالتحديد وفى البلدان الإسلامية على وجه الخصوص.
- ونظرية زرع شوكة فى قلب العالم العربى هى إسرائيل التى تقوم على العنصرية والاستعلاء على شعوب العالم وترتكب أى جريمة فى سبيل تحقيق أتفه هدف من أهدافها.

---

(١) لمعرفة تفصيل ذلك انظر لنا «التربية السياسية الإسلامية» نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

وغير ذلك من النظريات التى تستهدف أن تحول بين المسلمين وبين أن يتحدوا أو يتوحدوا، أى يتضامنوا ويتكافلوا.

د- وسائل تحقيق التكافل بين المسلمين:

هى وسائل كثيرة يمكن إيجازها فى كلمات هى: أن يتمسك المسلمون بدينهم منهجه وشريعته وقيمه ومعاييره، وأن تمتلئ أنفسهم اعتزازا بذلك.

ويمكن تفصيل هذه الوسائل فى نقاط هى:

- تذكير المسلمين بأن التكافل فيما بينهم هو الأصل الذى جاء به الإسلام وألزم به المسلمين، منذ أن آخى الرسول ﷺ بين المسلمين فى مكة، ثم آخى بينهم فى المدينة مهاجرين وأنصاراً، حيث طلب الأنصار من رسول الله ﷺ أن يقسم بينهم وبين إخوانهم المهاجرين النخل، فقالوا: لا، فقال الأنصار: تكفونا المئونة ونشرككم فى الثمرة، قالوا سمعنا وأطعنا. كما روى البخارى ذلك بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه.

- وتوعية المسلمين بأن التكافل بينهم إنما يكون مقصوراً على المسلمين أولا، فإن فضل منهم شيء فلا بأس أن يكفلوا غير المسلمين إن كانوا أصحاب حق فى هذا التكافل، وتلك نظرة إنسانية حرص الإسلام عليها فى كل تشريعاته.

- وتذكير الناس -من أجل حثهم على التكافل مع إخوانهم فى العقيدة- بأن ما فى أيديهم من نعم المال والصحة والقوة والجاه، وسائر ما يمكن أن يتكافلوا به مع إخوانهم -إنما هى من عند الله واهب النعم، وأن شكر هذه النعم يقتضى أن يتكافلوا بها مع إخوانهم الذين حرموا منها.

- والإلحاح على تذكير المسلمين بأنهم أمة من دون الناس وبأنهم خير أمة أخرجت للناس، وأن واجب هذا وذلك هو أن يتكافلوا مع إخوانهم، حتى تبقى لهم هذه الأمة، وحتى تستمر معهم هذه الخيرية، تمشياً مع كلمات الحديث الشريف الذى ذكرناه آنفًا من أن المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

- وتذكيرهم بأن التكافل بين المسلمين، كما يعود بالفائدة على الفقراء والضعفاء فيؤمنهم ويؤمن احتياجاتهم، فإنه يعود كذلك على الأغنياء والأقوياء بفائدة أكبر وهى استجابتهم لما أمرهم الله به وما يترتب على ذلك من رضا الله عنهم وحسن مثوبته إياهم، ويعود على الأمة الإسلامية كلها بالخير فى الدنيا قوة ومَنَعة وفى الآخرة ثوابًا عند الله.

- وتعريف المسلمين بأن موضوع التكافل هو المال والخدمات وسائر النعم إذا بذلت لمن يستحقها فدفعت عنهم حاجاتهم، فذلك هو جوهر التكافل، وهو الترجمة الحقيقية لما تضمنته الأحاديث النبوية التى ذكرناها آنفًا كقوله ﷺ: «... الساعى على الأرملة...» الحديث، وقوله: «والله فى عون المرء ما كان فى عون أخيه...» وقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه...» وقوله: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا...» وقوله: «لينصرن الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا...» وقوله: «... اشفعوا فلتؤجروا ...» وقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا...».

- فالتكافل إذن إحياء لسنة الرسول ﷺ.

- والتذكير بأن المجتمع المسلم لو وصل إلى التكافل بتأمين الضعفاء والفقراء وأصحاب الحاجات من يتامى وأرامل وعاجزين، فإن ذلك معناه أن يتحقق فى المسلمين قول الرسول ﷺ فى وصفه للمسلمين بأنهم كالجسد الواحد، وكالبنيان يشد بعضه بعضًا. كما أن التكافل بين المسلمين كفيل بأن يزيل عن نفوس الفقراء والضعفاء كل حسد أو حقد على أصحاب النعم من الأغنياء والأقوياء.

- وتوعية المسلمين بأن التكافل بينهم بوصفهم خير أمة أخرجت للناس يمكنهم من حمل مشاعل الحضارة الإسلامية الإنسانية لتنير بها الطريق أمام موكب الإنسانية الساعى إلى إحقاق الحق، ومنع الظلم وإقرار العدل والوصول إلى الإحسان، ومقاومة الباطل والفساد، وكل تلك القيم الإسلامية لا يوقظها مثل التكافل.

- والتنبيه للأفهام والتوعية للقلوب والعقول إلى حقيقة كبرى هى أن الأمم جميعًا وبخاصة الغربية منها تحاول تحقيق النجاح فى الدنيا بتوفير الأسباب المادية للحياة من مطعم ومشرب وترفيه، وقوة ردع تحميها من أعدائها، أو تفرض سلطانها عليهم وعلى أكبر عدد من الأمم -كما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً- أما الأمة الإسلامية فإنها بالتكافل وبغيره من القيم الإسلامية تعمل لصالح دنياها وآخرتها وتجمع فى أسبابها بين الروح والمادة والدنيا والآخرة.

- والتأكيد على أن الأمة الإسلامية - قبل أن تحقق التكافل - مهما بدت ضعيفة أو متفرقة أو عاجزة عن تحقيق اتحادها ووحدتها، فإن السبب الجوهرى فى ذلك يعود إلى بعد أبنائها عن هدى دينهم ومنهجه مخدوعين مضللين بما يردده أعداؤهم من مفتريات،

والتأكيد على أن الأمة الإسلامية لابد أن تصحو بل قد بدت تباشير الصحوة في الظهور، ومهما حوصرت الحركات الإسلامية على مستوى العالم اليوم، فإن ذلك ما ينبغى أن يفضى بأحد من المسلمين إلى اليأس، لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولأن هذه الحروب للحركات الإسلامية من أقوى الأدلة على وجودها وفاعليتها وخوف الأعداء منها. وما بقى –فى تصورى– إلا أن تَنْفُذ الحركات الإسلامية إلى تحقيق أهدافها، ويقولون: متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً، وليس ذلك على الله ببعيد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

وبعد: فإلى الحديث عن الهدف السابع الأخير من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية، وهو: العمل على استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع، والله المستعان.

* * *

الهدف السابع : من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية

هو : العمل على استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع.

لا تستطيع التربية الاجتماعية الإسلامية أن تربى الإنسان الاجتماعى المسلم إلا فى ظل استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع، فمع استقرار هذه القيم يستطيع الإنسان أن يمارس حياته الاجتماعية بسلاسة وأمن، وثقة فى معطيات المجتمع كلها، وما يسوده من قيم ومعايير، بل ما يتبادل فيه من عادات وتقاليد.

- والإنسان الاجتماعى هو الذى تكون علاقاته بالأفراد والجماعات والمجتمع علاقات حسنة تقوم على حسن الظن والمودة والإخاء وتؤثر الحوار والمناقشة عند كل اختلاف أو تعارض بين وجهات النظر، وتفضل الاقتراب من الآخر واحترام رأيه وإرادته، إلى أن يتبنى رأيًا خاطئًا أو إرادة ضارة بسواه أو بنفسه.

- ومن أجل أن يضمن الإسلام للمسلم أن يكون اجتماعيًا أوجب عليه التمسك بقيم خلقية بعينها، وجعل هذه القيم هى التى تحكم سلوكه الاجتماعى فى علاقاته بالناس.

وهذه القيم التى جاء بها الإسلام هى وحى من الله تعالى، سجلت فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة، وأخذت أسلوبها التطبيقى فى سيرة الرسول ﷺ، لذلك كانت هذه القيم ولا زالت – وسوف تستمر بإذن الله تعالى– من ثوابت ما جاء به الإسلام كالعقيدة والعبادة، بمعنى أنها قيم غير قابلة للتغيير ولا لاجتهاد المجتهدين، مهما تطاول الزمان ومهما تنوع المكان، ومهما تعددت الثقافات.

ومن أجل توضيح هذه القيم وتحديد مفاهيمها، وبيان مكانتها عند المسلمين، وبيان ما يتطلبه التمسك بهذه القيم، رأيت أن أذكر بعض الحقائق التى تتعلق بهذه القيم.

١ – حقائق عن القيم الإسلامية

سرد هذه الحقائق يعين على استجلاء أبعاد هذه القيم ومعرفة مصادرها، وأنها موضع إجماع عند المسلمين، وأنها تحتاج من أجل التمسك بها إلى عزائم صادقة وإرادة قوية.

ومن هذه الحقائق:

أولاً: تحديد القيم الإسلامية:

– القيمة عمومًا هي: كل ما يعتبر جديراً باهتمام الفرد وعنايته لاعتبارات اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها.

والقيم هي التي تحدد المجالات لتفكير الإنسان وهي التي تحدد سلوكه وتؤثر فيه، وهي تكتسب من المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، ولذلك فهي تختلف باختلاف المجتمعات.

– وللقيمة معنيان:

أحدهما: موضوعي، أي أن تكون القيمة جديرة بأن يرغب فيها الناس جميعًا ويحترموها.

والآخر: ذاتي، أي أن تكون القيمة محل الرغبة والاحترام عند بعض الناس دون بعض.

● والقيم أنواع:

– هناك قيم خلقية: ترسم معايير الخير والشر، وتبين متى يكون العمل خيراً ومتى يكون شراً.

– وهناك قيم عقلية أو منطقية: تبين الصواب من الخطأ في المعتقدات والسلوكيات.

– وهناك قيم جمالية: تبين القبيح من الجميل، وتحدد معايير القبح والجمال، وتوضح –على سبيل المثال– متى تكون الفنون جميلة ومتى لا تكون كذلك.

● والقيم الإسلامية –عند تحديدها وحصرها– هي كل ما أمر الله تعالى به أو ندب إليه من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتفهم هذه القيم من القرآن الكريم:

– قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ...** ﴾ [النحل: ٩٠].

– وقال جل شأنه: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...** ﴾ [الأعراف: ٢٩].

– وقال جل وعلا: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...** ﴾ [النساء: ٥٨].

● وهناك آيات كريمة جمع الله فيها بين ما أمر به ليُمتثل وما نهى عنه ليُجتنب، ومن تلك الآيات:

- قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا (٢٨) وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥) وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦) وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٣٩].

- وقوله عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

- وقد جاءت سنة النبي ﷺ لتؤكد هذه الأوامر وتبين الثواب على امتثالها، ولتوضح هذه النواهي وتبين العقاب عند عدم اجتنابها.

● وهذه القيم الإسلامية بهذا الحصر هى -عند التدقيق- أفضل ما يتمسك به الإنسان من قيم وأهم ما يجب أن يرغب فيه لينال الخير فى دنياه وآخرته.

ثانياً: لا خلاف بين المسلمين على هذه القيم:

أجمع المسلمون على أن القيم الإسلامية التى أمر الله تعالى بها هى محل اتفاق بينهم جميعاً من يوم أوحى بها إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

كما اتفقوا على أن هذه القيم من ثوابت الإسلام التى لا تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الناس أو الثقافات.

- واتفقوا على أن هذه القيم لا يجحدها إلا كافر بالله تعالى ورسوله الخاتم ﷺ، ولا يهمل التمسك بها إلا العصاة لله ولرسوله الذين يتركون الامتثال لما أمر الله تعالى، ويفعلون ما نهى الله تعالى عنه، وأن لهؤلاء عند الله جزاءهم يوم القيامة.

- واتفقوا على أن هذه القيم الإسلامية من اختيار الله تعالى لعباده الذين اختارهم ليكونوا خير أمة أخرجت للناس، وأنها بهذا الاختيار متفردة على أى قيم غيرها فى أى مجتمع مهما بلغ من التحضر، ومهما بلغ المفكرون فيه من القدرة على الإبداع، لأنهم مهما أوتوا من العلم والقدرة فهم بشر لا تفارقهم صفات البشر من العجز والقصور.

- واتفقوا على أن هذه القيم الإسلامية موضع احترام وتقدير من المسلمين الصالحين على مر العصور التى عاشها المسلمون، لم يختلف عليها العلماء ولا المصلحون ولا أصحاب الفنون، ولا المبدعون فى أى مجال من مجالات العلم والثقافة، وإنما حظيت منهم جميعاً بالاحترام وبالتقدير.

- واتفقوا على التمسك بهذه القيم الإسلامية من أجل أن يرضوا الله تعالى بطاعته، ومن أجل أن يكونوا من أهل الخير والصلاح، ومن أجل أن يمنعوا أنفسهم عن الشر، ومن أجل أن يكون المجتمع الذى يعيشون فيه إسلامياً يستطيع بالتمسك بهذه القيم أن يعز وأن يسود، وأن يواجه أعداءه بما استطاع من قوة فى العقيدة والعبادة والأخلاق والعلم والتقنية، ومن التسلح بأسلحة العصر الذى يعيشون فيه.

- واتفقوا على أن هذه القيم الإسلامية فضائل إنسانية تمثلها شعب الإيمان أو أبوابه السبعة والسبعون، كما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

وفى رواية للترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون بابًا، فأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله».

وما رواه أبو يعلى -فى مسنده- بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان: الصبر والسماحة» ورواه الطبرانى فى مكارم الأخلاق بسنده أيضًا عن جابر رضى الله عنه.

وما رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن» ورواه أحمد بسنده وعن معاوية رضى الله عنهما.

فهذه القيم أو الفضائل الإنسانية التى دلت عليها هذه الأحاديث الشريفة تؤكد فعل المؤمن للخير واجتنابه للشر، وعلى ذلك اتفق علماء الإسلام فى كل عصر ومصر.

ثالثًا: متطلبات هذه القيم:

هذه القيم الإسلامية الفاضلة لا يجوز أن يكون صاحبها مدعيًا لها دون أن يحققها فى نفسه خلقًا وسلوكًا، ولا يجوز أن تكون مجرد شعارات أو أمنيات، ولكن لها متطلبات كثيرة منها:

- الفهم لها ومعرفة مجملها وتفصيلها.
- والإخلاص لله تعالى فى التمسك بها وجعلها سلوكًا وخلقًا.
- والعمل على وفق ما نادت به من التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل، وجعل ذلك هو السلوك الاجتماعى للناس.
- والاستمرار على التمسك بها فى المنشط والمكره، والعسر واليسر، طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ.
- وأن يؤدى التمسك بها إلى ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.
- وأن يكون التمسك بها مصحوبًا بالتجرد من الحول والقوة إلا بالله سبحانه وبعونه وتوفيقه.

- وأن يكون التمسك بها جهاراً عياناً بحيث لا يخشى المتمسك بها لومة لائم من الناس.

كل هذه المتطلبات أشار إليها رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث الشريفة، منها:

ما رواه أحمد بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قلنا.. يا رسول الله **علام نبايعك؟ قال**: «على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم» قال جابر رضي الله عنه: فقمنا إليه رجلاً رجلاً فأخذ علينا البيعة يعطينا بذلك الجنة، وبايعتْ معهم امرأتان دون مصافحة رسول الله ﷺ.

- وقد كان ذلك في بيعة العقبة يوم بايع رسول الله ﷺ الأنصار، قبل الهجرة النبوية الشريفة.

وبعد: فهذه متطلبات التمسك بالقيم الإسلامية، وهي كما رأينا متطلبات لا يستطيعها إلا المؤمنون الصادقون المجاهدون.

٢- آثار التمسك بالقيم الإسلامية أو التخلي عنها:

ما شرع الله تعالى هذه القيم ولا أمر بها إلا لما في التمسك بها من خير يعود على الإنسان في دنياه وآخرته.

وما نهى الله تعالى عن التخلي عن بعض هذه القيم إلا لما في التخلي عنها من ضرر يعود على الإنسان في دنياه وآخرته.

تلك مسلمة إسلامية تربوية اجتماعية يستطيع كثير من الناس أن يلمسوا آثارها في الحياة الإنسانية بعامة وفي حياة المسلمين على وجه الخصوص.

ونحاول هنا أن نتحدث عن الآثار المترتبة على التمسك بهذه القيم والآثار المترتبة على التخلي عنها.

أ- آثار التمسك بالقيم الإسلامية:

إن آثار التمسك بالقيم الإسلامية عديدة ومستمرة في أبعاد الزمان وأنحاء المكان، ومن ذلك:

أولاً : إرضاء الله تعالى :

وذلك بامتثال أمره بالتمسك بهذه القيم، واجتناب نهيه عن التخلى عنها، وحسب الإنسان سعادة فى دنياه وآخرته أن يرضى عنه خالقه سبحانه وتعالى، لأن من رضى عنه خالقه فهو من خير الناس عند الله، وهو من المؤمنين الذين يعملون الصالحات الذين يثيبهم الله تعالى على أعمالهم بالجنة وليس بعد الجنة غاية، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** (٧) **جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴾ [البينة : ٧، ٨]، أى رضى الله عنهم فقبل أعمالهم وأحسن جزاءهم، ورضوا هم من ربهم فآمنوا وعملوا الصالحات أى امتثلوا ما أمروا به واجتنبوا ما نهوا عنه .

ثانيًا : جنى ثمار الإيمان والعمل الصالح :

وهذه الثمار كثيرة منها :

- أن يكفر الله عنه سيئاته، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التغابن : ٩] .
- وأن يأمن الظلم والخوف ونقص النعم، قال الله تعالى : ﴿ **فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا** ﴾ [الجن : ١٣] وقال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا** ﴾ [الكهف : ٨٨]، والمعنى : أن للمؤمن الذى يعمل الصالحات العاقبة الحسنى في الآخرة، والتعامل معه برفق ويسر في الحياة الدنيا .

ثالثًا : قلة الشرور والأشرار فى المجتمع :

لا شك أن التمسك بالقيم الإسلامية عصمة للفرد والأسرة والمجتمع من الوقوع فى المعاصى والشرور والآثام، ومن وقع فى ذلك فقد باء بغضب من الله .

وإذا كثر عدد المتمسكين بالقيم الإسلامية قل بالتالى عدد الأشرار وعاش المجتمع آمنا وأمانا من الشر وأهله .

- إن القيم الإسلامية -وهى أنواع الخير والبر المتمثلة فى شعب الإيمان السبع والسبعين -كما أحصاها البيهقى فى كتابه الفذ « شعب الإيمان » - هذه القيم تزرع فى المجتمع كل أنواع

الخير، وتزيد من عدد الخيرين، ولذلك يحيا الناس فى ظل التمسك بالقيم الإسلامية حياة آمنة.

- وعند التخلى عن القيم الإسلامية الفاضلة فسوف تحل محلها فى سلوك الناس قيم راذلة وشرور وآثام، وهذه الرذائل والشرور أحصاها شمس الدين الذهبى فى كتابه -الكبائر- فى سبعين كبيرة، فمن تخلى عن فضيلة فقد سمح لرذيلة أن تحل محلها ولراذل أن ينضم إلى مجموعة الأشرار.

رابعًا: تحقيق العزة والنصر والتمكين:

وذلك أن طاعة الله تعالى مفتاح كل خير، والتمسك بالقيم الإسلامية طاعة لله الذى أمر بالتمسك بها، وجزاء طاعة الله ورسوله هو الفوز العظيم بدخول الجنة فى الآخرة، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [النساء: ١٣].

- كما أن طاعة الله تعالى والإيمان به وامتثال ما أمر يكفل للمؤمنين نصر الله تعالى، كما كتب سبحانه على نفسه، حيث قال جل شأنه: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: ٤٧].

كما يكفل لهم الاستخلاف فى الأرض والتمكين للدين وتبديل كل خوف أمنا، كما دل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...**﴾ [النور: ٥٥].

كما يكفل لهم الإيمان بالله وطاعته فى التمسك بالقيم الإسلامية، العزة والمنعة والكرامة، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿**...وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون: ٨].

تلك آثار التمسك بالقيم الإسلامية فى صورة موجزة، وأما آثار التخلى عن هذه القيم فنوجزها أيضًا فيما يلى:

ب- آثار التخلى عن القيم الإسلامية:

وهى آثار عديدة لو فصلت لما وسعتها مئات الصفحات، وأين تلك الصفحات التى

تتسع للحديث عن كل ضرر يلحق الإنسان بسبب تخليه عن القيم التى شرعها الله وأوجب التمسك بها أو حرم التخلى عنها؟ لكننا نوجز ذلك فيما يلى :

أولاً : إغضاب الله تعالى بمعصيته :

عندما ينهى الله تعالى عن شيء فإن عدم اجتنابه إثم ومعصية، يتحمل المخالف عقوبة ذلك فى الدنيا والآخرة.

وقد نهى الله تعالى عن التخلى عن هذه القيم الإسلامية، فمن تخلى عنها فقد أغضب الله تعالى بمعصيته، وبعد إغضابه سبحانه والإساءة إلى المجتمع بل إلى نفس العاصى، حينئذ تخمل بهذا التخلى تلك القيم التى أراد الله ألا تخمل أو تهمل لما فى التمسك بها من خير ونفع للناس فى معاشهم ومعادهم، ولما فى التخلى عن هذه القيم الإسلامية من إشاعة المعاصى وإكثار عدد العصاة، وكل ذلك يغضب الله تعالى، ويوجب عقابه.

ثانياً : التعرض لعقاب الله تعالى :

وعقاب الله تعالى على التخلى عن هذه القيم نوعان :

- عقاب دنيوى : يتمثل فى الحدود والقصاص والتعزير، وإلحاق المتخلى عن هذه القيم الضرر بنفسه، كما ثبت ذلك فى عدد من الأحاديث النبوية الشريفة :

فقد روى أبو داود بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ... من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ».

وروى أحمد بسنده عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا ظهرت المعاصى فى أمتى عمهم الله عز وجل بعذاب من عنده » قالت : فكيف يصنع أولئك ؟- أى أولئك الذين لم يرتكبوا المعاصى -قال : « يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان ».

- **وعقاب أخروى : فقد ثبت فى السنة النبوية ذلك :**

روى أحمد بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال : ثم أمر رسول الله ﷺ منادياً ينادى فى الناس : « إن الجنة لا تحل لعاص، إن الجنة لا تحل لعاص » ثلاث مرات.

وروى أحمد بسنده عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ... وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حل سخط الله عز وجل ... ».

وهكذا يكون التخلى عن القيم الإسلامية معصية مستوجبة لعقاب الله تعالى فى الدنيا والآخرة.

ثالثًا: الوقوع فى الضعف والذل:

التخلى عما أمر الله به كان – وما يزال وسوف يظل – مُعقبًا للضعف والذل والانكسار أمام الشيطان والهوى وأمام أعداء المسلمين.

وتاريخ المسلمين خير شاهد على ذلك فى مختلف أطواره ومتعدد أدواره، فما من معركة هزم فيها المسلمون أمام عدوهم إلا كان أحد أسباب الهزيمة هو مخالفة الله ورسوله ومعصيتهما، ابتداء من مخالفة ما أُمر به الرماة فى غزوة أحد فكانت الهزيمة وكان الدرس والموعظة، واستمرارًا فى مختلف الحروب التى هُزم فيها المسلمون أمام عدوهم:

– أمام الصليبيين حيث استطاعوا أن يستولوا على بيت المقدس ما يقرب من قرنين عن الزمان.

– وأمام الإسبان فى الأندلس.

– وأما التتار.

– وأمام دول الاستعمار الغربى –انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا وإسبانيا، ثم أمريكا.

– وأمام اليهود الذين أيدتهم دول الغرب والاتحاد السوفيتى السابق وأمريكا، وكانت الهزيمة أمام اليهود متكررة(١).

وكل تلك الهزائم ليس وراءها سبب أهم من معصية الله تعالى ومخالفة أمره ونهيه.

رابعًا: شيوع الفساد وكثرة المفسدين:

التخلى عن القيم الإسلامية يعنى التخلى عن الفضائل الكبرى كالحق والعدل والخير والحريات كلها، وإذا حدث ذلك فإن الخراب والدمار للإنسان وللأسرة وللمجتمع هو النتيجة المتوقعة لذلك، ومعنى ذلك أن يشيع الفساد وأن يكثر عدد الفاسدين.

– والتخلى عن القيم الإسلامية يعنى التخلى عن شعب الإيمان السبع والسبعين –كما عدها

---

(١) تتولى الهزائم أمام اليهود: هزيمة ١٩٤٨م، وهزيمة ١٩٦٧ وهزيمة أوسلو ومدريد التى اعترفت بإسرائيل وقبلت بالأراضى الفلسطينية التى احتلت عام ١٩٦٧م فقط أما فلسطين نفسها فقد أصبحت فى أيدى اليهود، وهزيمة تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وغيرها من الهزائم السياسية.

البيهقي (٣٨٤-٤٥٨ هـ) صاحب كتاب: السنن الكبرى.

- والتخلى عن القيم الإسلامية يعنى الوقوع فى الكبائر السبعين التى عدها الإمام الذهبى (٦٧٣-٧٤٨هـ) صاحب كتابى: ميزان الاعتدال فى رجال الحديث، وتاريخ الإسلام -فى التاريخ.

● وبسبب هذا التخلى عن أمر الله ونهيه تقع المعاصى والشرور والأضرار، ولا يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وذويهم، ولا على شىء من حقوقهم وحرياتهم.

ولو شئنا أن نسرد الأضرار والشرور التى تحيق بالمجتمع الذى يتخلى فيه الناس عن القيم الإسلامية لما وسعتنا مئات الصفحات أيضًا ولكننا نشير إلى بعضها فيما يلى:

- النفاق للحكام وأصحاب الجاه والمال والنفوذ.
- والرياء فى التعامل مع الآخرين، وانتشار الرشا.
- والغش والخداع وقول الزور.
- والربا والظلم وأكل حقوق الناس.
- والكذب والتدليس والكيل بمكيالين.
- وفقد الإحساس بالمسئولية ،والقعود عن أداء الواجبات.
- وإهدار حقوق الإنسان وحرياته.

وغير ذلك من أنواع الفساد التى يبذل الناس جهودهم فى إخفائها عن أعين الناس وعن أعين القوانين والقائمين على تنفيذها.

٣- أهداف العمل على استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع:

هذه الأهداف فى كلمة واحدة هى: إنقاذ المجتمع المسلم من الأخطار التى تحدق به وتتهدده.

وهذه الأهداف فى شىء من التفصيل هى:

أولاً: إنقاذ المجتمع المسلم من القيم الوافدة المخالفة للإسلام:

ولأنها قيم مخالفة للإسلام فهى قيم غازية معادية تستهدف قلع القيم الإسلامية من المجتمع لتحل هى بفسادها محلها.

والقيم الغازية المعادية مصحوبة دائمًا بدعاية وإعلام يزينان باطلها، ومصحوبة دائمًا باستهداف الترفيه عن الناس بإشباع شهواتهم وغرائزهم.

● ومن أجل ذلك وغيره من الأضرار كان العمل على إقرار القيم الإسلامية إبطالاً لهذه القيم المعادية، وإنقاذاً للمجتمع المسلم من أخطارها وأضرارها.

وحسبنا ضرراً من هذه القيم الغازية المعادية أنها تقوم على كل ما حرم الله من ربا وغش وخداع، وفواحش، وتيسر لشرب الخمر وسفور المرأة وترجلها وإعطائها الحق فى أن تحمل بغير زواج وأن تجهض للتخلص من ثمرة الزنا[1].

وبحسبى أن أذكر ما جاء فى توصيات هذه المؤتمرات لأؤكد به أن الهدف هو القضاء على كل ما حرم الله على عباده، فقد جاء: «الجنس كالغذاء، والإشباع الجنسى كإشباع الجوع، حق للجميع أزواجًا وغير أزواج فتيانًا وفتيات، وعلى جميع الدول أن تسعى لتوفيره فى موعد أقصاه عام ألفين وخمسة عشر ٢٠١٥م»!!!

ثانيًا: كشف فساد القيم المعادية للإسلام:

وفى سبيل ذلك لابد من الإشارة إلى أن أعداء الإسلام نظروا إلى الإسلام وقيمة على أنه تهديد للغرب وقيمه وتهديد للإلحاد، وللشيوعية والعلمانية، فكانت خططهم وقيمهم تستهدف القضاء على القيم الإسلامية، بل على الإسلام نفسه بوصفه قوة حضارية فاعلة -على الرغم من ضعف المسلمين وانهزامهم- فكانت ضربتهم الأولى للإسلام فى العصر الحديث هى القضاء على دولة الخلافة الإسلامية فى تركيا، وتمزيق العالم الإسلامى وتوزيعه بين الدول الغربية، وعلى يد عدو الإسلام الألد مصطفى كمال كانت العلمانية وكان فصل الدين عن الدولة وإخمال القيم الإسلامية وحرب لغة القرآن، وإلقاء التهم جزافًا على الكتاب والسنة، وعلى الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، وعلى المصلحين المجددين من المسلمين، وعلى القادة والعلماء، وعلى الثقافة الإسلامية.

وأغرى الغرب مصطفى كمال بإبادة كل ما هو إسلامى، كما أغروا عدداً كبيراً من حكام المسلمين ليحاربوا الإسلاميين الإصلاحيين والدعاة إلى الله والعاملين فى الحركة الإسلامية.

● يجب كشف ذلك للمسلمين وتوضيح أبعاد هذا العداء للإسلام وأهدافه، وذلك لكى يعمل المسلمون على ترسيخ القيم الإسلامية.

---

(١) انظر فى ذلك مقررات مؤتمرات السكان أو مؤتمرات المرأة التى تدعو إليها هيئة الأمم المتحدة.

ثالثًا : كشف الأبعاد الحقيقية لليهود فى أمريكا :

اليهود بالذات هم ألد أعداء الأمة الإسلامية فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل، هم عدو يفعل كل جريمة ولا يخجل من غدر أو تنكر لكل القيم الفاضلة، حتى القيم التى جاءت بها التوراة نفسها.

وأمريكا كذلك لأنها أصبحت -بعد انهيار خرافة الشيوعية والاتحاد السوفيتى- أقوى دولة فى العالم وأغنى الدول وأوسعها نفوذًا، وأشدها ضراوة فى مساندة إسرائيل ومعاداة الحق والكيل بمكيالين.

واليهود بما فيهم من خسة وسفول، والأمريكان وما فيهم من قدرة على مساندة الباطل ما دام ذلك فى صالحهم، هؤلاء وأولئك هم ألد أعداء الإسلام وأحرصهم على حربه والقضاء على قيمه وإقصائها عن حياة المسلمين.

● وفى التدليل على ذلك نسوق كلمات لبعض رؤساء أمريكا -الولايات المتحدة الأمريكية -فيما يلى :

- جون آدامز الرئيس الأمريكى من سنة ١٧٩٧-١٨٠١م، وقال فى خطاب له : «إننى أصر على أن العبرانيين قدموا جهودًا فى سبيل تقدم الحضارة الإنسانية أكثر من أى أمة أخرى».

- إبراهام لنكولن الرئيس من سنة ١٨٦١-١٨٦٥م قال : «إن بناء وطن قومى لليهود فى فلسطين حلم نبيل يشاركها فيه الشعب الأمريكى وهو مستعد للعمل على تحقيق ذلك الحلم».

- ولسن الرئيس من ١٩١٣-١٩٢١ أعلن قائلاً : «قوات الحلفاء وافقت على جعل فلسطين وطنًا قوميًا للشعب اليهودى، وأنه يؤيد وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا».

- كولدج الرئيس من ١٩٢٣-١٩٢٩م قد أكد على أنه يؤيد بقوة إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين.

- ترومان الرئيس من ١٩٤٥-١٩٥٣م : اعترف بدولة إسرائيل بعد إحدى عشرة دقيقة من إعلانها، حتى لقد قال له كبير حاخامات إسرائيل سنة ١٩٤٨م وهو يزور البيت الأبيض : «إن الله قد وضعك فى رحم أمك لتولد على يدك إسرائيل من جديد بعد ألفى عام».

- أيزنهاور الرئيس من ١٩٥٣-١٩٦١م: اعتبر قيام دولة إسرائيل المستقلة تجسيداً لقيم الإنسانية العظيمة».

- كلينتون الرئيس من ١٩٩٣-٢٠٠١م: فاق كل الرؤساء الذين سبقوه فى تأييد إسرائيل وفرحه بها فقد قال بمناسبة احتفال إسرائيل بالذكرى الخمسين لقيام إسرائيل: «إنه يشعر بشرف عظيم حيث أتيحت له الفرصة ليكون الرئيس الأمريكى الذى يقدم لرئيس وزراء إسرائيل وللشعب اليهودى باسمه وباسم الشعب الأمريكى أحر التهانى بهذه المناسبة التاريخية فى حياة أمة عظيمة كالأمة اليهودية».

- هذا عن بعض الكلمات المعلنة على العالم، أما التخطيطات والمعونات التى أدت إلى اغتصاب اليهود لفلسطين من أهلها، فتحتاج إلى ألوف الصفحات.

- كل هذه الأمور يجب أن توضح للعرب صغاراً وكباراً، وللمسلمين فى كل مكان، ليعرفوا من العدو الحقيقى لهم ولكل ما هو إسلامى ليفيقوا من غفوتهم، وليحاولوا على ضوء هذه المعرفة الكاشفة كيف يكون موقفهم تجاه هؤلاء الأعداء، وماذا يفعلون لإعادة الحق إلى أصحابه.

- إن عربدة إسرائيل ومؤيديها كل هذه التأييد واستعمال إسرائيل الأسلحة المحرمة دولياً ضد الفلسطينيين غير المسلحين والمحصنين ضد عدوان إسرائيل عليهم باتفاقية أوسلو وغيرها من الاتفاقيات والعالم كله يسمع ويرى ويرفض حماية الضحية بقوات رمزية بل يطالب الضحية بالرفق بالمعتدى بهذه الأسلحة الضارية المحرمة بحيث لا يقذفه بحجر، بل يضبط نفسه.

- إن ذلك الموقف لا تفسير له إلا أنه إصرار على قهر العرب والمسلمين وإبادة الفلسطينيين بوحشية عالمية!!! ترضى عنها هيئة الأمم المتحدة -الأمريكية- ومجلس أمنها- الأمريكى «بالفيتو» فلا تحرك ساكنا على الرغم من الاستغاثات!!!

- إن هذا العداء الضارى للمسلمين - عالمياً - يستهدف قلع القيم الإسلامية من جذورها وطردها من ساحة القيم الاجتماعية، ما يشك فى ذلك مراقب للأحداث فى فلسطين أو فى السودان أو فى الشيشان، أو فى البوسنة والهرسك وكوسوفا وكشمير، وكثير من جزر أندونيسيا والفلبين وغيرها.

- وإن إقرار القيم الإسلامية فى المجتمعات المسلمة هو التحدى الهادئ القوى الطويل النفس القادر على التغيير من داخل المسلمين أولاً، وإن هذا الإقرار لتلك القيم يحتاج دائماً إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه فى العمل إقرار تلك القيم، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، وهؤلاء هم الدعاة إلى الله والمتحركون بدينه فى الناس والمخلصون الفاهمون من علماء الإسلام وأصحاب الغيرة على دينهم من سائر المسلمين.
- وإن كشف ما قام به الاتحاد السوفيتى السابق وما يقوم به اتحاد روسيا اليوم، وما يمارسه الصرب فى التصفية العرقية لكل ما هو إسلامى، إن ذلك لا يقل أهمية عن كشف ما تقوم به إسرائيل بمعاونة الغرب وأمريكا ضد الإسلام والمسلمين.

٤- وسائل العمل على استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع:

لابد أن يعمل المجتمع المسلم أفراداً وأسراً وجماعات وحكومات، على أن تستقر القيم الإسلامية فى المجتمع، إن أرادوا أن يعيشوا آمنين مطمئنين قادرين على ممارسة الحياة الإنسانية الكريمة.

- وإصرار المسلمين على العمل على استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع بحيث تصبح سلوكاً للناس هو طوق النجاة الذى يتشبث به المسلمون فى خضم المتغيرات المستمرة، ومن أجل مواجهة موجات الغزو الوحشية لإبادة القيم الإسلامية.
- ومن الوسائل التى تساعد على استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع، أمور على جانب كبير من الأهمية إن أحسن توظيفها، وهذه الوسائل -فى تصورى سبع- وأدعو غيرى من العلماء والباحثين والغيورين على إسلامهم أن يفكروا فى وسائل أخرى تغرى المسلمين بالتمسك بالقيم الإسلامية.

وهذه الوسائل هى:

أولاً: العمل على إحياء الدين وتجديده فى نفوس المسلمين:

من سنن الله فى خلقه أن يحتاجوا كل حين من الزمان إلى أن يحيوا الدين ويجددوه، ومن رحمة الله بالمسلمين أن يبعث فيهم على رأس كل مائة عام من يجدد لهم أمر دينهم، فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» والمائة من السنين هى الحد الأقصى الذى إذا أهمل المسلمون فيه العمل على تجديد دينهم فإن الله يبعث لهم من يجدده.

وعندما يهمل المسلمون تجديد دينهم يضعفون ويتخطفهم أعداؤهم، ويتداعون عليهم كما يتداعى على القصعة أكلتها، كما روى أبو داود بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن» فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

وإقرار القيم الإسلامية فى المجتمع من أهم أسباب مقاومة الوهن فى الأمة الإسلامية، وهى التى تحول بين الأمة الإسلامية وبين أن تكون غثاء أو زبدا يذهب جُفاء.

ثانيًا: العمل على إحياء فقه الدعوة إلى الله:

الدعوة إلى الله واجب كل مسلم قادر عليها ما دام على بصيرة، وليست واجب علماء الإسلام وحدهم، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...** ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وواجب الدعاة إلى الله أن يوضحوا منهج الإسلام فى الحياة وقيمه التى تساعد عند التمسك بها على تطبيق هذا المنهج.

وكلما انتشر فقه الدعوة وعرفت شروطها وآدابها وميادينها زاد عدد الداخلين فى الإسلام المتمسكين بمنهج الإسلام وقيمه، وكلما استقرت هذه القيم عاش الناس آمنين مطمئنين منتصرين بتمسكهم بهذه القيم على شياطينهم وشهواتهم، ومن انتصر على شيطانه وهواه انتصر على عدوه.

ومن فقه الدعوة إلى الله التوضيح الواعى بأن التمسك بالقيم الإسلامية هو الالتزام بسنة رسول الله ﷺ فهو القدوة المعصوم، فقد روى أبو داود بسنده عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا ووعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

فالتزام السنة هو التمسك بالقيم الإسلامية، والتمسك بهذه القيم -كما قلت آنفًا -هو طوق النجاة، وإحياء فقه الدعوة إلى الله تمسك بالقيم الإسلامية.

ثالثًا : العمل على إحياء فقه الحركة بالإسلام في الناس والآفاق :

الحركة بهذا الدين الخاتم تعني الانتقال به إلى كل من لم يصل إليه هذا الدين، وهذا واجب القادرين من المسلمين عمومًا ومن الدعاة إلى الله على وجه الخصوص، يتحركون بهذا الدين في الناس وفي الآفاق جميعًا، لأن الدين الخاتم موجه إلى الناس كافة، إلى العالمين إلى كل أحمر وأسود -كما نطقت بذلك أحاديث النبي ﷺ.

وقد كانت الحركة بالدين في الناس والآفاق جزءًا من منهج النبي ﷺ، فما إن استقر له الأمر بعد الهجرة حتى أرسل رسله إلى الملوك والرؤساء والزعماء، ومعهم كتب يدعون فيها إلى دين الحق دين البشرية كلها.

وكذلك فعل الصحابة رضي الله عنهم من بعده، تحركوا بهذا الدين إلى كل أرض استطاعوا أن يصلوا إليها، ففتح الله قلوب العباد وكبريات البلاد حتى كان الإسلام قد وصل إلى نصف المسكونة فيما يقرب من نصف قرن من الزمان فحسب.

وكذلك كان شأن التابعين وتابعيهم ومن عاشوا الثلاثة القرون التي هي خير القرون كما أخبر رسول الله ﷺ.

وكذلك فعل صالحو المسلمين قادة وعلماء وأفرادًا وجماعات، تحركوا بالدين الخاتم، عاملين ما وسعهم على أن تستقر بهذه الحركة القيم الإسلامية في المجتمع المسلم، لكي يعيش الناس آمنين مطمئنين متفاهمين لا متصارعين.

رابعًا : العمل على إحياء فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كل مسلم قادر عليه، وهو عمل اجتماعي جليل القدر عظيم الأثر في الدين، فقد روى ابن ماجة بسنده عن أم حبيبة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : «كلام ابن آدم عليه لا له، إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله» وهو عظيم الأثر في الدنيا لهداية الناس إلى الخير ونهيهم عن الشر.

● وإحياء فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتمد على أركان منها:

– أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب الحكومة المسلمة وأجهزتها ومؤسساتها، كما أنه واجب الأفراد والأسر والجماعات والمجتمع كله.

– وأن تحديد ما هو المعروف وما هو المنكر واضح من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ المعروف هو ما يعرف بالشرع أو بالعقل حسنه، والمنكر ما يعرف بهما قبحه ونكره، وليس هناك تناقض بين الشرع والعقل ما دام العقل سليماً.

– وأن للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شروطاً وآداباً يجب أخذها فى اعتبار الآمر الناهى، وقد فصل العلماء هذه الشروط والآداب[1].

– وأن ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم الأسباب فى استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع، إذ كل قيمة جاء بها الإسلام هى معروف عرف بالشرع والعقل حسنه، وكل قيمة نهى عن ممارستها هى منكر عرف بالشرع والعقل قبحه.

وهذه الممارسة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هى عمل جاد على استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع.

خامساً: العمل على إحياء فقه الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا:

الجهاد فى سبيل الله هو أعلى القيم الإسلامية مكانة، لانه بذل المال والوسع والنفس فى سبيل أن تكون كلمة الله هى العليا، فهو بالنسبة للإسلام: رأس الأمر وعموده وذروة سنامه –كما وصفه الرسول ﷺ.

● وللجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا أنظمة وشروط وآداب يجب الأخذ بها، وهى معروفة فى كتب السنة والسيرة النبوية وكتب الفقه الإسلامى[2].

● وإحياء فقه الجهاد فى سبيل الله يعنى إحياء روح الجهاد فى المسلمين وأن يعيشوا مجاهدين أو منتظرين لمعارك الجهاد حتى تكون كلمة الله هى العليا، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم تحدثه نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق».

(١) انظر فى ذلك: الإمام الغزالى: إحياء علوم الدين –الجزء الثانى ط الحلبى بمصر.

(٢) انظر لنا: الحلقة الرابعة من سلسلة: فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا: الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

• وما ضعفت الأمة الإسلامية وتفرقت كلمتها، وطمع فيها أعداؤها واحتلوا أرضها واستباحوا حرماتها إلا يوم عطلوا الجهاد في سبيل الله تعالى، أى عاشوا الوهن الذى فسره الرسول ﷺ بأنه حب الدنيا وكراهية الموت.

• والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا هو إعلاء للقيم الإسلامية، وعمل هام من أجل استقرار هذه القيم فى المجتمع المسلم، بل هو أفعل الوسائل فى إحداث هذا الاستقرار للقيم، أليس هو ذروة سنام الأمر وعموده، كما أخبر بذلك النبى ﷺ ؟

سادساً: العمل على الأخذ بما فى الكتاب والسنة:

القرآن الكريم والسنة النبوية أهم وأجل ما لدى المسلمين من دستور وقانون ونظام، والأخذ بما فيهما من أمر ونهى وحلال وحرام يعصم الآخذ من الضلال وينجيه من إثم المعصية لأن الله تعالى أمر بهذا الأخذ والالتزام، وأمر بالاهتمام الشديد بهما وبما فيهما.

• ولا يمكن الأخذ بما فيهما إلا بالتلاوة والتدبر والمصاحبة والمبادرة إلى تطبيق ما جاء فيهما، هذا على مستوى الفرد المسلم، أما على مستوى الأسرة والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام وأجهزته فقد أوضحنا الحديث عن ذلك آنفاً.

• وأنصح الأسرة المسلمة بأن يكون لديها وقت –مهما كان قليلاً، نصف ساعة فى اليوم والليلة مثلاً– للتلاوة والتدبر فى الكتاب والسنة بشكل منتظم يومى، وأرشح لذلك كتاب «المنتخب فى تفسير القرآن الكريم» الذى أصدرته وزارة الأوقاف المصرية، وكتاب صحيح مسلم بشرح النووى –نشر دار الريان للتراث القاهرة: ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م، فإن ذلك إحياء مستمر للقيم الإسلامية فى المجتمع.

• وأنصح القائمين على المساجد والمدارس وأجهزة الإعلام بتقوى الله فى الناس وفى الوطن، وتقريبهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته، وتاريخهم الإسلامى الحافل بالبطولات وبخاصة المدرسة وأجهزة الإعلام، فكلتاهما تكاد تعمل فى عكس الإتجاه، والذى يدفع الثمن فى النهاية هو الوطن العربى المنهزم أمام إسرائيل الوالغة فى الجرائم والدم الحرام، والعالم الإسلامى الضعيف الممزق الخاضع فى أغلبه لنفوذ غربى معاد للإسلام.

• ولا أمل إلا بإحياء القيم الإسلامية والعمل على استقرارها فى المجتمع، لأن ذلك هو وحده الطريق إلى القوة والوحدة والعزة والنصر والتمكين.

سابعًا: العمل على إحياء تاريخ الصحابة والتاريخ الإسلامي بعامة:

تاريخ الصحابة رضي الله عنهم هو تاريخ تطبيق الإسلام، وتاريخ العمل على تبليغه ونشره في الناس وفي الآفاق، وهو تاريخ الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فانطلقوا به يملأون حياة الناس أمنا وطمأنينة وعدلاً ورحمة مقتدين في ذلك بالرسول ﷺ.

روى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم، من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام الناس فيقال لهم: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم».

وروى البخاري بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران رضي الله عنه: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا.

- وإن إحياء تاريخ الصحابة رضي الله عنهم وتاريخ التابعين وتابعيهم والمصلحين المجددين من قادة المسلمين وعلمائهم هو إحياء لتاريخ الإسلام، وهو إحياء حقيقي للقيم الإسلامية في المجتمع وإحياء لمعايير الإسلام، وأخذ بأسباب التمكين لدين الله في الأرض، كما وعد بذلك رب العالمين سبحانه وتعالى.
- وإن هذا الإحياء لتلك القيم الإسلامية والعمل على إقرارها واستقرارها في المجتمع المسلم هو واجب الأفراد والأسر والجماعات والمساجد والمدارس وأجهزة الإعلام ومؤسساته.

وأنصح الأسرة المسلمة باقتناء كتاب: حياة الصحابة رضي الله عنهم من تأليف: محمد يوسف الكاندهلوي[1] فهو من خير الكتب في مجاله فيما أعلم.

وأما المسجد فيستطيع إمامه من خلال خطبه ومحاضراته ودروسه أن يعطي لتاريخ الصحابة حقه من الاهتمام ليدعم بذلك تثبيت القيم الإسلامية في المجتمع.

---

(١) هو ابن العالم العامل الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس جماعة التبليغ في الهند، والمتوفى سنة ١٣٦٣هـ ١٩٤٤م. والشيخ محمد يوسف انتشرت على يديه دعوة التبليغ في العالمين العربي والإسلامي بل في أوربا وأمريكا وهو مؤلف كتاب حياة الصحابة وقد توفي رحمه الله سنة ١٣٨٤ هـ-١٩٦٥م. والكتاب طبع في دمشق. أصدرته دار القلم دون تاريخ.

وأما المدرسة فإن مقرراتها الدراسية لم تعن بتاريخ الصحابة إلا من خلال كلمات قليلة مبعثرة هنا وهناك، لا يربط بينها منهج، ولكنها تستطيع أن تعتنى بذلك من خلال مقرر التربية الإسلامية ومن خلال مقررات التاريخ، إذا أراد القائمون على المدارس فى العالم الإسلامى أن يكون لهم إسهام فى إحياء الشباب وتربيتهم على القيم الإسلامية.

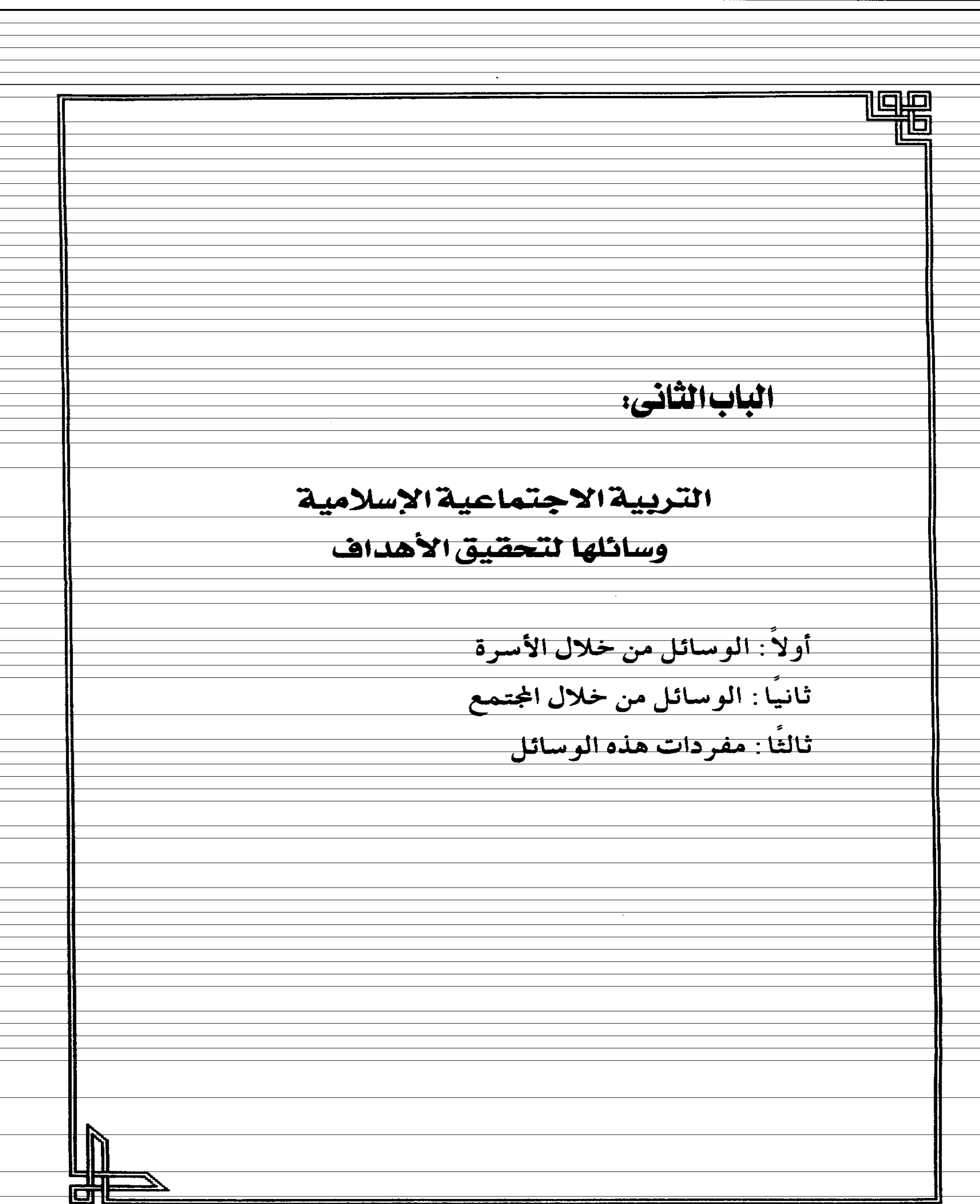
وأما وسائل الإعلام وأجهزته فمطالبة فى هذا المجال بأمرين:

الأول: إيقاف بث الثقافة المضادة للإسلام وقيمه وهى كثيرة ومتنوعة، وداعية إلى مفاسد الأخلاق ورذائل القيم، ومشجعة على الفساد بتشجيع شرب الخمر والزنا والميسر والكذب والتدخين وغير ذلك من الآفات.

والآخر: أن تنتج مواد إعلامية تجدد للناس أمور دينهم وتوقظ فيهم الخلق الفاضل والقيم الإسلامية النبيلة، وتتقى الله فى أموال الدولة فتنفقها على ما ينفع الناس فى دينهم ودنياهم، لا فيما يضرهم ويعود عليهم وعلى أوطانهم بالضعف والتخاذل والهزائم والوبال!!!

وبعد.. فإلى الحديث عن وسائل التربية الاجتماعية الإسلامية، والله تعالى هو الموفق المعين.

* * *



الباب الثاني:

التربية الاجتماعية الإسلامية
وسائلها لتحقيق الأهداف

أولاً : الوسائل من خلال الأسرة

ثانيًا : الوسائل من خلال المجتمع

ثالثًا : مفردات هذه الوسائل



وسائل التربية الاجتماعية الإسلامية لتحقيق الأهداف

تحدثنا فى الباب الأول من هذا الكتاب عن أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية، وأحصينا منها سبعة أهداف وإن كنا نراها أكثر من ذلك لكن هذا هو جهدنا، ودعونا العلماء إلى إضافة أهداف أخرى.

ونحاول فى هذا الباب الثانى -الأخير- من هذا الكتاب أن نوضح الوسائل التى تعين على تحقيق تلك الأهداف من خلال نقاط ثلاث هى:

توضيح الوسائل من خلال الأسرة.

وتوضيح الوسائل من خلال المجتمع.

وتوضيح مفردات هذه الوسائل.

● والوسائل جمع لكلمة: وسيلة وهى ما يتوصل به إلى الشىء أو يتقرب به إليه، هذا من حيث دلالتها اللغوية.

والوسيلة فى مجال الإسلام وثقافته هى: كل عمل يقدمه الإنسان ليحظى من ورائه برضا ربه سبحانه وتعالى، ليستحق ثوابه، وإنما يكون العمل كذلك إذا روعى فيه سبيل الله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة، أى أن يكون العمل صالحًا أى مما أمر الله به أو ندب إليه، وأن يكون صحيحًا أى موافقًا لشريعة الإسلام وقيمه ومعاييره.

- والوسيلة بهذا المعنى مطلب شرعى لأنه يحقق الوصول إلى الهدف وهو إرضاء الله تعالى بطاعته، ولا يكون ذلك إلا بالعمل الصالح، كما يفهم ذلك من قوله تبارك وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥]**.

- والوسيلة بالمعنى الاجتماعى هى الطريقة التى تيسر للإنسان بتدرج ومهل التكيف مع بيئته ومع المجتمع، وما يسوده من قيم ومعايير، حتى يعيش فى وئام مع المجتمع كله.

● والوسائل التربوية عديدة، وكلها تسهم فى تحقيق أهداف التربية الاجتماعية، ومن هذه الوسائل -على وجه الإجمال- وسائل تربوية مباشرة مثل:

- **الموعظة:**

وهى كلمات رقيقة مختارة لا تجرح شعور السامع ولا تشعره أنه فى المنزلة الأدنى، والقرآن كله موعظة للمتقين، قال الله تعالى عنه: ﴿ **هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

- **والعقوبة:**

لمن لم تفلح معه الموعظة، فهذا يهدد بعقوبة أو توقع عليه عقوبة، بشرط أن تكون مما شرع الله تعالى، والقرآن ذكر كثيراً من العقوبات.

● وهناك وسائل تربوية غير مباشرة مثل:

- **القصة:**

وهى أسلوب قرآنى فى تربية النفس الإنسانية، وقد جاء فى القرآن من القصص أحسنه وأكثره فائدة لمن وعى وتدبر.

- **والأحداث:**

وهى أيضاً أسلوب قرآنى حكيم، ومن أمثلته فى حياة المسلمين فى مكة الحدث الكبير وهو حبس المسلمين فى شعب بنى هاشم ثلاث سنوات، فكان تربية لهم علمتهم الصبر واحتمال الأذى فى سبيل الله.

ومن أمثلته فى حياة المسلمين فى المدينة «هزيمة أحد» فقد كانت حدثًا عظيم النتائج علَّم المسلمين كيف تكون طاعة الرسول ﷺ وكيف تكون الشورى؟

● والتربية الاجتماعية الإسلامية تقوم على الإيمان بأن الإسلام الدين الخاتم؛ عقيدة وشريعة -أى عبادة وعملاً- دين اجتماعى بكل ما تحمله الكلمة من معنى نبيل يجمع بين الناس على الخير والبر، ويباعد بينهم وبين الشر والضرر والإضرار.

- **وإذا كان لفظ «اجتماعى» فى مصطلح علماء الاجتماع القدامى كابن خلدون، هو كل ما يتعلق بالعلاقات المتبادلة بين الناس أفراداً وأسراً وجماعات ومجتمعاً...**

- **ويعنى عند علماء الاجتماع الغربيين نفس العلاقات بين الناس باستثناء ما يتصل بالمعتقدات والقيم والمعارف وسائر ألوان الثقافة، فلهم أن يذهبوا فى إقصاء المعتقدات والقيم إلى ما يريدون، حذراً مما أوقعتهم فيه الكنيسة من متاعب وتضييق باسم الدين والمعتقدات.**

● لكن التربية الاجتماعية الإسلامية ترشد العلاقات بين الناس بالدين عقيدة وعبادة وخلقًا وسلوكًا، دون استبعاد الدين عن مفهوم الاجتماع والعلاقات الاجتماعية.

- إن الإسلام يرى أن الثقافة جزء من الاجتماع فكيف تستبعد من مفهومه؟ وأن الثقافة تحرك الاجتماع وترشد العلاقات بين الناس، فكيف تستبعد؟ وأن الثقافة ما دامت تحتوى الدين عقيدة وعبادة وخلقا وسلوكًا فهى فى صالح المجتمع كله، فكيف تستبعد والأمر كذلك؟

● ومصطلح الاجتماع يراد فن مصطلح المدنية ومصطلح العمران كما يرى العلامة ابن خلدون، ومعنى ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش إلا فى اجتماع مع غيره، ولو انفرد عن الناس لما استطاع الحصول على قوته وملبسه ومسكنه، ولا استطاع أن يحافظ على بقاء نوعه، ولا استطاع أن يدفع عن نفسه حيوانًا أو عدوًا، وبالقطع لا يستطيع أن يعمر الأرض التى استخلف فيها.

● وبوصف الإسلام بأنه خاتم الأديان وأكملها وأتمها فلابد أن يعتمد اجتماع الناس بعضهم ببعض وسيلة من وسائل إقرار مبادئ الدين ومنهجه وقيمه ودعوة الناس إليه والتحرك به، والجهاد فى سبيله لتكون كلمة الله هى العليا.

وإلى الحديث عن تلك النقاط الثلاث التى يضمها هذا الباب من الكتاب والله المستعان.

* * *

أولاً: الوسائل لتحقيق الأهداف من خلال الأسرة

كلمة الأسرة لم ترد فى القرآن الكريم بلفظها، وإنما وردت بمفهومها فقد وردت بمعنى القبيلة والشعب، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولكن كلمة الأسرة وردت فى السنة بلفظها غير أنها تحمل معنيين:

أحدهما: بمعنى عائلة من أوساط الناس، لا من علية القوم ولا من ملوكهم، فى حديث واحد رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه[١].

والآخر: بمعنى الزوجين والذرية وهو الأكثر.

● فمن آيات القرآن الكريم التى وردت فيها الأسرة بمعنى الزوجين والذرية:

– قول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً...** ﴾ [الرعد: ٣٨].

– وقوله جل وعلا: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ...** ﴾ [الطور: ٢١].

● ومن كلمات السنة التى وردت فيها كلمة الأسرة بمعنى الأهل والولد:

– ما روى البخارى بسنده عن سعد رضى الله عنها قال: كان النبى ﷺ **يعودنى وأنا مريض** بمكة، فقلت: لى مال أوصى بمالى كله؟ قال: «لا» قلت. فالشطر؟ قال: «لا» قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث، والثلث كثير، أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس فى أيديهم، ومهما أنفقت فهو لك صدقة، حتى اللقمة ترفعها فى فى امرأتك...»

– **وروى البخارى بسنده عن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يبيع نخل بنى النضير ويحبس لأهله قوت سنة».**

● **والإسلام يوجب على القادر من الرجال أن يتزوج ويكون أسرة، تكون له فيها القوامة ويكون عليه الإنفاق على زوجته وأولاده، وكل من كان ذا حق فى أن ينفق عليه من أبوين أو إخوة وأخوات إن كانوا من أهل الحاجة.**

---

(١) وجاء فيه: «... زنى رجل من قرابة ملك من ملوكنا فأخّر عنه الرجم، ثم زنى رجل فى أسرة من الناس، فأراد رجمه فحالت قرابته دونه...» الحديث.

وقد أحاط الإسلام الأسرة بتشريعات عديدة تضمن لها كل حقوقها وتلزمها بأداء واجباتها كتشريع الزواج، وتشريع النفقات والقوامة والولاية على النفس وعلى المال، وتشريع الطلاق والخلع والإيلاء وغيرها من التشريعات التى تؤمن حياة الأسرة وحياة كل من يعيش فى كنفها.

● ومن أجل مكانة الأسرة فى الإسلام جاءت التربية الاجتماعية الإسلامية للأسرة على أدق الصور وأغناها وأنفعها للأسرة وللمجتمع فى الدنيا والآخرة.

● فما هى الوسائل التى تحقق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية من خلال الأسرة؟

تلك الوسائل فى إجمال هى:

- بناء الأسرة بناء سليما وتنشئة أبنائها على القيم الإسلامية.
- وتحديد الوظائف الاجتماعية للأسرة.
- وتوضيح القيم الاجتماعية الإسلامية.
- وتربية الأسرة على التماسك والتضامن.
- وضبط سلوك الأسرة اجتماعيًا.
- ومواجهة مشكلات الأسرة والعمل على حلها.
- وترشيد علاقة الأسرة المسلمة بغيرها من الأسر.

وفى تفصيل هذه الوسائل نتحدث عنها فى النقطة الثالثة من هذا الباب وهى نقطة: «توضيح مفردات هذه الوسائل» وهى صلب هذا الباب وأوسع ما فيه، بل إن النقطتين الأولى والثانية فى خدمة هذه النقطة.

وإلى الحديث عن النقطة الثانية:

توضيح الوسائل من خلال المجتمع، والله المستعان.

* * *

ثانيًا : الوسائل لتحقيق الأهداف من خلال المجتمع

تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية -التي فصلنا القول فيها في الباب الأول من هذا الباب -بوسائل تمارس من خلال المجتمع يستدعى أن نتحدث في إيجاز عن هذا المجتمع، قبل الحديث عن هذه الوسائل التي تمارس من خلاله لتحقيق تلك الأهداف.

● المجتمع في أبسط تعريف -ودون الدخول في تفصيلات ومصطلحات - هو: جماعة من الناس يعيشون معًا في منطقة معينة، تجمع بينهم ثقافة مشتركة مختلفة عن غيرها من الثقافية، ويضم بعضهم إلى بعض شعور بالوحدة وبالكيان المتميز عن سواه.

- ومفهوم المجتمع يتسع ليشمل جميع النظم الاجتماعية التربوية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وكل المجتمعات في ذلك سواء، قديمة ووسيطة وحديثة.

- ومفهوم المجتمع يحوى جميع الأشكال التنظيمية الضرورية لبنائه، أيا كانت أشكال هذا التنظيم وخصائصه، لأنها عند التدقيق هي جزء من المجتمع، أو مكون من مكوناته.

- وكل مجتمع يتوخى منه أن يحقق للناس الذين يعيشون فيه نوعًا من الاكتفاء الذاتي في تربية أفراده وجماعاته صغارًا وكبارًا، وفي اقتصاده وسياسته.

- وكل مجتمع عليه أن يؤكد انتماءه إلى المجتمع الإنساني الراشد، وعلى سبيل المثال: فإن المجتمع المصرى -مثلاً- عليه أن يؤكد انتماءه للعالم العربي، والمجتمع العربي عليه أن يؤكد انتماءه للعالم الإسلامي، والمجتمع الإسلامي عليه أن يؤكد انتماءه للعالم الإنساني الراشد.

● ولما من الله على البشرية بدين الإسلام الخاتم، صاغ مجتمعًا له خصائصه ومميزاته التي تجعل من أهله خير أمة أخرجت للناس ومن هذه الخصائص:

- أن رابطة العقيدة المتمثلة في الإيمان بالله وحده لا شريك له بكل شعب الإيمان، وفي الإسلام بأركانه كلها، وفي الإحسان بكل معانيه، واعتبر أن هذه الرابطة هو أقوى الروابط وأبقاها وأنفعها للمجتمع.

- وأنه مجتمع تسوده قيم بعينها، جاء بها الوحي الكريم في الكتاب والسنة، وليست قيما توارثها من نزل عليهم القرآن الكريم عن آبائهم وأجدادهم وأوطانهم وأقاليمهم، ولهذا

فهى قيم ثابتة مستقرة لا تخضع لتغير الزمان والمكان والناس، وتلك القيم تشمل العقيدة والعبادة والأخلاق.

– وأنه مجتمع يخضع فى معاملاته كلها لمعايير إسلامية تقوم على ترسيخ القيم الثابتة، وهى معايير العدل والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات، واحترام حقوق الإنسان وحرياته كلها، والعيش مع الآخر فى سلام ووئام لا فى صراع وخصام، وبذل الجهد فى سبيل نقل الناس من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى، ومن الحيرة والتخبط إلى الاطمئنان والاستقرار، ومن حيوانية الإنسان إلى إنسانيته التى كرمها الله تعالى.

– وأنه مجتمع لا يعيش حياته الدنيا لذاتها، وإنما يعيشها بالإيمان والعمل الصالح ليعبرها إلى الحياة الآخرة السرمدية، لكنه لا يهمل حياته الدنيا بل يأخذ منها نصيبه بالعمل الصالح حتى يتصدر موكبها، انطلاقا من قول الله تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [القصص: ٧٧]. والمجتمع المسلم يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً.

● والوسائل التى تحقق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية من خلال المجتمع –فى إجمال– هى:

١– مقاومة التخلف الاجتماعى:

وذلك أن التخلف الاجتماعى داء عضال يصيب المجتمع فيجعله فى تقهقر وجمود، أو يسمح للاتجاهات الرجعية المريضة أن تسود فيه، ومقاومة هذا التخلف وسيلة من وسائل تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية التى تقوم فى مجموعها على النهوض بالمجتمع وتقدمه بالعلم والعمل.

● وإنما تكون مقاومة التخلف الاجتماعى بأمور منها:

– منع انتشار العادات والتقاليد البالية الضارة.

– ومقاومة هبوط مستوى الثقافة والمعرفة الفنية.

– ومحاربة الأمية والجهل، وقصور التعليم، وتسرب المتعلمين منه.

– ومقاومة اضطراب القيم والمعايير.

– ومقاومة عدم الاهتمام بالمرأة والطفل.

– والاهتمام برعاية اليتامى والأرامل والعاجزين عن العمل والمتعطلين.

– ورعاية الشيخوخة وكل أصحاب الحاجات.

– والاهتمام بالرعاية الصحية وقاية وعلاجًا وأدوية.

– ومقاومة فساد الإدارة الحكومية.

٢– ومقاومة الشذوذ الاجتماعى:

والشذوذ الاجتماعى نشاط أو عمل يقوم به فرد أو جماعة للخروج على المألوف أو المصطلح عليه فى علاقات الفرد بغيره، أو علاقات الأسرة أو الجماعة أو المجتمع بغيره.

– ومن الشذوذ الخروج على مبادئ المجتمع وقيمه ومعاييره.

– ومن الشذوذ العمل الذى يؤدى إلى الإخلال بأى وظيفة من وظائف المجتمع.

وكل هذه الأنواع من الشذوذ الاجتماعى تعوق تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية.

● ومن وسائل مقاومة هذا الشذوذ الاجتماعى:

– نصح الخارجين على أخلاق المجتمع وآدابه وقيمه ومعاييره، ثم الأخذ على أيديهم أن لم يقبلوا النصح، بتطبيق العقوبات الشرعية عليهم دون تهاون أو تراخ.

– ودعوة الناس إلى الجماعة والاجتماع على الحق والخير والهدى، فقد أمر رسول الله ﷺ بلزوم الجماعة، وأعلن أن يد الله مع الجماعة وأن البركة مع الجماعة، وأعلن أن ترك السنة خروج من الجماعة، وأعلن أن من فارق الجماعة شبرًا فمات، مات على شعبة من النفاق، كل تلك القيم التى أعلن عنها الرسول ﷺ موثقة فى أحاديث نبوية شريفة، نكتفى الآن بواحد منها[1].

روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتى أو قال: أمة محمد– على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ إلى النار».

---

(١) سنذكرها جميعًا فى حينها للاستشهاد بها.

٣- ومقاومة التفكك الاجتماعي:

والتفكك الاجتماعي هو عدم كفاية النسق الاجتماعي في تحديد مراكز الأفراد وما يجب أن يقوموا به من عمل يحدث ترابطًا في المجتمع أو هو فشل النسق الاجتماعي في إحداث هذا الترابط في المجتمع.

وهذا النسق هو التنظيم الذي يجب أن يسود الأفعال الصادرة من مجموعة معينة من الناس بينهم صلات متبادلة.

وعدم كفاية هذا النسق أو فشله في تحديد مراكز الأفراد وأعمالهم أو إحداث الترابط بينهم هو التفكك الاجتماعي.

● **ومن وسائل مقاومة التفكك الاجتماعي:**

- أن يوضح لكل إنسان مكانته في المجتمع وعمله فيه، بمعنى أن كل إنسان مهما كان؛ له مكانته وله عمله، وأن أي إنسان مطالب بأن يعمل، ولا يقبل منه أن يمتنع عن العمل إلا لسبب قاهر.
- وتأكيد أن العمل قيمة اجتماعية لا تقل أهمية في المجتمع عما يؤمنه العمل لصاحبه من منافع، والعمل قيمة لأن الله تعالى أمر به، وطالب بأن يكون عملاً صالحًا، قال الله تعالى: **﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾** [البقرة: ٦٢].
- وتحذير الناس من التفكك والتفرق والاختلاف، فضلاً عن الصراع والخصام، قال الله تعالى: **﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾** [آل عمران: ١٠٣].

وروى أحمد بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« .. أذهبتم من عندي جميعًا وجئتم متفرقين، إنما هلك من كان قبلكم بالفرقة ... »**

وروى أحمد بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« ... والجماعة رحمة والفرقة عذاب »**.

٤- ومقاومة القلق الاجتماعي:

وهو الاحتكاك بالناس مع الإحباط في العلاقات الاجتماعية معهم، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد والأسر والجماعات أو على مستوى المجتمع كله.

وهذا القلق الاجتماعى نوعان:

أحدهما: محدد يظهر فى أفعال مختلفة، يتوقف اتجاهها على القيادة التى تقوم على إدارة العمل.

والآخر: غير محدد، وهو ما يشير إليه ويدل عليه الاضطراب فى العلاقات بين الناس والتفكك فى المجتمع.

● ومن الوسائل التى يُقاوم بها هذا القلق الاجتماعى:

- تبصير الناس بما يجب أن تكون عليه أفعالهم من صلاح وتوخ لإرضاء الله تعالى، حتى لا يقعوا فى القلق والضيق والاكتئاب والصراع والإحباط.

- وربط الناس فى أمورهم كلها بشعب الإيمان وبأركان الإسلام أى بطاعة الله تعالى ورسوله، ومن كان كذلك فإنه لن يأتى عملاً يؤذى به نفسه أو غيره من الناس أو يسهم فى إحداث قلق لنفسه أو للناس.

- وتفقيه الناس بأن القلق مرتبط تمامًا بالمعصية لله ولرسوله ومخالفة الأمر والنهى، وأن الاطمئنان والشعور بالرضا والأمن نتيجة طبيعية لطاعة الله ورسوله والإيمان بقضاء الله تعالى وقدره وإسلام الأمر لله فى العبادة والمعاملة والأخلاق، وبهذا الإيمان والإسلام يحدث الاطمئنان، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

ومن كان طائعًا لله فلن يقلق ولن يكتئب ولن يحبط ولن يدخل مع غيره فى صراع دنيوى.

٥- والعمل على تحقيق التضامن بين المسلمين:

والتضامن هو عملية التعاون والتساند والتآزر بين الأفراد والأسر والجماعات والمجتمع كله، بحيث يتبادل الناس اعتماد بعضهم على بعض فيما يرغبون فى تحقيقه من أعمال وآمال.

وهذا التضامن الاجتماعى نوعان:

الأول منهما: آلى: يطلق على الظاهرة التى تسود مجتمعًا تقليديًا يتميز بتجانس القيم السائدة فيه.

والآخر: عضوى: يطلق على الظاهرة التى تسود مجتمعًا يقوم على أساس تقسيم العمل الذى يتطلب تعاونًا وتساندًا.

● **ووسائل تحقيق هذا التضامن الاجتماعى كثيرة منها:**

- تبصير الناس بأن التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان واجب شرعى طولب به المسلمون جميعًا أفرادًا وأسرًا وجماعات والمجتمع كله، بدليل قول الله تبارك وتعالى: **﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [المائدة: ٢].

- وتأكيد أن التضامن الاجتماعى مطلب شرعى لا يكمل إيمان المؤمن إلا بممارسته مع كل محتاج فى المجتمع المسلم، مهما تكن حاجته مادية لمسكن أو ملبس أو مطعم أو مشرب أو منكح أو معنوية كالحاجة إلى الإحساس بالأمن والاطمئنان والرضا، ويفهم ذلك من قول الله تعالى: **﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾** [المعارج: ١٩-٢٥].

- وتبصير الناس بأن الإسلام فيه تشريعات تحقق التكافل لا التضامن وحده كتشريع الزكاة بنوعيها زكاة المال بأنواعه وزكاة الفطر، فقد ،قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة: ٦١].

وروى الطبرانى -فى الكبير- بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم».**

٦- وتحقيق التأمين الاجتماعى بين المسلمين:

والتأمين الاجتماعى نظام يهدف إلى الاحتياط من نتائج المخاطر الاجتماعية التى يتعرض لها الناس، ولا يستطيعون مواجهة أخطارها بأنفسهم لضعف إمكاناتهم المادية أو المالية.

وهذه المخاطر نوعان:

الأول: مخاطر فى مجالات العمل كإصابات العمال وأمراض المهنة.

والآخر: مخاطر عامة مشتركة بين الناس جميعًا كالمرض والعجز والشيخوخة والبطالة والوفاة.

● **والوسائل التى تضمن تحقيق هذا التأمين الاجتماعى كثيرة منها:**

- توعية الناس بأن التأمين الاجتماعى بنوعيه وإن كان واجب الحكومات إلا أن الأفراد والأسر والجماعات يستطيعون أن يسهموا فى القيام ببعض أنواع التأمين التى تناسب إمكاناتهم، كرعاية يتيم أو أرملة أو عاجز عن العمل، فهؤلاء ممن شملتهم الآية الكريمة: ﴿ ...**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]. فهم محرومون بكل معنى من معانى الحرمان المادى.

- وتبصير النقابات المهنية ومن يقومون عليها بوجوب رعاية أبناء المهنة ضد المخاطر الاجتماعية التى قد يتعرضون لها مثل: المرض، وفقد العمل، وبلوغ سن التقاعد عن العمل، وتعليم الأبناء أو تزويجهم ونحو ذلك.

- وتبصير الناس والحكومات -وهذا واجب الدعاة إلى الله وكل من قدر على ذلك من المسلمين- بأن الإسلام قد أمَّن حياة المسلم أوسع أنواع التأمين حين كفل له حقوقه وحرياته وأمنه واستقراره النفسى والاجتماعى، وصان حرماته كلها وأولها حرمة قتله ثم حرمة ماله وعرضه وأن يظن به إلا خيرًا، فتلك مسلَّمات فى الإسلام قامت عليها الأدلة والبراهين من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ وسيرته العطرة، وقد ذكرنا من ذلك كثيرًا من النصوص ونحن نتحدث عن أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية.

٧- وتحقيق الرفاهية الاجتماعية:

الرفاهية الاجتماعية نسق أو نظام من الخدمات الاجتماعية التى تقوم بها المؤسسات أو الحكومات، لمساعدة الأفراد أو الجماعات لكى يصلوا إلى مستويات حسنة ومحققة للمعيشة الإنسانية الكريمة التى تليق بالإنسان.

كما تستهدف الرفاهية الاجتماعية قيام علاقات اجتماعية سوية بين الأفراد والجماعات من خلال تنمية روح التعاون والتواد بين الناس أفرادًا وأسرًا وجماعات، والمجتمع بكامله.

● **والوسائل التى تساعد على تحقيق الرفاهية الاجتماعية، كثيرة منها:**

- العمل على تنمية القدرات والمهارات فى مختلف مجالات العمل بشرط أن تكون هذه

الأعمال متفقة مع حاجات المجتمع وتطلعاته المشروعة لمواجهة متطلبات الحياة الكريمة.

وهذا العمل على تلك التنمية هو واجب الحكومات أولاً، لما لها من إمكانات كبيرة، وقد يكون واجب بعض الجمعيات والمؤسسات غير الحكومية متى كانت قادرة على ذلك.

- وإحياء روح التعاطف والتآلف بين الناس، لأن ذلك يؤدى إلى التعاون فى العمل، وهذا يؤدى إلى الإجادة والاتقان ووفرة الإنتاج، مما يرفع من مستوى معايش الناس، وذلك كله ترجمة للأخوة التى يجب أن تجمع بين الناس فى المجتمع المسلم.

- وإحياء روح الصبر والجلد وتحمل متاعب العمل من أجل وفرته كما وكيفا، وهذا من شأنه أن يبعد الناس تماماً عن الخمول والكسل والتراخى والتواكل، لأن تلك الصفات تحول بين الناس وبين الحياة الاجتماعية الصحيحة، لا الرفاهية الاجتماعية المنشودة.

وبعد: فتلك بعض الوسائل التى تعين على تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية من خلال المجتمع، وهى مكملة للوسائل التى أشرنا إليها إجمالاً من خلال الأسرة.

ونحاول فى النقطة الثالثة والأخيرة من هذا الباب أن نمزج بين هذين النوعين من الوسائل لتكون هذه الوسائل من خلال الأسرة والمجتمع، مفردات كل منها قائم بذاته، فنتحدث عنها تحت عنوان: «مفردات هذه الوسائل لتحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية»، والله المستعان.

* * *

ثالثًا: مفردات الوسائل لتحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية

إذا كانت أهداف التربية الاجتماعية -كما ذكرنا- هى:

إحياء سنة التعارف بين الناس، ومقاومة العزلة عنهم إلا فى الفتن، واحترام الحقوق والواجبات للفرد والمجتمع، وإعلاء شأن الأسرة فى المجتمع، وإخلاء النظم فى المجتمع المسلم مما يخالف شرع الله، والوصول بالمجتمع المسلم إلى التضامن والتكافل، والعمل على استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع، فإن الوسائل لتحقيق هذه الأهداف لابد أن تكون كثيرة ومتنوعة، غير أننا نكتفى منها بسبع وسائل نعتبر كلا منها أصلاً وركنًا، ومفردة من جملة تتكون من سبع مفردات.

- ولأن الأسرة هى وحدة تكوين المجتمع، فإن هذه الوسائل كلها تتصل بالأسرة اتصالاً وثيقًا مباشرًا، ثم تتصل بالمجتمع بعد ذلك وتؤثر فيه تأثيرًا عميقًا مباشرًا وغير مباشر.

- وتلك الوسائل أو المفردات أو الأصول والأركان هى:

– بناء الأسرة بناء صحيحًا.

– وتحديد وظائفها الاجتماعية.

– وتوضيح القيم التى يجب أن تسودها.

– ووجوب تماسك أفرادها وتضامنهم.

– ووجوب ضبط سلوك أفرادها اجتماعيًا.

– ومواجهة مشكلاتها والعمل على حلها.

– وتوضيح علاقاتها بغيرها من الأسر.

ولكل واحدة من هذه المفردات حديث مفصل نرجو أن نوفق فيه.

١- بناء الأسرة بناء صحيحًا:

قلنا فى حديثنا عن أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية، إن من بين تلك الأهداف: إعلاء شأن الأسرة فى المجتمع، ولا يكون الإعلاء من شأنها فى المجتمع إلا إذا بنيت بناء سليمًا صحيحًا.

● ولأن من معانى الأسرة: أنها الدرع الحصينة، فلابد أن يكون بناؤها قويًا يمكنها من تحصين من فيها.

ومن معانيها: أنها أهل الرجل وعشيرته فلابد أن تكون جديرة بهذا الوصف، ولا جدارة لها إلا أن تبنى بناء صحيحًا.

● ومن أجل بنائها بناءً سليمًا فقد أحاطها الإسلام بعدد من الاعتبارات التى تضمن بناءها السليم الصحيح، ومن ذلك:

– أن الإسلام جعل تكوينها بالزواج الشرعى واجبًا على كل من يملك القدرة عليه، فهى بذلك أحد واجبات الإسلام.

– وجعل القوامة عليها للرجل لما فطره الله عليه من قدرة على السعى والكد من أجل الرزق، ولما أوجب عليه من الإنفاق على أسرته.

– وجعل الولاية على الأبناء لأبيهم حتى يرشدوا.

– وأحاط الأسرة بعدد من التشريعات التى تكفل لها الحياة الإنسانية الكريمة مثل:

تشريع القوامة والولاية على النفس أو على المال.

وتشريع النفقات.

وتشريع الطلاق والخلع.

وتشريع التوارث فى التركات.

وتشريع مسئولية الأسرة عن أبنائها.

وغير ذلك من التشريعات والنظم التى تسهم فى بناء الأسرة بناء صحيحًا سليمًا يمكنها من أداء وظائفها التى هى أهم الوظائف فى المجتمع الإنسانى.

● وفى بناء الأسرة بناء صحيحًا سليمًا جاءت تشريعات ونظم تضمن للأسرة حياة سعيدة ترضى الله تبارك وتعالى، ومن ذلك:

– اعتبار التزوج واجبًا على كل مستطيع، فقد روى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[1]

(١) الباءة والباء هو: النكاح والجماع أو القدرة على الزواج وأعبائه المادية والإعفافية والإحصانية.

فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

– واعتبار التزوج إكمالاً للإيمان، بل اعتباره نصف الإيمان، فقد روى الطبراني –في الأوسط – بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان، فليتق الله في النصف الباقي».

– وتشجيع الإسلام الناس على الزواج ببيان ما فيه من سكن ومودة ورحمة، قال الله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وأوجب على الذين لا يستطيعون الزواج أن يستعفوا عن الحرام ودواعيه حتى يغنيهم الله من فضله فيتاح لهم التزوج قال الله تعالى: **﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ...﴾** [النور: ٣٢، ٣٣].

– ووضع الإسلام معايير لاختيار الزوجة أو الزوج.

ففى معايير اختيار الزوجة – روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تنكح النساء لأربع؛ لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

وفى معايير اختيار الزوج – روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير».

– وفى توجيه الأولياء ومن لهم حق قبول الزوج أو رفضه، روى أبو داود بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير النكاح أيسره» وروى أبو داود بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطى في صداق امرأة ملء كفيه سويقًا أو تمرًا، فقد استحل».

● ولكى تستمر الأسرة فى حياتها ناعمة آمنة قادرة على أداء وظائفها فى المجتمع، فقد أمر الإسلام بحسن العشرة بين الزوجين، وأوصى الرجال بالنساء، وأوصى المرأة بزوجها، وجعل كل تلك الوصايا مما أوجب الله على المسلمين والمسلمات.

- ففى الوصية بالنساء قال تعالى: ﴿ ... **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء: ١٩].

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإذا ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء».

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقًا رضى منها آخر».

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم».

- وفى وصية الزوجة بزوجها، واحترام حقوقه، قال الله تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ... ﴾ [النساء: ٣٤].

فالقانتات هن: الطائعات لله القائمات بحقوق الزوج، وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح».

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

- **والخلاصة أن الإسلام حرص فى بناء الأسرة على حسن اختيار كل طرف للطرف الآخر، وعلى حسن المعاشرة بين الزوجين، وعلى أن يحترم كل طرف حقوق الطرف الآخر، وأن يقوم بواجباته نحوه.**

- **وعندما تستحيل الحياة الزوجية بين الزوجين أو تصعب بحيث يلحق الضرر بأحد الطرفين أو بكليهما، فإن الله تعالى شرع الطلاق لفصم هذه العلاقة الشرعية إما بالطلاق، أو بالخلع.**

وكان ﷺ يرخص فى الطلاق وفى الخلع لضرورة أو حاجة، ويكرههما عند غير الحاجة.

- وكان بعضهم على عهد النبى ﷺ يطلق امرأته فإذا أوشكت عدتها أن تنتهى راجعها، ثم يطلقها.. ثم يراجعها إضراراً بها، فاخبرت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ بذلك فسكت حتى نزل قول الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ...﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وقوله تعالى: ﴿...وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...﴾ [البقرة: ٢٣١].

وروى الديلمى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات».

- وعندما تطلب المرأة من زوجها الطلاق فلابد أن يكون قد لحقها ضرر لا تصبر عليه من عشرته، وعندئذ يحل لها أن تخالعه وتتنزل له عما أعطاها من مهر مقدم أو مؤخر أو هدايا ونحوها، فإن طلبت الخلع من زوجها دون سبب فقد عصت الله تعالى، لأن رسول الله ﷺ وصف المختلعات لغير سبب مقبول بالمنافقات، فقد روى الترمذى بسنده عن ثوبان رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «المختلعات هن المنافقات».

وكان ﷺ إذا جاءته المرأة تطلب الخلع من زوجها، يقول لها: أتردين عليه ما أعطاك؟ فتقول: نعم، فيقول لزوجها: اقبل منها ما أعطيتها من غير زيادة وطلقها تطليقة، وكان يأمرها بعد الخلع أن تتربص حيضة واحدة ثم يلحقها بأهلها. كما فعل ذلك مع امرأة ثابت ابن قيس بن شماس عندما جاءته تطلب الخلع من ثابت رضى الله عنه.

● ولكى تستمر الأسرة فى حياتها آمنة مطمئنة فإن عليها أن ترعى أبناءها وكل من يعيش فى كنفها صغاراً وغير صغار؛ لأن الزوجين كليهما مطالبان برعاية الأبناء، الأم فى حملها ورضاعها وحضانتها لأبنائها وتنشئتهم على الأخلاق الحميدة والسلوك الفاضل، والأب فى إنفاقه ورعايته لأبنائه بإعطائهم جزءاً من وقته ومن جهده وتنشئتهم على الأخلاق القويمة والسلوك الحميد، واصطحاب من استطاع منهم إلى المسجد ليرتاده ويعتاده ويتأثر بروح المسجد وما يتركه فى النفس من تأثير دينى عميق.

- والوالدان مطالبان بتربية أبنائهما تربية إسلامية أى على القيم التى جاء بها الإسلام وأمر بالالتزام بها، وهذه التربية باب واسع يجتهد فيه الأبوان بما أتاح الله لهما من قدرات.

غير أننا نشير هنا إلى أهم العناصر فى هذه التربية الإسلامية تاركين التوسع فى ذلك لمن أراد(١).

(١) للتوسع انظر للمؤلف: تربية الناشىء المسلم، دار الوفاء: ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

وهذه العناصر التربوية الاجتماعية للأبناء هي :

١ - **القدوة** : وأحسن ما تكون القدوة برسول الله ﷺ، بالتحدث عن سيرته ومواقفه مع الناس والأحداث، قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ...** ﴾ [الأحزاب : ٢١].

ثم بالصحابة رضى الله عنهم وصالحى المؤمنين من القادة والمصلحين.

وأفضل ما يكون ذلك –بعد أن يتعلم الأبناء القراءة– بأن تكون فى البيت المسلم مكتبة بسيطة في حدود إمكانات الأسرة، تزود الأبناء بالعلم والمعرفة والأسوة الحسنة.

٢ - **العظة** : وهى تذكير الأبناء بتاريخ الإسلام وجهود المسلمين فى نشر الإسلام ودفاعهم عنه ضد أعدائه التقليديين اليهود وضد كل عدو . وأعجب كل العجب ممن يستهينون بأثر العظة أو يرفضونها تربويًا، مع أن الله تعالى يخبرنا بأنه أنزل علينا القرآن الكريم وأوحى للنبى ﷺ بأحاديثه التى لا ينطق فيها عن الهوى عظة لنا، وذلك فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ... **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٣١].

٣ - **والقصة** : وبخاصة قصص القرآن الكريم وقصص السنة النبوية المطهرة، فإن القصة أفعل ما تكون فى نفوس الصغار والكبار وأحفل بالعبر والدروس، على ما فيها من تسلية وإمتاع، وبحسبنا أن نتدبر أن القصص فى القرآن الكريم يشغل فيه حيزًا كبيرًا جدًا، وبحسبنا أن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾ [يوسف : ٣]. وقال جل شأنه – : بعد أن قص قصة يوسف عليه السلام مع إخوته – : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى...** ﴾ [يوسف : ١١١]. وما أيسر أن يقص الأبوان على أبنائهما من هذا القصص أو يوجها إلى قراءته.

٤ - **والجزاء** : وهو اتجاه تربوى فاعل ومؤثر، إذ لابد من جزاء للمحسن يناسب إحسانه، وجزاء للمسيء يناسب إساءته، وذلك هو المبدأ الإسلامى الذى أنزله الله تعالى قرآنا يتلى ويتعبد بتلاوته، وهو مبدأ الثواب لمن أطاع الله والعقاب لمن عصاه، وهذا المبدأ يرشد العمل ويهدى إلى الحق وإلى الصراط المستقيم . قال الله تعالى : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ**

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

٥- **والمسجد**: وهو مكون تربوى للمسلم على جانب كبير من الأهمية، فالمسجد خير معين للأسرة على تربية أبنائها وترسيخ القيم الإسلامية فى نفوسهم وسلوكهم، ففى المسجد يتعلم الناس النظام والطاعة والهدوء والإنصات والعمل الجماعى وحب الناس واحترامهم والتفسح لهم فى صفوف الصلاة، ومن أجل الذهاب إلى المسجد تكون النظافة والطهارة واتخاذ أحسن الثياب وأحسن الزينة، بكل ذلك وردت آيات وأحاديث نبوية، قال الله تعالى يثنى على رواد المساجد: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

٦- **والعمل**: والعمل قيمة عظيمة، يطالب به كل مسلم صغيرًا كان أو كبيرًا، بل إن العمل هو الترجمان الصادق للإيمان ما دام عملاً صالحًا يرضى الله تعالى ويوافق شرعه ومنهجه.

والأسرة المسلمة وهى تنشئ أبناءها؛ عليها أن تحدد لكل منهم عملاً متى بلغ سن الفهم لما يكلف به والقدرة على أدائه، وأن تلزمه بأداء العمل بوصفه إنسانًا مسلمًا يجب أن يلتزم بالعمل لأنه لا يقبل من مسلم أن يعيش بغير عمل وهو قادر عليه.

هذه التربية تنعكس على الصغير فى شبابه وتصحبه مع تقدم العمر به، فيكون منتجًا مرضيًا لربه سبحانه وتعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿**... فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠].

وروى أحمد بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد، وإنما أنتم ولد آدم، طفُّ الصاع لم تملئوه، ليس لأحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح، حسب الرجل أن يكون فاحشًا بذيًا بخيلاً جبانًا**».

وروى ابن ماجة بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا**

وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية، ترزقوا وتنصروا وتجبروا. . . » .

٧- **والإتقان**: وهو مبدأ إسلامى له وزنه فى أى عمل يمارسه المسلم، لأنه قيمة ثابتة من قيم الإسلام التى لا تتغير ولا تتبدل مهما تغير الزمان وتبدل المكان وأهله، والإتقان هو معنى من معانى الإحسان الذى أمر الله تعالى به أمراً مطلقاً فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**. . . ﴾ [النحل: ٩٠].

وروى البيهقى -فى الشعب- بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

وفى رواية له عن كليب رضى الله عنه: «إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسن».

ومن شب من المسلمين على إتقان عمله أرضى ربه سبحانه وتعالى، وأدى ما عليه نحو نفسه وذويه والمجتمع الذى يعيش فيه أداءً جيداً لابد أن تكون له ثمرة طيبة.

وهذا من واجب الأسرة نحو أبنائها لتربيتهم تربية إسلامية.

٨- **والبر**: وهو كل أنواع الخير، وهو أوضح ما يكون وأفضل ما يكون بالنسبة للأسرة المسلمة عندما يكون صلة للأرحام وتوثيقاً للعلاقة الطيبة بهم، وزيارتهم وتفقد أحوالهم وسد خلتهم.

بل إن البر يتجاوز الأرحام إلى الجيران والأصدقاء والزملاء، وكل من يتعامل معهم المسلم فى مختلف الظروف، لأن المسلم لابد أن يبادر بالعمل الصالح قبل أن يشغل عنه، ولا عمل أدخل فى البر بعد الإيمان بالله واليوم الآخر -إلا لبر، قال الله تعالى: ﴿ . . . **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ**. . . ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وروى ابن ماجة بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرع الخير ثواباً البر وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة البغى وقطيعة الرحم».

تربية الأبناء على البر بالأقارب وبالناس عموماً من العناصر الرئيسة فى تربية الناشئ المسلم، وهو واجب الأسرة المسلمة نحو من يعيشون فى كنفها.

٩- والدعوة إلى الله : أى الدعوة إلى الحق والخير والهدى، ومن المعروف أن الدعوة إلى الله واجب كل مسلم يملك البصيرة بما يدعو إليه، فهو واجب الأسرة كلها؛ الأبوين والإخوة الكبار، واجبهم ممارسة وواجبهم تعليماً للناشئين فى الأسرة ولمن يعيشون فى كنفها.

وإذا شب الصغار على دعوة غيرهم إلى الهدى والخير والالتزام بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه سبحانه، فإنهم يعيشون شباباً محفوظاً من مخاطر المعصية والجريمة والانحراف، ويعيش المجتمع بسبب ذلك حياة آمنة مطمئنة فاعلة منتجة محققة للحياة الاجتماعية على أحسن مستوياتها.

قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...** ﴾ [يوسف:١٠٨].

وصلب الدعوة إلى الله وإلى الخير والهدى هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقد روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد المسىء، ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو يلعنكم كما لعنهم» أى كما لعن بنى إسرائيل إذ توقفوا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أو مارسوه فلم يأتمر بأمرهم أحد ولم ينته عما نهوا عنه أحد، فجالسوهم وواكلوهم، على الرغم من عدم انتهائهم عن المنكر، فلعنهم الله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام.

١٠- والتعاون : وإنما يكون التعاون بين المسلمين على البر والتقوى، والأسرة وحدة المجتمع ولبنة فى بنائه، والمطلوب من الأسرة المسلمة أن تتعاون مع غيرها من الأسر على كل ما يمكن التعاون عليه من أنواع الخير والبر، لأن هذا واجبها الإسلامى.

وهذا التعاون بين الأسر المسلمة بل بين المسلمين جميعاً، أمر قرآنى صريح، قال الله تعالى: ﴿ **...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة: ٢].

وقد عقد الإمام البخارى باباً فى صحيحه تحت عنوان: تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، وروى فيه بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه...».

وتنشئة الصغار فى الأسرة المسلمة على التعاون تربية لهم على تحبيبهم فى الناس

والتعاون معهم على البر والخير، مما يعود عليهم فى الحاضر والمستقبل بخير الدنيا والآخرة.

وبعد: فهكذا يبنى الإسلام الأسرة بناء صحيحًا، لتسهم بوصفها وحدة المجتمع فى بناء المجتمع المسلم.

وإذا كان بناء الإسلام للأسرة بناء صحيحًا هو إحدى الوسائل فى تحقيق أهداف المجتمع المسلم أو التربية الاجتماعية الإسلامية، فإن وسيلة أخرى ذات فعالية فى تحقيق الأهداف للتربية الاجتماعية الإسلامية هى: تحديد وظائف الأسرة المسلمة.

٢- تحديد وظائف الأسرة المسلمة:

الوظيفة الاجتماعية -كما أسلفنا فى المصطلحات- سلسلة من الخدمات الاجتماعية تقوم بها الأسرة أو الجماعة المنظمة من الأفراد أو الجماعات فى المجتمع لصالح أعضائه.

وقد تكون هذه الخدمات مادية أو معنوية، بحيث تكون هذه الخدمات من وظائف من يقوم بها، سواء أكان هو الذى وظفها على نفسه برضاه، أو يكون قد عُهد إليه بها.

● وفى منهج الإسلام ونظامه تكون هذه الوظيفة أو الوظائف مما طالب بها الله ورسوله أو حببا فى القيام بها.

وعلى مستوى الأسرة المسلمة تكون أهم وظائفها هى إحسان العشرة بين الزوجين، وحسن تنشئة الأبناء تنشئة إسلامية، وما يتفرع عن هذين الأصلين من وظائف عديدة تتنوع بتنوع مرافق الحياة الإنسانية وتتعدد بتعدد احتياجاتها.

غير أننا نكتفى فى تحديد وظائف الأسرة المسلمة -إلى جانب الأصلين الكبيرين اللذين أشرنا إليهما، وتحدثنا عنهما بإيجاز فى بناء الأسرة المسلمة- وهذه الوظائف فى تصورى هى:

- النشاط الاجتماعى.
- والدفاع الاجتماعى.
- والخدمة الاجتماعية.

ولكل واحدة من هذه الوظائف حديث يوضح أبعاد هذه الوظيفة وأثرها فى المجتمع المسلم، والله المستعان.

أ- النشاط الاجتماعى :

على الأسرة المسلمة فى المجتمع المسلم بمقتضى الالتزام بالإسلام أن تكون إيجابية فى الحياة الاجتماعية، مشاركةً مشاركةً عملية تسهم بها فى التفاعل مع المسائل والقضايا الاجتماعية إسهامًا يحقق تنمية فى المجتمع من خلال قدرات الأسرة وطاقات أفرادها.

والإيجابية هنا لا تعنى مجرد العمل والمشاركة فيه، وإنما تعنى إلى جانب ذلك أن يكون هذا العمل قادراً على الوصول بالمجتمع إلى مرتبة اجتماعية أحسن وأعلى، وإلى إحراز ثروة اجتماعية ونفوذ اجتماعى ينعكس على الناس بالتقدم والرقى.

● والأسرة نواة هذا التقدم والرقى وطريقه المستقيم الهادى، ولا تستطيع الأسرة أن تصل إلى ذلك إلا بأن تكون ذات نشاط ملحوظ فى هذا المجال.

وإذا كان النشاط الاجتماعى فى الأسرة يعنى مجموعة من الأعمال الجماعية التى يقوم بها الناس إسهامًا منهم فى حل بعض مشكلات المجتمع، لكى ينطلق المجتمع من إسار المشكلات الاجتماعية، فإن معظم هذه الأنشطة تتم من خلال طريقين:

أحدهما: بذل الجهود والأوقات وبعض الأموال للتغلب على بعض مشكلات المجتمع، مع احتساب ذلك عند الله تعالى.

والآخر: التعاون بين النشطين بحيث تكون الأعمال ذات سمة جماعية لا فردية، وأن يكون الهدف منها إرضاء الله تعالى بالاستجابة لما أمر به من تعاون وتناصر وتكافل.

● ومجالات النشاط الاجتماعى عديدة تتنوع بتنوع المشكلات الاجتماعية وتعددها وكثرتها -فى الكثير الغالب من الأحيان.

- والمشكلة الاجتماعية دائمًا ذات صفة جمعية تشمل عدداً من الأفراد فى المجتمع، وليست مشكلة اجتماعية تلك التى تقتصر على فرد بعينه.

- والمشكلة الاجتماعية لابد أن تحول بين عدد من الناس وبين قيامهم بواجبهم الاجتماعى، أو تحول بينهم وبين نيل حقوقهم، الواجبات والحقوق التى أقرها الإسلام وحددتها شريعته.

● ومن أمثلة المشكلات الاجتماعية:

- مشكلة العجز عن بناء أسرة مسلمة، لأسباب متعددة.
- ومشكلة البطالة والعجز عن العمل.
- ومشكلة الشيخوخة والعجز عن تأمين الحياة الصالحة لمن بلغوا سن الشيخوخة.
- ومشكلة الجهل والأمية، والانصراف عن التعليم، أو عجز أماكن التعليم عن استيعاب الراغبين فى التعليم.
- ومشكلة اليتامى وضياعهم وتركهم بلا كافل.
- ومشكلة الأحداث الجانحين لتفكك أسرهم أو ضيق الموارد.
- ومشكلة الجريمة وانتشارها.
- ومشكلة الأمراض بسبب انعدام الوقاية الصحية أو القصور فى العلاج، وتوافر الأدوية.
- ومشكلات عديدة تتصل بالمرأة فى مستوياتها المتعددة.
- ومشكلة الطفولة وما يتصل بها من تأمين ورعاية.
- ومشكلة الشباب وأوقات الفراغ عندهم، وكيف تملأ بما يعود عليهم بالنفع فى الدنيا والآخرة.
- ومشكلة الانصراف عن القراءة وضحالة الثقافة، والإقبال على ثقافة الغرب المخالفة لثقافة المسلمين فى الغالب.

وغير ذلك من المشكلات.

● ومنهج التربية الاجتماعية الإسلامية يقوم على أسس راسخة فى الوقاية والإصلاح.

- ففى الوقاية: يقوم المنهج الإسلامى على قيم اجتماعية وأنشطة اجتماعية من شأنها أن تمنع حدوث المشكلة، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى فى هذا المجال، ونكتفى هنا بالإشارة إلى أن الإسلام لما حرم الزنا، جعل من أسباب الوقاية منه قبل أن يقع تحريم النظر إلى ما حرم الله النظر إليه من مفاتن المرأة، فأمر بغض البصر للرجال والنساء على السواء، فأمر القادر على الزواج أن يتزوج، وأمر غير القادر بالصوم لأن الصوم يقيه ثورة الشهوة الجنسية.

وكل ذلك وقاية من جريمة الزنا حتى لا تقع.

- وفى مجال الإصلاح: أمر بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وحسن الظن بالناس واحترام حقوقهم وحرياتهم، بل التواد والتراحم معهم، بل رفع ذلك إلى منزلة الأخوة فى الدين، ومع هذه القيم وسيادتها فى المجتمع يمكن علاج معظم المشكلات إن أفلتت من سبل الوقاية فظهرت.

● ويقابل النشاط الاجتماعى للأسرة المسلمة أن تصاب بالكسل والخمول والسلبية والعجز عن العمل، ولقد استعاذ رسول الله ﷺ من هذه الأدواء وأمثالها، فقد روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل...»

● وفى مقابل الكسل والخمول فإن الإسلام يامر بالعمل الصالح كما أوضحنا، ويأمر بفعل الخير عموماً، وبالإصلاح عموماً والإصلاح بين الناس على وجه الخصوص.

● **آثار النشاط الاجتماعى:**

النشاط الاجتماعى على النحو الذى أوضحنا لابد أن يؤدى إلى إزالة الحواجز الاجتماعية بين الناس، لأنها حواجز مصطنعة تسبب فيها الخلل فى تقسيم المجتمع إلى طبقات عرقية أو مالية أو بيئية تقتضى منع بعض الناس من اختراق هذا الحاجز الاجتماعى الذى يتمثل أحياناً فى منع التزوج من بعض الأسر، وأحياناً فى احتكار مهنة بعينها أو تجارة بعينها، بحيث تحظر على عامة الناس وتمثل بالنسبة لهم حاجزاً اجتماعياً.

- والأصل فى هذه الحواجز أن تزول وألا يبقى من أسباب التفاضل بين الناس إلا التقوى؛ لأن الإسلام ينادى بأن الناس لآدم وآدم من تراب، قال الله تعالى: ﴿ ... **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**... ﴾ [الحجرات: ١٣]. وروى البيهقى بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس لأحد فضل على أحد إلا بالدين أو عمل صالح**...».

وهذا من شأنه أن يعيد التوازن الاجتماعى بين الناس.

- كما أن النشاط الاجتماعى - أى الإيجابية - يقضى على التفرقة الاجتماعية، وهى المتمثلة فى إسباغ بعض المزايا على فئة من الناس دون فئة، أو فرض قيود على طائفة من الناس دون طائفة، فى حين أن الأصل فى الأفراد والأسر والجماعات المتساوين فى المراكز ألا يحدث بينهم هذا التمايز أو تلك القيود.

فالنشاط الاجتماعى للأسرة من شأنه أن يقضى على تلك التفرقة الاجتماعية التى لا تستند إلى تبرير.

- ومن آثار النشاط الاجتماعى للأسرة القضاء على السلبية المتمثلة فى فقد الاهتمام بمسائل الناس وقضاياهم، أو فى العزلة عن الناس عموماً وإيثار الراحة بل الكسل والخمول.

وهذه السلبية ما لم يقض عليها النشاط الاجتماعى فإنها تتفشى فى الناس بأسرع مما يتصورون، وذلك يؤدى إلى التباعد الاجتماعى بين الناس، وهذا من شأنه أن يقضى على التعاون بين الناس فضلاً عن التآخى والتواد والتراحم.

إن الناس خُلقوا ليتعارفوا ويتعاونوا ويتلاءموا ويجمع بينهم حب الخير، والتحرك إليه وبذل الجهد من أجله، ليصل الإنسان بهذا السلوك وبذلك النشاط الاجتماعى إلى مستوى أفضل وإلى حياة أكرم وأنبل.

- ومن آثار النشاط الاجتماعى على مستوى الأسرة والفاعلية والحراك الاجتماعى أن يؤدى إلى إحدى ميزتين فى النظام الاجتماعى للناس هما:

تعديل نظام اجتماعى يعانى منه الناس إلى نظام ليس فيه هذه المعاناة، أو نظام تقل فيه المعاناة.

وإحداث نظام اجتماعى منشود، أو إلغاء نظام اجتماعى واضح الضرر بالإنسان.

- والقاعدة التى لا يستطيع المنصفون أن يتجاهلوها فى هذا المجال هى: أن كل ما يحتاج فى النظام الاجتماعى إلى تعديل أو تغيير، فلابد له من نشاط وحركية وإيجابية، حتى يبلغ هدفه فى التعديل أو التغيير.

- ومما يساعد على إقبال الأفراد والأسر والجماعات على النشاط إشعارهم بأن غيرهم من الناس يشاركونهم فى هذا النشاط؛ فإن تلك المشاركة تثير الحماس وتدعو إلى الإبداع.

- ويمكن أن نطلق على الإيجابية والنشاط: «التفاعل الاجتماعى» لأنه ينشأ عن علاقات الأفراد والأسر والجماعات بعضهم ببعض، ويُحدث بينهم تشاركًا فى الرغبات والأهداف، ويدعم بينهم التعاون والتضامن والتوافق، وكل هذه العمليات الاجتماعية التفاعلية على درجة عالية من الأهمية.

● ومن المسلم به أن التربية الاجتماعية الإسلامية تدعو المسلمين جميعًا إلى الاختلاط بالناس والصبر على أذاهم -كما أوضحنا ذلك فى حديثنا عن الهدف الأول من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية- ولا تقبل منهم عذراً لكى يعتزلوا الناس إلا فى أحوال الفتنة العامة- كما أوضحنا ذلك فى الهدف الثانى من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية- ومحصلة الاختلاط بالناس ورفض اعتزالهم هى النشاط والإيجابية.

فوظيفة الأسرة المسلمة هى أن تكون إيجابية نشطة فى المجتمع الذى تعيش فيه، إذا أرادت أن تحقق تلك الأهداف النبيلة.

ووظيفتها الثانية فى تصورنا هى:

الدفاع الاجتماعى، الذى نتحدث عنه فى الصفحات التالية، والله المستعان.

* * *

ب- الدفاع الاجتماعى:

الدفاع الاجتماعى -فى مفهومه العام- هو الدفاع ضد كل الظواهر الاجتماعية الضارة بالمجتمع، إما بحرمان المجتمع من الخير، أو بإيقاع الشر به.

● وفيما يخص من يناط بهم الدفاع الاجتماعى من الناس، فإنه يناط أولاً بالحكومات، ثم بالجماعات والأسر والأفراد، يناط بهم على وجه الوجوب الشرعى، وأصل هذا الوجوب هو: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذان أوجبهما الإسلام على كل قادر على ممارستهما، كما ذكرنا ذلك آنفا، وإلا حلت اللعنة على الممتنعين عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كما لعن الله بنى إسرائيل حين امتنعوا عن ذلك.

● ففيم يكون الدفاع الاجتماعى؟

إن الدفاع الاجتماعى يجب أن يكون ضد أمور عديدة، لردها ورفضها والوقوف دونها حتى لا تصل آثارها إلى الناس، وهذه الأمور كثيرة نذكر منها:

- مقاومة كل مظاهر الشرك بالله فى المجتمع المسلم، مثل ترك الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

- ومقاومة عدم الإيمان بالغيب، وإنكار كل ما يتصل بذلك من أفكار ومقالات وما يزعم أنه إبداع أدبى أو فنى.

- ومقاومة إقصاء الدين عن حياة الناس وأنظمتهم الاجتماعية، لما فى ذلك من إزراء بالدين، واتهام له بالعجز عن حل مشكلات الحياة والناس.

- ومقاومة إهمال القيم الخلقية الإسلامية التى يكفل التمسك بها فى المجتمع؛ سلامًا ووئامًا وأمنا وطمأنينة، وهى قيم لا يختلف على فائدة التمسك بها أحد من المنصفين.

- ومقاومة الانغماس فى ممارسة الرذائل التى جرمها الإسلام وصنفها بين ما حرم الله، لما تؤدى إليه ممارسة تلك الرذائل من أضرار فى المجتمع وإفساد له وللناس، لأن الإسلام ما حرم على الناس إلا ما يلحق الضرر بهم.

- ومقاومة التيارات الفكرية والثقافية المعادية للإسلام، تلك التى يروجها أعداء الإسلام من

خارجه وبخاصة اليهود، كما يروجها بعض الغافلين من المسلمين، أو بعض الممالئين لهؤلاء الأعداء.

– ومقاومة العادات والتقاليد المخالفة لقيم الإسلام ومبادئه تلك التي يحاول أعداء الإسلام –وبخاصة اليهود– تصديرها إلى كثير من بلدان العالم الإسلامي لتحل محل الأخلاق الإسلامية، من خلال أجهزة الإعلام وما تعرضه في العالم الإسلامي من مواد إعلامية مخالفة لقيم الإسلام، ومقاومة أعداء الإسلام عمومًا من اليهود ومن بعض الغربيين الذين يتبنون صليبية حديثة، ويرون أن الإسلام والمسلمين هم أعداء اليوم بعد أن انهار أعداء الأمس بالنسبة لهم وهم ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي.

مقاومتهم بتحرير كل شبر أرض من بلاد المسلمين من نفوذهم السياسي والاقتصادي والثقافي.

– ومقاومة أعداء الأمة العربية الحريصين على تمزيق العالم العربي ومنع اتحاده أو وحدته بالضغط على بلدانه ووضع العراقيل أمامهم، وهؤلاء هم اليهود ومن يعينون اليهود من الغرب والشرق، إيمانًا ويقينًا بأن اليهود الذين اغتصبوا منا فلسطين وأقاموا فيها دولة تمثل شوكة في قلب العالم العربي، هم ألد الأعداء وأبعدهم عن الشرف في العداء، وأحرص الأعداء على استعمال الوسائل القذرة في الحرب والأسلحة المحرمة دوليًا ضد الفلسطينيين الذين جردهم العالم الممالئ لليهود من السلاح.

– ومقاومة أعداء حقوق الإنسان وحرياته في كثير من بلدان العالم الإسلامي، على اعتبار أن هذه المقاومة أهم أنواع الدفاع الاجتماعي، لأن حرمان الإنسان من حقوقه وحرياته يصيبه بالعجز عن ممارسة كل أنواع الدفاع الاجتماعي، إذ كيف يمارس الدفاع الاجتماعي في هذه المجالات التي ذكرنا من حُرم من حقوقه وحرياته؟

● **وهذا الدفاع الاجتماعي في هذه المجالات، الذي أوجبه الإسلام –كما قلنا ذلك آنفا– ينبغي أن يسعى في طريقين:**

أحدهما: طريق الوقاية.

والآخر: طريق العلاج.

● أما طريق الوقاية: فيعنى وقاية المجتمع من الجرائم -التى يتوجه الدفاع ضدها- قبل أن تقع، أى منع هذه الجرائم من الوقوع، ووسائل ذلك كثيرة تقوم بها الأسرة والجماعات والأفراد ومنها:

- التوعية والتنوير:

وذلك بالتعريف بأبعاد هذه الجرائم وآثارها المدمرة فى المجتمع، من خلال كل ما يتاح من وسائل للأسر والجماعات والأفراد، وما يتاح للحكومات من الهيمنة على المساجد والمدارس وأجهزة الإعلام ومؤسساته، لأن الجرائم لن تكون فى صالح أحد على وجه الحقيقة، حتى للمجرم نفسه، فمقاومة وقوعها واجب الحاكم والمحكوم على السواء.

وتستطيع الأسرة فى هذا المجال ما لا يستطيعه سواها، إذ هى التى تربى أبناءها على القيم الإسلامية الرافضة لكل أنواع الجرائم، لأنها جميعًا مما حرم الله تعالى.

ويستطيع المسجد أن يساند عمل الأسرة بما يمارسه القائمون عليه من خطب ودروس ومحاضرات عامة.

والعبء الأكبر فى هذا الدفاع الاجتماعى لمنع وقوع الجريمة يقع على المدرسة بمختلف مستوياتهما.

وأجهزة الإعلام ومؤسساته هى أفعل الوسائل فى هذا الدفاع الاجتماعى، إن أرادت الحكومات المسيطرة على الإعلام أن تقاوم الجرائم قبل أن تقع وتقضى على أسباب وقوعها.

- وحصار المجرمين والتضييق عليهم، بمقاطعتهم ورفض مصاحبتهم فى عمل أو مخالطتهم أو مجالستهم أو مؤاكلتهم، وهؤلاء المجرمون إما أن يكونوا ممن أجرموا مرة واحدة أو ممن يظهر عليهم استعداد لارتكاب الجريمة لانحرافهم عن القيم الإسلامية واستهتارهم بها، وهذا الحصار تمارسه ضد المجرمين الأسرُ والجماعات والأفراد والحكومات، وكل قادر عليه، وهو وسيلة دفاع اجتماعى فاعلة إلى حد كبير.

● وأما طريق العلاج: فيعنى علاج آثار الجريمة بعد أن تقع، وهو طريق أوجب الإسلام السعى فيه وجعله واجب كل قادر عليه حين قرر العدل والإحسان وإغاثة الملهوف ونجدة من استنجد، وإزالة الظلم والتعدى، وحين قرر القصاص والحدود والنفى من البلاد، وفى كل ذلك آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالإِحْسَانِ... ﴾ [النحل : ٩٠] . وقوله جل وعلا : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٩] . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣] .

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » .

وروى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » .

كل هذه النصوص توجب على المسلمين أفرادًا وأسرًا وجماعات وحكومات العمل على تلافى آثار الجريمة والتخفيف عمن وقعت عليه، وهو جزء من العلاج بكل تأكيد .

- ومن المعروف أن مقاومة وقوع الجريمة أو إزالة آثارها، إنما يكون بعد تشخيص دقيق للجريمة وأبعادها الشخصية والاجتماعية وتحليلها بالبحث عن أسبابها والآثار المترتبة عليها، حتى يكون الدفاع الاجتماعى مبنيًا على العلم والمعرفة والتحليل والتعليل، وهذا من شأنه أن ييسر على من يقومون بالدفاع الاجتماعى عملهم .

- وهناك من الدفاع الاجتماعى –فى المجالات التى ذكرناها– دفاع شخصى ذاتى، لكن له أهمية قصوى فى الدفاع الاجتماعى، هذا الدفاع الاجتماعى الشخصى يقتضى عملين جليلى الأثر هما :

– التحلى بالفضائل .

– والتخلى عن الرذائل .

- **فالتحلى بالفضائل ومكارم الأخلاق دفاع اجتماعى ضد كل انحراف عن القيم الإسلامية .**

وهذه الفضائل فى الإسلام معروفة مشهورة هى : شعب الإيمان السبع والسبعون –كما عدها البيهقى فى كتابه : « اشعب الإيمان »، والتى نذكر منها هنا : توحيد الله بالعبادة وهو أعلاها قدرًا، ثم التحلى بسائر الفضائل من عفة وصدق وأمانة ووفاء ونجدة، وصبر وتواضع،

وزهد، وعدل وإحسان وشورى، ورفق ورحمة وإصلاح بين الناس، وقول الحق والتواصى به، وأدناها: اماطة الأذى عن الطريق فهو دفاع ضد ما يلحق المسلمين من ضرر.

وغير هذه السبع والسبعين من شعب الإيمان ما لا أحصى مما دلت عليه آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة.

- والتخلى عن الرذائل ومفاسد الأخلاق، دفاع اجتماعى ضد كل رذيلة أو كبيرة أو ما حرم الله تعالى، ولقد عد الإمام الذهبى الكبائر فى سبعين كبيرة فى كتابه: «الكبائر» وأكبرها: الشرك بالله تعالى ومنها الموبقات السبع، والظلم والكذب والغش والبخل والنفاق والفساد والإفساد، وقتل النفس أى الانتحار والكبر والغصْب والإسراف، وشرب الخمر، وما لا أحصى مما زاد عدده فى القرآن الكريم على مائة وعشرين رذيلة، ومما زاد فى السنة عدده عن المئات.

وبعد: فإن الدفاع الاجتماعى من الوظائف التى ناطها الإسلام بالفرد والأسرة والجماعة والمجتمع والحكومة، وهو وسيلة من وسائل تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية.

* * *

جـ- الخدمة الاجتماعية :

وهى وظيفة ملازمة للأسرة وللجماعة، وهى من صميم عمل الحكومة، لا تملك أن تتخلى عنها إلا أن تكون ظالمة ناكصة لعهدها وميثاقها مع من تحكمهم.

والخدمة الاجتماعية - كما أوضحنا ذلك فى المصطلحات- هى مجموعة من الخدمات المهنية أو العمالية المنظمة، وغالبا ما تكون ذات صبغة وقائية من المرض أو الجهل والأمية أو الفقر، أو العجز عن العمل، أو فقده، أو لكفالة يتيم أو شيخ كبير.

وأحيانا تكون الخدمة الاجتماعية ذات صبغة علاجية كالتطبيب وتقديم الدواء وايجاد فرص العمل، ومحاربة الأمية ونحو ذلك.

- وهذه الخدمة الاجتماعية بنوعيها تؤدى إلى الناس بهدف مساعدتهم على الوصول إلى حياة إنسانية كريمة يسودها التعاطف والبر، وتفضى بالناس إلى تحقيق رغباتهم أو بعضها، وتتفق مع التطلعات المشروعة للمجتمع، فتحقق الأهداف الاجتماعية من خلال الضمان الاجتماعى أو التأمينات الاجتماعية.

- والأصل فى الخدمة الاجتماعية أن تؤدى إلى من يستحقها من الأفراد والأسر والجماعات والمؤسسات والمجتمع كله، من خلال أشخاص مهنيين فى هذا المجال أعدوا للقيام بأداء هذه الخدمات على نحو جيد، وأن تكون هذه الخدمات على المستوى اللائق بكرامة الإنسان.

- وترتبط الخدمة الاجتماعية بالوظيفة الاجتماعية ارتباط الجزء بالكل والفرع بالأصل، فكل خدمة اجتماعية تؤدَّى تحقق جانبا من الوظيفة الاجتماعية.

- كما ترتبط من جانب آخر بالتربية الاجتماعية عموما، تلك التى تعمل ما وسعها على إعداد الأفراد والأسر والجماعات بكل الوسائل المتاحة لكى يسهموا فى دفع الحاجات عن المجتمع وتنشيطه ليكون فاعلا ومؤثرا وايجابيا.

- ومما هو مقرر أن الأسرة وحدة اجتماعية، بل أهم وحدة اجتماعية على الإطلاق، ومن أجل هذه الأهمية تعتبر الأسرة مؤسسة اجتماعية صغيرة تحمل أكثر خصائص المؤسسة الاجتماعية، فهى منظمة تباشر نشاطًا يتصل بتقديم الخدمات لأفرادها، ولغير أفرادها من الناس مادامت قادرة على ذلك، وتقدم ذلك دون مقابل مادىّ أو دنيوى، وإنما لها المقابل الجزيل عند الله تعالى، وذلك خير وأبقى للذين آمنوا ويبتغون وجه الله تعالى.

● وأداء الأسرة للخدمة الاجتماعية لأفرادها فرض فرضه الله عليها إذ كلفها برعاية من تعول، أو مندوب يحب الله تعالى أن تقوم به الأسرة لغير أفرادها لرفع مستواهم، فإن كانت للإبقاء على حياة أحد فهى فرض.

فرض الإسلام ذلك من خلال نظمه وتشريعاته كما أشرنا إلى ذلك فى تشريع النفقات وتشريع الزكاة المفروضة وتشريع الصدقات المستحبة.

وقد أيدت ذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ، التى نكتفى منها ببعض ما جاء فى النفقات:

- قال الله تعالى: ﴿ ... وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ... ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

- وقال جل شأنه: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧].

- وروى مسلم بسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أعطى أحدكم خيرًا فليبدأ بنفسه وأهل بيته».

- وروى مسلم بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى».

- وروى مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ابدأ بنفسك فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل من أهلك شيء فلذى قرابتك، فإن فضل شيء من ذى قرابتك فهكذا وهكذا» أى فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك.

● هذه النفقات أوجبها الله تعالى على المنفقين نحو من يجب عليهم الإنفاق عليه، وهذه النفقات على الرغم من وجوبها شرعًا فإنها عند التأمل والتدبر خدمة اجتماعية يؤديها الولى نحو من تجب عليه ولايتهم، خدمة اجتماعية بكل خصائصها.

- ولقد وسع الإسلام دائرة النفقة فجعلها تتجاوز النفس والأهل وذوى القرابة لتصل إلى غير الأقارب، كما يفهم ذلك من قول الرسول ﷺ: «... فإن فضل شيء من ذى قرابتك فهكذا وهكذا» من جيران قريبين أو بعيدين.

إن الإسلام؛ منهجه ونظامه وتشريعاته المالية العديدة يقى المجتمع شر الحاجة، ويقدم إلى الناس الخدمة الاجتماعية دون أن يطلبوها، فضلاً عن أن يلحفوا فى طلبها.

● هذه التشريعات المالية التى عالجت حاجات المحتاجين، أسهمت بصورة مباشرة فى تحقيق فوائد عديدة منها:

– إذهاب غيظ الفقراء والمحتاجين من الأغنياء والواجدين حين يتخلون عنهم فتمتلئ قلوبهم حسداً وحقداً عليهم، وفى إزالة هذه المشاعر مرضاة لله تعالى واستقرار للمجتمع.

– وتضييق دائرة الجريمة والعدوان والسرقة ونحوها، وبالتالى تقليل عدد المجرمين فى المجتمع، وفى هذا ما فيه من رضا الله تعالى، وأمن المجتمع كله.

– وإعطاء الفرصة للمنفق ليدخر عند الله ما ينفعه فى الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « ... فمن سرَّه منكم أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه موتته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذى يحب أن يُؤْتَى إليه... ».

● وإذا كان تشريع الزكاة المفروضة فى المال والزروع والثمار والماشية ونحوها قد حدد ثمانية مصارف لهذه الزكاة هم:

الفقراء، والمساكين، والعاملون عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفى الرقاب، والغارمون، وفى سبيل الله، وابن السبيل؛ فإن التأمل فى ظروف هؤلاء الذين يجب أن تدفع إليهم الزكاة يجعل الإنسان يوقن بأن هذه الزكاة المفروضة خدمة اجتماعية، يقدمها الأغنياء لإخوانهم الفقراء.

وكذلك الشأن فى زكاة الفطر، فإنها يجوز أن تدفع لهؤلاء الثمانية الأصناف ولغيرهم، ويستحب أن تخرج زكاة الفطر قبل أن يخرج المصلى إلى صلاة العيد، فقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: من استطاع منكم أن يخرج صدقة الفطر قبل أن يخرج فليفعل، فإن الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

وروى أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرتْ عدة من مساكين أو عدة من صدقة فقال لها رسول الله ﷺ: «أعطى ولا تحصى فيُحصى عليك».

أما الصدقة فى غير الزكاة المفروضة وزكاة الفطر، فإن فيها حديثًا جامعًا يجعلها متعددة

بتعدد عظام الأصابع فى اليد والقدم وعددها ستون وتسمى «السُلامَى»[1]، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامَى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

وروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنه خُلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل.....».

وبعد: فإن الوظائف الاجتماعية للأسرة المسلمة التى ذكرنا منها ثلاثة فقط هى: النشاط الاجتماعى، والدفاع الاجتماعى، والخدمة الاجتماعية هى عند التأمل والتدبر خدمة اجتماعية مستوفية كل خصائص الخدمة الاجتماعية، وذلك معناه أن وظائف الأسرة المسلمة لا تخرج عن تقديم الخدمة الاجتماعية للناس.

أما الوسيلة الثالثة التى تسهم فى تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية فهى: توضيح القيم التى يجب أن تسود الأسرة والمجتمع المسلم بعامة.

* * *

(١) وهناك رواية سنذكرها توضح أن السلامى ثلاثمائة وستون مفصلاً.

٣ - توضيح القيم التى يجب أن تسود الأسرة المسلمة

تلك وسيلة من وسائل التربية الاجتماعية الإسلامية للأسرة المسلمة، وهى فى الوقت نفسه تسهم فى تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية، تلك الوسيلة هى توضيح القيم الإسلامية.

وإذا كان من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية العمل على استقرار القيم الإسلامية فى المجتمع، فإن هذه القيم لن تستقر إلا بتوجيه السلوك الاجتماعى عند الأفراد، وضبطه مع تلك القيم الإسلامية فى مجالَىْ ما أحل الله تعالى وما حرّم.

أ - أهم صفات القيم الإسلامية:

● تتميز القيم الاجتماعية الإسلامية بصفتين لا تفارقانها أبداً، وهما:

١ - الثبات والاستمرارية، فهى قيم جاء بها الإسلام لتتلاءم مع الزمان كله والمكان بمختلف أبعاده وتراميها، ومع الناس جميعاً من كل لون وقبيل، بل الناس معظمهم يرغبون فيها.

٢ - والعمومية، أى أنها قيم عامة صالحة دائماً لأن يتمسك بها الناس فتعود عليهم بالخير فى الدنيا والآخرة، وينفعهم التمسك بها على الدوام.

وسر هاتين الصفتين أن تلك القيم ليست من صنع الناس للناس ولكنها من صنع خالق الإنسان الذى يعلم ما توسوس به نفس الإنسان إليه، وهو سبحانه أقرب إليه من حبل الوريد.

فالقيم الاجتماعية الإسلامية لها صفة الثبات ولها صفة العموم مما يجعل الثقة فيها والتمسك بها نوعاً من طاعة الله تعالى الذى أمر بالتمسك بها.

● **ومما يعزز القيم الاجتماعية الإسلامية أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلمين مؤثرين هما:**

علم الاجتماع الدينى.

وعلم اجتماع المعرفة.

وذلك من خلال تأثير القيم على سلوك الإنسان، وتأثير هذين العلمين على سلوك الإنسان كذلك.

٣ – أما علم الاجتماع الدينى فهو تطبيق للمفاهيم وللتفكير الاجتماعى على السلوك الدينى للإنسان، كما يهتم بدراسات أخرى مثل:

– دراسة النظم الدينية المختلفة.

– ودراسة نشوء الأديان وما دخل عليها من تغيير وتطوير فى المجتمعات الإنسانية.

– والربط بين الدين الحياة.

فإذا كان موضوع علم الاجتماع الدينى هو هذه الدراسات، فإن ذلك مرتبط تمامًا بالقيم من ناحية أنها توجه السلوك الإنسانى وتضبطه وَفْقها.

٤ – وأما علم اجتماع المعرفة فهو يهتم بإيجاد العلاقات بين الأفكار والمعتقدات والقيم وبين الظروف الاجتماعية التى تظهر فيها هذه الأفكار والمفاهيم والقيم، فالقيم إذن موضوع علم اجتماع المعرفة ومرتبطة به أوثق ارتباط.

ب – عناصر أساسية فى القيم الإسلامية:

● ولكى تزداد القيم وضوحًا، نحتاج إلى الحديث عن ثلاثة عناصر، تشكل فى مجموعها صورة جيدة الدلالة شديدة الإيضاح لهذه القيم الاجتماعية الإسلامية.

وهذه العناصر الثلاثة هى:

● فاعلية القيم الاجتماعية الإسلامية فى المجتمع.

● وآثار القيم الاجتماعية الإسلامية فى المجتمع.

● ووظائف القيم الاجتماعية الإسلامية فى المجتمع.

١ – فاعلية القيم الاجتماعية الإسلامية فى المجتمع

هذه القيم الاجتماعية الإسلامية فاعلة مؤثرة فى المجتمع كله أفرادًا وأسرًا وجماعات، بل مؤثرة أثرًا إيجابيًا، وأوضح ما يكون هذا الأثر فى التوجيه والتسديد للحركة الاجتماعية من جانب، وللسياسة الاجتماعية من جانب آخر، وللتحكم فى الدوافع الاجتماعية من جانب ثالث فى أى مجتمع إنسانى.

– أما توجيه القيم للحركة الاجتماعية، فيتضح حين نعرف أن الحركة الاجتماعية هى تيَّار عام يدفع الناس إلى تنظيم صفوفهم للقيام بعمل موحد لتعديل نظام اجتماعى، أو تغييره

أو إزالته، ولا يمكن أن تتم هذه الحركة الاجتماعية إلا إن كانت هناك قيم اجتماعية تستثيرها وتحركها، لأن هذه القيم فى جوهرها هى دوافع للعمل الاجتماعى، ومحركة له، وعندما تكون هذه القيم إسلامية فإنها تحركه فى الإتجاه الصحيح، وتحيطها بسياج متين يحول بينها وبين الانحراف عن الهدف أو الانجراف فى الصوارف عن الهدف.

وذلك أن القيم الاجتماعية الإسلامية التى هى من صنع الله تعالى ومن اختياره لعباده المؤمنين، لا تسمح لأحد من المسلمين بأن يعطل التمسك بها فضلاً عن أن يتجاهلها أو ينكرها، وإلا فإنه لا يعد من المؤمنين المسلمين.

- وأما أن القيم الإسلامية توجه السياسة الاجتماعية، فيتضح ذلك عندما نعرف أن السياسة الاجتماعية هى نتيجة للتفكير العميق المنظم البعيد عن الأهواء والتعصب، كما أنها نتيجة للتخطيط الدقيق المدروس البعيد تماماً عن النظرة الضيقة والتعجل، ونتيجة للبرامج الاجتماعية الموضوعة بعد التفكير العميق والتخطيط الدقيق.

والسياسة الاجتماعية لابد أن تضع فى اعتبارها - مع التفكير والتخطيط والبرمجة - أنها ذات شقَّين، أحدهما:

سياسة مرحلية تعالج مشكلات بعينها فى حيز زمنى بعينه أو مكان بعينه.

وسياسة عامة تضع فى حسبانها كل المتغيرات فى الزمان والمكان والناس وتعالج مشكلاتها.

- وهذه السياسة الاجتماعية بنوعيها المرحلى والعام إنما توجهها وتحركها القيم السائدة فى المجتمع، ثم تؤثر هى فى العلاقات السائدة بين الأفراد فيما بينهم، وبين أفراد الأسرة، وبين أفراد الأسرة والأسر الأخرى والجماعات والجمعيات والمؤسسات فى المجتمع كله.

- وأما أن القيم الإسلامية الاجتماعية هى التى تحكم الدوافع الاجتماعية فتسلكها فى الطريق القويم، فذلك بسبب أن الدوافع الاجتماعية إنما تصدر عن التفاعل الاجتماعى والثقافى من خلال الاتجاهات والقيم الاجتماعية، فهى متأثرة بهذه القيم أو خاضعة لها أو محكومة بها.

والقيم الاجتماعية الإسلامية قيم جاءت عن طريق الوحى الكريم من كتاب وسنة، ولذلك فهى تملك سلطة الأمر والنهى، وسلطة المضى والتوقف، لأنها فى جوهرها هى ما أَحَلَّ الله تعالى وما حرّم.

القيم الاجتماعية الإسلامية تحكم الدوافع الاجتماعية على مستوى الأفراد والأسر والجماعات والجمعيات والمؤسسات والحكومات فى أى بلد مسلم.

٢ - آثار القيم الاجتماعية الإسلامية

على قدر فاعلية القيم الاجتماعية الإسلامية فى المجتمع تكون آثارها الإيجابية فيه، وهى آثار عديدة وعميقة وبالغة التأثير نذكر بعضها فى هذه الصفحات، أما سائرها فسوف يتضح بمضى القارئ فى قراءة هذا الكتاب، ومن هذه الآثار:

- إحداث التوازن الاجتماعى فى المجتمع:

فإذا كان التوازن الاجتماعى يكون بين مجموعة من الظواهر الاجتماعية المتصل بعضها ببعض، سواء أكان هذا التوازن ظاهريًا أو كامنًا، فإنه لا يحدث إلا مرتبطًا بالقيم الاجتماعية السائدة فى المجتمع، متأثراً بها ومعبراً عنها، وذلك معناه أن الارتباط وثيق بين القيم الاجتماعية والتوازن الاجتماعى.

والتوازن الاجتماعى يعنى التوازن بين الظواهر الاجتماعية من: التفكير والمشاعر وأنواع العمل العديدة التى تسود مجتمعًا مًا، بحيث يجد الأفراد أنفسهم فى هذا المجتمع راغبين فى اتباع تلك الظواهر ومشاركين فيها برغباتهم الخاصة أو بقوة القانون الذى يحكمهم، ويملك إجبارهم على اتباعها والمشاركة فيها والرضا عنها، بوصفها فى صالحهم.

- وإحداث الصحة الاجتماعية فى المجتمع:

تؤثر القيم الاجتماعية الإسلامية فى الصحة الاجتماعية عمومًا، أى بمعنييها العام والخاص.

فالصحة الاجتماعية بمعناها العام تطلق على كل المشكلات التى تتصل بالسلوك الجنسى للإنسان فى حياته، وعلاقته بالجنس الآخر أيا كان نوع هذه العلاقة ما دام بعيداً عن الأمراض التناسلية.

والصحة الاجتماعية بمعناها الخاص أو الضيق تطلق على معنى الرقابة على الأمراض التناسلية المعدية، وهى أمراض مُعدية معروفة كالزهرى والسيلان وغيرهما، وقد أضيف إلى هذه الأمراض مرض خطير هو: فقد المناعة المكتسب «الإيدز».

فالصحة الاجتماعية هى صحة المجتمع فى هذا الجانب المتصل بالحياة الإنسانية الجنسية.

والقيم الإسلامية هى التى توجه هذه الصحة الاجتماعية وتحول بين الإنسان وبين التردى فى أى مرض من أمراض الخلل الجنسى أو الانحراف عن الفطرة التى فطر الله الناس عليها فى هذا المجال.

- وضبط السلوك الاجتماعى فى المجتمع كله:

السلوك الاجتماعى هو السلوك الذى يمارسه الفرد فى تعامله وتفاعله مع فرد آخر أو جماعة أو المجتمع نفسه، وهذا السلوك يتأثر بشكل مباشر بالقيم الإسلامية السائدة فى المجتمع، لأن هذه القيم عامة وشاملة لكل أنماط السلوك الإنسانى، وتحكم هذه الأنماط بوجوب الامتناع عما حرَّمه الله تعالى، بل ليس من المبالغة القول بأن هذه القيم هى الحاكم الحقيقى للسلوك الاجتماعى دون حاجة إلى من يتابع ويعاقب على الإخلال بالسلوك الاجتماعى، إذ إن هذه القيم الإسلامية لها فى نفوس المسلمين تقدير واحترام ورغبة فى الاستجابة لما تأمر به أو تنهى عنه دون خوف من متابعة أو رقابة.

- وتحقيق العدالة الاجتماعية فى المجتمع:

هذه القيم الإسلامية عند الالتزام بأمرها ونهيها تحقق العدالة الاجتماعية؛ لأن العدالة الاجتماعية تعنى تعاون الأفراد أو الجماعات فى مجتمع مّا على أن يحصل كل فرد فى المجتمع على فرصة متساوية مع غيره مثل: فرص التعليم والرعاية الصحية والعمل وسائر أنواع التأمين الاجتماعى.

وكل ذلك لا يتم إلا إذا حرَّكت الناس إليه قيم ثابتة مستقرة ومرغوبة من الناس جميعًا، وليس ذلك متوافرا إلا فى القيم الإسلامية الاجتماعية.

- وتحقيق النضج الاجتماعى فى المجتمع:

وذلك أن النضج الاجتماعى هو درجة تعكس اتجاهات الفرد واستقراره العاطفى والعقلى، ومدى قدرته على التكيف مع البيئة التى يعيش فيها.

وهذا النضج الاجتماعى يتأثر تأثرًا قويًا بالقيم السائدة فى المجتمع، والقيم الإسلامية السائدة فى المجتمع المسلم وهى تحدد للفرد كل أنماط سلوكه وتحكمها بميزان الحلال والحرام، وهذا بدوره يؤدى إلى نضج السلوك الفردى أولاً ثم إلى النضج الاجتماعى تبعًا لذلك.

وبعد: فهذه آثار خمسة للقيم الإسلامية الاجتماعية فى المجتمع، يمكن أن تنضم إليها آثار أخرى كثيرة عند التوفر على التحليل الاجتماعى وتفصيلاته.

٣ - وظائف القيم الإسلامية الاجتماعية

أوضحنا فيما سلف فاعليات القيم الاجتماعية الإسلامية فى المجتمع ثم تحدثنا عن آثارها في الحياة الاجتماعية عمومًا.

ونحاول هنا أن نوضح الوظائف العامة لهذه القيم، لكى يتكامل الحديث عن القيم الإسلامية الاجتماعية.

وهذه الوظائف فى تصورنا وبعد البحث والتأنى، ثلاثة هى:

- بيان الحقوق والواجبات الاجتماعية.
- وتحديد المسئولية الاجتماعية.
- وتحديد أنواع النشاط الاجتماعى.

وهذه الوظائف منوطة بالقيم الإسلامية بشكل أساسى رئيس لأن القيم السائدة فى المجتمع تعرف من خلال سيادتها والالتزام بها ما الحقوق والواجبات فى الحياة الاجتماعية، فإذا اتضحت ظهرت الحاجة إلى تحديد المسئولية الاجتماعية إزاء الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع كله، إذ بغير تحديد هذه المسئولية يختلط الحابل بالنابل، وتذوب المسئولية بين منكر لها ومدَّعٍ أنها ليست واجبة وإنما هى كمالية - مثلاً - وآخر يحملها عن سواه، وكل هذه التصورات للمسئولية فيها قصور أو خطأ على نحو ما سنبين، وإذا تحددت المسئولية الاجتماعية بالنسبة لأفراد المجتمع وجماعاته، يبقى أمام الناس تساؤل هو: فى أى أنواع النشاط الاجتماعى نؤدى ما علينا من مسئوليات؟

وذلك ما سنوضحه بعون من الله وتوفيق فى الصفحات التالية.

أولاً: بيان الحقوق والواجبات:

الأصل فى الحقوق والواجبات أن ينص عليها قانون، وأن تفصلها لوائح وتفسيرات، وقد تضمنت آيات القرآن وكلمات السنة النبوية كثيراً من هذه الحقوق والواجبات على كل مستوى من مستويات أصحاب الحقوق ومن يجب عليهم أداء الواجبات.

● ولأن كثيراً من المسلمين ليسوا مؤهلين علمياً لأن يعرفوا هذه الحقوق والواجبات، كان التطبيق العملى لممارسة هذه الحقوق وأداء هذه الواجبات على أيدى الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعيهم وأهل القرون الثلاثة الأولى خير القرون ومن جاء بعدهم من صالحى المؤمنين، كان هذا التطبيق فى جوهره ومضمونه إعلاءً للقيم التى تمثلت فى تطبيقها الحقوق والواجبات.

وعلى سبيل المثال فإن الله تعالى أمر بالعدل وبأداء الأمانات إلى أهلها وبالصدق وبالرحمة والإغاثة والعفة ونحو ذلك مما هو حق يجب أن يكفله نظام الحكم لكل الناس، وجاء المسلمون فطبقوا هذه الأوامر التى أمر الله بها وانتهوا عما نهى الله عنه، أصبح ذلك منهم يمثل قيمة سادت فى المجتمع كقيمة العدل وقيمة أداء الأمانات إلى أهلها وقيمة الصدق وقيمة الرحمة وقيمة الإغاثة وقيمة العفة ونحو ذلك من القيم، والقيم فى الإسلام نماذج وأمثلة لما أمر الله تعالى به من خير ولما نهى عنه من شر.

* وكان من السهل على الناس أن يعرفوا حقوقهم وواجباتهم من خلال تمثلهم بهذه القيم واحترامها والالتزام بها، ولم يعد فهم الأوامر والنواهى الإلهية مقصوراً على الأخذ من آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة؛ لأن ذلك ليس فى إمكان سائر المسلمين، وإنما أصبح عمل الصحابة رضى الله عنهم وعمل التابعين بل عمل أهل المدينة - كما رأى ذلك الإمام مالك صاحب المذهب رحمه الله - هو المأخذ الأيسر الذى يأخذ منه سائر المسلمين، مع الأخذ من الكتاب والسنة لمن استطاع.

● ومجمل الحقوق التى كفلها الإسلام للإنسان هى:

- حقه فى الحياة بل الحياة الكريمة.

- وحقه فى أسرة ترعاه حتى يستغنى عنها.

- وحقه فى اختيار الدين الذى يتدين به.

- وحقه فى العمل وفى الكسب وفى الإنفاق والادخار.

- وحقه فى ممارسة حرياته جميعًا - وهى باب واسع -.

- وحقه فى التعليم.

- وحقه فى الرعاية الصحية.

- وحقه فى أن تؤمنه الحكومة ضد العجز والمرض والشيخوخة والبطالة، والفقر.

- وحقه فى العدالة الاجتماعية.

- وحقه فى المشاركة فى تربية أبنائه، وغير ذلك من الحقوق التى يحتاج تفصيلها إلى مئات الصفحات.

● ولو شئنا أن نستشهد على هذه الحقوق بآيات القرآن الكريم أو بأحاديث للنبى ﷺ وسيرته لهالنا كثرة ذلك ولعجزنا أن نرصده فى كتاب كهذا.

غير أننا نكتفى ببعض الشواهد من الكتاب والسنة ثم نحيل على القيم التى سادت فى مجتمع الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وصالحى المؤمنين.

● ففى حق الإنسان فى أسرة ترعاه وتنفق عليه:

- قال الله تعالى: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ...** ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...** ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقال جل شأنه: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٣١]. وقال عز وجل: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ** ﴾ [النساء: ١١].

فهذه الآيات الكريمة تقرر للأولاد حقوقهم فى الرضاعة والحضانة والرعاية والإنفاق عليهم، وتقرر لهم حقًا فى ميراثهم من ذويهم لكى يستطيعوا استئناف حياتهم بعد موت مورثهم.

- روى ابن عساكر(١) بسنده عن النبى ﷺ قال: «إنّ من كان فى مصرٍ من الأمصار يسعى على عياله فى عسرة أو يسرة، جاء يوم القيامة مع النبيين، أما إنى لا أقول يمشى معهم، ولكن فى منزلتهم».

- وروى الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «زوجوا أبناءكم وبناتكم، حلوهن بالذهب والفضة، وأجيدوا لهن الكسوة، وأحسنوا إليهن بالنحلة ليرغب فيهن».

- وروى الطبرانى - فى الكبير - بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ساووا بين أولادكم فى العطية فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء».

- وروى الطبرانى - فى الصغير - بسنده عن أبى رافع رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «كيف بك يا أبا رافع إذا افتقرت»؟ قال: أفلا أتقدم فى ذلك؟ قال: «بلى، ما مالك»؟ قال: أربعون ألفًا وهى لله، قال: «لا، أعط بعضًا وأمسك بعضًا وأصلح إلى ولدك» قال: أو لهم علينا حق كما لنا عليهم؟ قال: «نعم، حق الولد على الوالد أن يعلمه كتاب الله والرمى والسباحة وأن يورثه طيبًا».

- وروى الديلمى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويزوجه إذا أدرك، ويعلمه الكتاب».

● وفى حق الأسرة على المجتمع أو الحكومة، قرر الإسلام للأسرة حقوقًا على الحكومة تفهم من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [النساء: ٥٨].

فالواجبات فى هذه الآية الكريمة نوعان كبيران يتفرع عنهما كل واجب آخر:

أحدهما: أداء الأمانات إلى أهلها: وهو عام يشمل كل مخاطب، وأهل الأمانات هم سائر الناس مستحقوا الأمانات.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: المخاطب بهذه الآية هم ولاة الأمور - الحكام وكل من يلى أمرًا.

---

(١) هو على بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ابن عساكر الدمشقى (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) مؤرخ حافظ للسنة رحالة، كان محدث الديار الشامية. له تاريخ دمشق الكبير، وكشف المغطى فى فضل الموطا، وغيرهما.

والآخر: هو العدل، ويتناول:

تعيين الحقوق لأصحابها.

وتمكين كل ذى حق من حقه دون تأخير.

أى المساواة فى إحقاق الحق واستحقاقه، وفى وسائل تمكين أصحاب الحقوق من حقوقهم.

- ومن خلال أداء الأمانات إلى أهلها وإقامة العدل يحصل الناس أفرادًا وأُسَرًا وجماعات على الأمن والاستقرار فى حياتهم، والأمن مطلب أساسى للناس كلهم، بل هو هدف إنسانى كبير جاءت به آيات كثيرة من القرآن الكريم وأحاديث نبوية كثيرة، وهو من القيم الإسلامية العظمى - وإن كان مفقودًا فى ظل معظم النظم السياسية الشمولية المستبدة بالسلطة -!!!

- وأداء الأمانات إلى أهلها وإقامة العدل مسئولية اجتماعية على كل حاكم تضاف إلى مسئولياته الأخرى، إذ عليه - بناء على هذه المسئولية - أن يؤمِّن للناس حقوقهم فى التعليم والرعاية الصحية وفرص العمل وتأمينهم ضد العجز عن العمل وفقده والشيخوخة وغيرها من أنواع التأمين الاجتماعى.

وبعد: فهذه إحدى وظائف القيم الاجتماعية الإسلامية وهى بيان حقوق الناس وواجباتهم.

غير أن هذه الحقوق والواجبات لا تتضح بصورة أكبر وأعمق وأشمل إلا إذا حددت المسئولية الاجتماعية من خلال هذه القيم السائدة فى المجتمع المسلم.

وتلك هى الوظيفة الثانية للقيم.

* * *

ثانيًا : تحديد المسئولية الاجتماعية

تحديد المسئولية الاجتماعية، ييسّر أداء الوظائف الاجتماعية العديدة المنوطة بالأفراد والأسر والجماعات والمجتمع كله.

وهذه الوظائف الاجتماعية – كما أسلفنا – سلسلة من الخدمات الاجتماعية التى تقوم بها الأسرة أو الجماعة المنظمة أو الحكومة فى المجتمع لصالح أعضائه.

وهذه الخدمات تميل إلى التخصص بحيث تتنوع إلى تعليم ورعاية صحية، ودفع الحاجات عن المحتاجين، والدفاع ضد الجريمة ونحَو ذلك مما أوضحناه آنفًا.

● ومن خلال القيم السائدة فى المجتمع يمكننا أن نحدد المسئولية الاجتماعية، وأن نحدد بدقة اتصالها الوثيق بعدد من العوامل التى تعززها، وتلزم بها، ومن هذه العوامل :

– **الارتباط الوثيق بين الحقوق والواجبات :**

والأصل أن كل ممارسة لحق لابد أن يقابلها أداء واجب، وليس من المعقول أن يمارس أحد حقوقه ويمتنع عن أداء واجباته، أو أن يؤدى أحد واجباته ويحرم من حقوقه.

– **وتبادل الحقوق والواجبات بين الناس حكامًا ومحكومين :**

وذلك أن النمط المستقر من العلاقات الاجتماعية وسائر الأنشطة داخل الأسرة أو الجماعة أو المجتمع أو الحكومة يقوم على المفاهيم المشتركة التى تستهدف تنظيم هذه العلاقات والأنشطة الاجتماعية، وتحقيق الأغراض الاجتماعية التى ينشدها المجتمع الإنسانى عمومًا.

– **وقوانين للجزاء :**

وهذه القوانين تشمل كل ما ييسر معرفة الحقوق وممارستها، وعقاب كل من يهمل أو يقصر فى أداء واجبه، وتلك القوانين أساس فى تحديد المسئولية الاجتماعية وفى الإلزام بها والمحافظة عليها بصفة مستمرة.

– **وسلطة تكفل تطبيق القوانين :**

وهذه السلطة هى الحكومة العادلة أولاً، ثم هى أى جماعة تمثل ضغطًا معنويًا أو ماديًا فى المجتمع، ثم هى الأسرة بما تملك من سلطة على أفرادها.

- **وسياسة اجتماعية :**

إذ لا يعين على تحديد المسئولية الاجتماعية مثل : سياسة اجتماعية تقوم على التخطيط العلمى الذى يتضمن برامج اجتماعية ذات مراحل، قد أحسن توزيعها على الزمان والمكان اللذين تطبق فيهما هذه البرامج.

● والمسئولية الاجتماعية فى الإسلام تربط بين الحق والواجب وتلزم بتبادلهما بين الناس وتضع لهما قانون الجزاء وتجعل الإلزام بهما من واجب الحكام وولاة الأمور وتضع لهما سياسة اجتماعية راشدة.

ومصدر الحقوق والواجبات فى الإسلام من حيث توضيحهما والإلزام بهما هو : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

- **فمن آيات القرآن الكريم الدالة على ذلك :**

قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨].

وقوله تعالى : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ** ﴾ [النجم : ٣٩ - ٤٢].

وقوله تعالى : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾ [المؤمنون : ١١٥، ١١٦].

وقوله جل وعلا : ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى...** ﴾ [القيامة : ٣٦].

وخلاصة ما تدل عليه هذه الآيات فى مجال المسئولية الاجتماعية أن كل إنسان له مسئوليته الاجتماعية فى حدود مكانته وقدرته، وانه لا يوجد فى النظام الإسلامى أحد لا يتحمل مسئولية إلا أن يكون فاقداً للأهلية مطلقاً أو مؤقتاً.

- **ومن الأحاديث النبوية الدالة على تلك المسئولية الاجتماعية :**

روى النسائى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيَّعه، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته ».**

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهل بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يسأله : ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره، فإذا لَقَّن اللهُ العبدَ حجته؛ قال : يا رب رجوتك وفَرِقتُ الناس » أى خفتهم .

ومجمل ما تدل عليه هذه الأحاديث النبوية الشريفة أنه لا أحد فى الإسلام بغير مسئولية، وأن كل أحد يقصر فى مسئوليته محاسب عند الله يوم القيامة . . .

● وللمسئولية الاجتماعية فى الإسلام أهداف :

وهى أهداف كثيرة تفصيلية، لكن يجمعها كلها هدفان كبيران هما :

- إحداث الوئام الاجتماعى بين الناس عمومًا؛ الوئام الحقيقى الذى يعمل الناس من أجل تحقيقه استجابة منهم لأمر الله تعالى ونهيه؛ الوئام الذى من شأنه أن يؤدى إلى العدل الاجتماعى .

- والمحافظة على هذا الوئام الاجتماعى الذى أدى إلى العدل الاجتماعى، لكى يستمر الوئام، وإنما يكون ذلك بالدفاع الاجتماعى - الذى تحدثنا عنه فى المصطلحات - والذى يتلخص فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

● وللمسئولية الاجتماعية فى الإسلام خصائص :

وهى خصائص تميزها عن سواها وتجعلها متفردة بل متميزة، ومن هذه الخصائص :

- أنها تأخذ فى اعتبارها صالح الدنيا والآخرة أى الدنيا والدين بالنسبة للفرد والأسرة والمجتمع والدولة، فى حين أن معظم الفلسفات والنظم الاجتماعية لا تلقى بالاً للدين أو للآخرة لأنها فى الغالب لا تؤمن بهما، أو تؤمن بهما ولكنها تهملهما .

- وأنها توازن بين صالح الفرد وصالح المجتمع وتسعى لتحقيقهما معًا، فى حين نجد الأنظمة الاجتماعية الأخرى إما تغلب صالح الفرد على صالح المجتمع - كما هو معتاد فى النظم

الرأسمالية - أو تغلب صالح الدولة على صالح الفرد - كما هو معتاد فى النظم الشمولية المستبدة بالسلطة، وكما كان متبعًا فى الأنظمة الشيوعية أو الاشتراكية.

- وأنها تقوم على التوسط والاعتدال والقصد:

أى أن المسئولية الاجتماعية فى الإسلام لا تعترف بالإفراط ولا التفريط، فلا تميل إلى الغالب والقوى والغنى ضد المغلوب والضعيف والفقير، فالمشاهد اليوم عدم التوسط أو الاعتدال وإنما هو ميل بل تأييد للغالب ضد المغلوب ما دام الغالب قويًا غنيًا، كما تفعل هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها فى معظم القضايا التى تطرح عليها طمعًا فى العدل والإنصاف، وبحسب هذه المنظمات الدولية سبَّةً وعارًا أنها تعطى حق الاعتراض على أى قرار للدول الكبرى ذات القوة والمال والنفوذ، وتطحن الدول الصغرى الفقيرة لصالح الدول الكبرى كما هو مشاهد وملموس مهما ادعوا غير ذلك.

- وأنها تقوم على المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات:

وتلك من خصائص المسئولية الاجتماعية فى الإسلام، انطلاقًا من مبادئ الإسلام الراسخة فى المساواة، ويؤيد ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء: ١].

فوحدة الأصل تقتضى المساواة بين أفراد هذا الأصل وفروعه.

وروى البيهقى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: إنى جعلت نسبا وجعلتم نسبا، فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم إلا أن تقولوا: فلان بن فلان، وأنا اليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم، أين المتقون؟**».

وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد أذهب عنكم عبيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقى وفاجر شقى، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليَدَعَنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها النتن**».

وبعد: فهذه هى المسئولية الاجتماعية فى الإسلام، كما ينبغى أن تعبر عن القيم الإسلامية السائدة فى المجتمع المسلم اتضحت أبعادها، كما اتضحت أبعاد الحقوق والواجبات من قبل، وهاتان وظيفتان من وظائف القيم الإسلامية فى المجتمع.

ويبقى أن نوضح الوظيفة الثالثة للقيم الإسلامية ونبين أبعادها، وهى: تحديد أنواع النشاط الاجتماعى فى المجتمع المسلم.

وهذا ما سنتحدث عنه فى الصفحات التالية والله المستعان.

* * *

ثالثًا: تحديد أنواع النشاط الاجتماعى

وهذا التحديد؛ من وظائف القيم الاجتماعية الإسلامية، إذ لا ينبغى أن يترك النشاط الاجتماعى لأهواء الناس ورغباتهم الشخصية التى تتضارب بالقطع مع رغبات غيرهم، فيكون الصراع والتعادى.

هذا النشاط الاجتماعى الذى يقوم به الفرد أو الأسرة أو الجماعة أو المجتمع أو الحكومة لابد أن تحدده القيم وأن تحكمه، لأنها حاكمة آمرة بما يجب أن يكون عليه المجتمع من نشاط.

- والنشاط الاجتماعى - كما أوضحنا فى المصطلحات - هو الأعمال التعاونية التى يقوم بها الناس مجتمعين أو متفرقين، باذلين من أجل القيام بها ما يستطيعون من جهد ووقت ومال.

- وأنواع النشاط الاجتماعى فى الإسلام كثيرة يضمها جميعًا مفهوم العمل الصالح الذى هو ترجمة عملية للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، إذ لا إيمان بغير عمل صالح كما يفهم ذلك من عشرات الآيات القرآنية التى قرنت بين الإيمان والعمل الصالح.

- وهذا العمل الصالح شعب كثيرة ربما لم تكن متناهية فى العدد ومحاولة الإحصاء، إذ منها - مثلاً - القعود عن ممارسة أى شر أو باطل أو منهى عنه، وهذا باب واسع لا حدود له، ومنها - مثلاً - ممارسة الخير والحق وما أمر الله به وهو باب واسع أيضًا.

وقد جاء فى الحديث الشريف أن أبسط الأعمال الصالحة وأقلها كلفة للمؤمن هو: إماطة الأذى عن طريق المسلمين، وأعلاها درجة قول لا إله إلا الله والعمل بها، وما أكثر ما بين هذين الحدَّيْن الأدنى والأعلى، إذ يدخل بينهما كل ما فرضه الله على عباده وكل ما ندبهم إليه، ويدخل فيه اجتناب كل ما حرَّم الله على عباده أو كرَّه فيه، على مستوى المجتمع كله حكامًا ومحكومين.

- والعمل الصالح المعبر عن النشاط الاجتماعى فى الإسلام على المستوى الشخصى أو الفردى، يتناول بابين كبيرين كذلك هما:

التَّحَلِّى بكل فضيلة قررها الإسلام، وما أكثر الفضائل فى الإسلام إذ هى عند التحليل كل عمل يعود بالخير على صاحبه أو على غيره من الناس، أى جلب المصالح الدنيوية والآخروية.

والتَّخَلِّى عن كل رذيلة قرر الإسلام أنها رذيلة، وما أكثر هذه الرذائل أيضًا، لأنها عند التحليل والتدقيق كل عمل يعود على صاحبه بالشر أو على غيره من الناس، أى دفع المفاسد والمضار الدنيوية والآخروية.

*** وللنشاط الاجتماعى الإسلامى احتياجات منها:**

- السلوك الاجتماعى الناتج عن التفاعل والارتباط الذى يقوم بين فرد وآخر أو فرد وجماعة أو مجتمع أو الدولة نفسها، أو تقوم به أسرة أو جماعة مع نظائرها من الجماعات والأسر أو يقوم به مجتمع مع مجتمع آخر، فى المواقف الاجتماعية التى تحتاج إلى الترابط والتعاون والتفاعل، وهى مواقف لا يجدى فيها العمل الفردى فى أغلب الأحيان.

*** وللنشاط الاجتماعى أهداف عديدة منها:**

- وضع التدابير الاجتماعية اللازمة للوصول إلى تحسين المعيشة وتحسين ظروفها بالنسبة للناس عمومًا، ولا يتأتَّى ذلك إلا بتوحيد أنواع النشاط الاجتماعى.

وربما يحتاج ذلك إلى مثال نسوقه، وهو:

القيام بحملات للنظافة فى حى من الأحياء السكنية.

والقيام بحملات زراعة الأشجار.

والقيام بجلب المياه الصالحة للشرب للمحرومين منها.

وتأمين الأطعمة أو الملابس أو الأدوية لمن ألمت بهم إحدى الكوارث.

والإسهام فى بناء المساجد والمدارس والكتاتيب ونحوها، لمن حرموا منها.

- ومقاومة الانحرافات الاجتماعية عن القيم والمعايير فى المجتمع وهو ما يسمى بالانحطاط الاجتماعى، الذى قد يطرأ على طوائف من المجتمع نتيجة لحملات مضادة للقيم الإسلامية يقوم بها الأعداء.

عندئذ يصبح النشاط الاجتماعى والتفاعل والترابط بين الناس هو القادر على مواجهة

هذا الانحطاط الاجتماعى، وردّ الناس إلى القيم الإسلامية التى يجب أن تسود المجتمع المسلم.

- وهدف ثالث هو تقديم الخدمات الاجتماعية التى توثق العلاقات الطيبة بين الناس وتزيل ما بينهم من خلافات وخصومات إذ لا يتم ذلك إلا بتضافر جهود أهل الخير، وتوحيد نشاطهم وتوجيهه فى هذا الاتجاه.

والإسلام يحرص كل الحرص على الإصلاح بين الناس عموما وبين المتخاصمين أو المختلفين على وجه الخصوص، فقد قال الله تعالى: ﴿ ...فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١]

وقال جل شانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال عز وجل: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

وروى البخارى بسنده عن أم كلثوم بنت عقبة رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً».

- وكل أنواع النشاط الاجتماعى يجب أن تؤدى إلى التعاون والتناصر والتآزر بين المسلمين، وهذا بدوره يؤدى إلى التضامن والتكافل بينهم.

ووظيفة القيم الاجتماعية إذن هى تحديد أنواع النشاط الاجتماعى، وتوضيح أبعادها للناس وتشجيعهم على القيام بها، أو إلزامهم بها فى بعض الأحيان.

وبعد: فتلك إحدى الوسائل التى تحقق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية وهى وسيلة توضيح القيم التى يجب أن تسود الأسرة المسلمة أى المجتمع المسلم، وقد أوضحنا فيها أهم صفات هذه القيم وأبرز عناصرها الأساسية ووظائفها فى المجتمع المسلم.

وإلى الحديث عن الوسيلة الرابعة من وسائل تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية وهى: وجوب التضامن والتماسك فى الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم.

* * *

٤- وجوب التضامن والتماسك فى الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم

من وسائل التربية الاجتماعية الإسلامية للأسرة وللمجتمع المسلم من أجل تحقيق أهدافها السبعة - التى ذكرنا فى الباب الأول من هذا الكتاب - أن تكون التشريعات الإسلامية والنظم والقيم موجبة على الأسرة والمجتمع التضامن فيما بينهم لإصلاح شئونهم فى الدنيا والآخرة، وموجبة للتماسك فيما بينهم لدفع عدوهم ودرء المفاسد عنهم.

ولقد أكدنا فى هذا الكتاب وفى غيره من كتبنا أن الإسلام يقيم أكبر وزن للأسرة باعتبارين:

أحدهما: أنها المحضن الطبيعى لأبناء الأمة الإسلامية الذين يتلقون فيه التنشئة والتربية التى تجعل منهم مؤمنين صالحين ومؤمنات صالحات .

والآخر: أنها اللبنة القوية التى يقوم عليها بناء المجتمع المسلم.

● ولا يعترف الإسلام بأى بديل عن الأسرة فى رعاية الأبناء وحسن تنشئتهم إلا لضرورة ملحة أو ظروف طارئة.

- وعندما يوصى الإسلام باليتيم ويعلن إعظام الأجر لكافله فإنه يرى رعايته فى ظل الأسرة لتعوضه ما فقده، فينشأ فى ظروف نفسية واجتماعية صحيحة.

- وعندما يوجب الإسلام على الرجل النفقة على زوجته وأبنائه ومن فى رعايته، فإنه بذلك الوجوب يعزز بقاء الأسرة وفاعليتها، وقدرتها على العطاء.

- وعندما يبشر الإسلام من يرعى ابنته أو ابنتيه أو بناته أو أخواته بالجنة، فإنه بهذه البشارة يعلى من شأن الأسرة، ومن شأن من يرعاها.

● والتضامن بين أفراد الأسرة أو بينها وبين غيرها من الأسر أو بينها وبين المجتمع يعنى أموراً على جانب كبير من الأهمية الاجتماعية منها أنه:

- يعنى مشاركة الفرد لأسرته فى المسئولية فى حدود طاقته.

- ويعنى تقسيم العمل بين أفراد الأسرة بعدالة .

- ويعنى تجانس الأفراد والأسرة فى التمسك بالقيم الإسلامية.

- ويعنى أن تسيطر على الأسرة روح الفريق.

وذلك أن تضامن الفرد مع الأسرة أو مع الجماعة أو مع المجتمع أو مع الدولة - الحكومة - هدف من أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية مادام تعاونا على البر والتقوى، ونوعا من التواد والتراحم والعون وقضاء الحاجات، وكل ذلك واجب شرعى دلت عليه عشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

● والتماسك فى الأسرة والمجتمع يعنى كذلك أموراً على قدر من الأهمية نشير إلى بعضها فيما يلى:

- يعنى أن يكون الأفراد والأسر والجماعات والمجتمع كله كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحُمَّى أى تسودهم المودة والرحمة والتعاطف.

- ويعنى أن يكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضا، أى يتناصرون ويتآزرون أمام كل شدة وإزاء كل خوف محدق بهم، لا يدخرون وسعا فى دفاع بعضهم عن بعض.

● وذلك أن التماسك مع التضامن من شأنهما تعزيز القدرة الاجتماعية للأفراد والأسر والجماعات والمجتمع كله، وهذا التعزيز للقدرة الاجتماعية مطلب إسلامى لأنه حسن تعامل وحسن تفاعل وتعاون فى المواقف التى تلم بالمسلمين، وقدرة على التغلب على المشكلات الاجتماعية من خلال المجهودات الجماعية التى يبذلونها من أجل الوصول إلى التقدم الاجتماعى.

- ومن شأن التضامن والتماسك الاجتماعيين المساعدة على الضبط الاجتماعى، لأن هذا الضبط الاجتماعى يحتاج إلى رقابة على سلوك الأفراد للتأكد من أنهم يتصرفون وفق القيم الإسلامية السائدة فى المجتمع، وهذا فى ذاته عمل حيوى شرعه الإسلام وطالب به وهو يأمر المسلمين جميعاً بأن ينهوا عن المنكر.

- ومن شأن التضامن والتماسك الاجتماعيين مقاومة التباعد الاجتماعى، وهذا التباعد آفة تؤدى إلى الانحراف والجنوح والصراع وقد يفضى إلى الجريمة، فضلا عن أنه يمنع التفاهم والتعاطف والألفة والأخوة التى أوجبها الإسلام بين المسلمين.

- ومن شأنهما القضاء على القلق الاجتماعى بنوعيه المحدَّد وغير المحدَّد، وما يؤدى إليه ذلك من اضطراب فى العلاقات بين الناس وتفكك فى المجتمع، وهذا القلق غالباً ما يؤدى إلى الاكتئاب والإحباط، والإسلام فى تشريعاته ونهجه يقاوم الاكتئاب والإحباط ويصنفه

سخطاً على القضاء والقدر، أى دخولاً فى الإثم والمعصية لله وزعزعة للإيمان بالقدر خيره وشره.

– ومن شأن التضامن والتماسك بين المسلمين الإعلاء من شأن القيم الإسلامية فى المجتمع، ومن أبرزها فى هذا المجال:

● المحافظة على كرامة الإنسان وتكريم الله تعالى له.

● واحترام حرمته أى حرمة دمه وماله وعرضه أن تُمس أو ينتقص منها فضلاً عن أن تنتهك.

● وبرَ الأقارب وصلة الأرحام.

● ورعاية اليتامى والأرامل والفقراء والعاجزين عن العمل، وفى كل هذه القيم ووجوب التمسك بها جاءت آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة.

– ومن شأن التضامن والتماسك بين المسلمين أفراداً وأسراً فى المجتمع، أن يقضى على آفات ضارة بالمجتمع ومعوقة له عن المسار الصحيح نحو الرفاهية الاجتماعية، ومن هذه الآفات:

● التخلف الاجتماعى، وذلك بالمقاومة لأسبابه، كهبوط مستوى الثقافة، وانتشار الأمية واضطراب القيم وغيرها.

● والتفكك الاجتماعى الذى أوضحناه فى حديثنا عن المصطلحات وما يتسبب فى هذا التفكك من فرقة واختلاف .

● والشذوذ الاجتماعى أى الخروج عن قيم المجتمع ومعاييره، وذلك ضد المجتمع، ولا يقاومه مثل التضامن والتماسك.

● والصراع الاجتماعى، وهذا الصراع الاجتماعى من آفات المجتمع التى تقضى على وحدته وتعوق تنميته، ولا سبيل للقضاء عليه أفضل من التضامن والتماسك.

● والمشكلات الاجتماعية، لا يتصدى لها بالتحليل الدقيق وتصور الحلول الجيدة مثل التضامن والتماسك.

● وإنما كان للتضامن والتماسك كل هذه الآثار الجيدة التى تسهم فى بناء المجتمع المسلم، لأن الإسلام جعل التضامن والتماسك بين المسلمين صفة لازمة للمسلمين ودعا إليها فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

* * *

أولاً : التضامن والتماسك بين المسلمين مطلب إسلامي أصيل :

دين الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ هو الدين الخاتم. لذلك اشتمل على كل ما يصلح البشرية كلها، ومن أبرز ما يصلح الناس أن يتضامنوا وأن يتماسكوا لأنهم بهذا التضامن والتماسك يستطيعون أن يحيوا حياة إنسانية كريمة، فى ظل نظام إسلامى شامل، ومنهج ربانى متكامل يطب لكل داء ويعالج كل مشكلة .

- وآيات القرآن الكريم الدالة على وجوب التضامن والتماسك والتعاون والاتحاد والوحدة وأن يكونوا صفاً واحدا كثيرة ودالة على هذا الوجوب ، ومن ذلك :

– قول الله تعالى : ﴿ ...وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ﴾ [التوبة : ٧١] .

– وقوله تعالى : ﴿ ...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ... ﴾ [المائدة : ٢] .

– وقوله جل وعلا : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [المعارج : ٢٤، ٢٥] .

– وقوله سبحانه : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ... ﴾ [الإسراء:٥٣] .

– وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

– وقوله عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا... ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

– وقوله جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

– وقوله جل جلاله : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] .

- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

● وأحاديث النبى ﷺ وسيرته فيها أكبر الدلالة على وجوب التعاون وتحريم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والإصلاح بينهم، وبيان حق الجار والأقرباء وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله والدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق . .

وكل ذلك لا يؤدى على وجهه إلا إذا تضامن المسلمون وتماسكوا وتعاونوا على فعل كل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، ونهى غيرهم عنه .

ومن هذه الأحاديث النوبية الشريفة :

- روى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا وله من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

- وروى البخارى بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ منْ فوقنا؛ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » .

- وروى الترمذى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئا، فقال : لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً » .

- وروى البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وشبك بين أصابعه .

- وروى مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

- وروى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .

- وروى البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم » .

- وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير الصدقة المنيحة تغدو بأجر وتروح بأجر، ومنيحة الناقة كعتاقة الأحمر، ومنيحة الشاة كعتاقة الأسود » .

- وروى أحمد بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتدرون أى الصدقة أفضل؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « المنيحة أن يمنح أحدكم أخاه الدرهم أو ظهر الدابة أو لبن الشاة أو لبن البقرة » .

- وروى مسلم بسنده عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

- وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله عز وجل » .

- وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَثَل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جُنتان من حديد، من ثُديّهما إلى تراقيهما؛ فأما المنفق فلا ينفق إلا سَبَغَتْ أو وَفَرَتْ على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقَتْ كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع » .

– وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض، فسمع صوتا فى سحابة: اسق حديقة فلان فتنحَّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرَّة، فإذا شَرْجَة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتَتَبَّعَ الماءَ فإذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبدالله ما اسمك؟ قال: فلان؛ للاسم الذى سمع فى السحابة، فقال له: يا عبدالله لِمَ تسألنى عن اسمى؟ فقال: إنى سمعتُ صوتاً فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلتَ هذا، فإن أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثاً وأرد فيها ثلثه».

– وروى مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ: إذ جاءه رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظَهْرٍ فليعُدْ به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له» فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منَّا فى فضل.

– وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طعام الاثنين كافى الثلاثة، وطعام الثلاثة كافى الأربعة».

– وروى أبو داود بسنده عن جابر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه أراد أن يغزو فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار: إن من إخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عشيرة، فليضم أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة». قال جابر رضى الله ﷺ: فما لأحدنا من ظهر يحمله إلا عُقْبَةً (١) كعقبة أحدهم. قال: فضممت إلىَّ اثنين أو ثلاثة ما لى إلا عقبة كعقبة أحدهم من جَملى.

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان رجل يداين الناس وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عَنَّا، فلقى الله فتجاوز عنه».

وبعد هذه الجولة فى رحاب آيات القرآن الكريم، وكلمات السنة النبوية المطهرة، يتأكد

---

(١) عقبة: ركوب مركب واحد بالنوبة أى يتعاقب على ركوبه الرجلان أو الثلاثة أو الأكثر، لكل واحد منهم نوبة.

لنا ولكل قارئ أن التضامن والتماسك بين المسلمين مطلب إسلامى أصيل دَلَّتْ عليه هذه الآيات والأحاديث.

كما يتأكد لنا أن التضامن والتماسك بين المسلمين يتضمن كل ما يمكن التضامن فيه ابتداء من منيحة العنز والشاة وإلى ما لا نهاية له من التضامن، كالذى حدث بين المهاجرين والأنصار رضى الله تعالى عنهم حيث قاسموهم كل شىء.

وهذا يعزز وجوب التضامن والتماسك بين المسلمين كوسيلة من وسائل تحقيق الأهداف الاجتماعية للتربية الاجتماعية التى جاء بها الإسلام هداية وهدى للناس.

فما الأسباب التى توثق التضامن والتماسك بين المسلمين؟

* * *

ثانياً : توثيق التضامن والتماسك بين المسلمين :

نحاول هنا أن نتتبع بعض الأسباب التى توثق الترابط والتضامن والتماسك بين المسلمين، وبعد التتبع والتأمل والتدبر للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ذات الصلة، وجدت أن أقوى ما يوثق ترابط المسلمين هو طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ؛ وذلك لأن الله تعالى أمر بالتضامن والتماسك فى بعض المواقف، وحبب فيه فى مواقف أخرى، ولأنه تعالى نهى عن الاختلاف والتفرق والتنازع والخصام وكل ما يحول بين المسلمين والتضامن والتماسك كما رأينا فى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

- ومن أجل توثيق التضامن والتماسك بين المسلمين فإن الإسلام؛ منهجه ونظامه حرص أشد الحرص على وحدة المسلمين وترابطهم وتماسكهم - كالبنيان يشد بعضه بعضا - فى معظم تشريعاته، وعلى سبيل المثال:

- فإن فى تشريعات العبادات ما يدعم هذا الترابط والتماسك ويوثق عراه مثل:

- عبادة الصلاة ووجوب الجماعة.
- وصلاة الجمعة والعيدين، وصلوات الكسوف والخسوف، وطلب المطر، وصلاة الحاجة، ونحوها من الصلوات التى تجمع بين المسلمين وتربط بين قلوبهم وتوحد اتجاهاهم ودعواتهم.
- وعبادة الزكاة المفروضة وعبادة الصدقات المستحبة.
- وعبادة الحج، وعبادة العمرة.

- وفى تشريعات المعاملات ما يؤكد هذا الترابط والتماسك والتعاون والتعاطف والتواد، مثل:

- عبادة السماحة فى البيع والشراء، وتحريم الغش والاحتكار.
- وعبادة تحريم الربا.
- وعبادة القرض الحسن.
- وعبادة الصلح والإصلاح بين الناس.

- وعبادة إحياء الموات من الأرض.

- وعبادة الوصية، وعبادة الميراث.

- وعبادة الزواج وحسن المعاشرة.

- وعبادة إكرام الضيف والجار وابن السبيل.

- وعبادة الأخذ بنظام الحضانة والنفقات والولاء.

- وعبادة إقامة الحدود على من تعدى عليها.

- وعبادة حسن التعامل مع الرقيق والتشجيع على مكاتبتهم وتدبير الإماء، والندب إلى إعتاق كل رقيق.

وغير ذلك من التشريعات التى توثق بين المسلمين ترابطهم وتعاونهم وتوادهم وتراحمهم.

- والإسلام يطالب كل مسلم بأن يفعل الخير عموما سواء توجه به إلى نفسه أو إلى غيره من الناس، لأن فعل الخير مبدأ عام من المبادئ الإنسانية الاجتماعية التى جاء بها الإسلام ليعزز بين المسلمين توادّهم وتراحمهم وترابطهم وتماسكهم ليعيشوا بهذه المبادئ حياة إنسانية كريمة.

غير أن استجابة الإنسان لفعل الخير تقتضى أن يمارس الإنسان أموراً على درجة بالغة من الأهمية في مجال تيسير فعل الخير أمامه، ومقاومة العقبات التى تقف فى طريقه، ومن ذلك:

- مخالفة الشيطان وما يوسوس به من تزيين للشر وللباطل، لأن الشيطان يعلم أن الله قد أمر عباده بفعل الخير، فيريد أن يصرفهم عنه لأن الشيطان للإنسان عدو مبين، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ...**﴾ [النور: ٢١].

- ومخالفة الهوى أى هوى النفس وانجرافها وراء تحقيق شهواتها فى غير ما شرع الله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ...**﴾ [القصص: ٥٠] بل إن بعض الضالين يتخذون هواهم إلها له قال الله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى**

علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾
[الجاثية: ٢٣].

– ومخالفة شياطين الإنس الذين يزينون للناس الباطل والشر والضلال، ولا يقلون خطرا عن شياطين الجن، قال الله تعالى: ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا...** ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وفى هؤلاء وأمثالهم جاء التحذير القرآنى من الإعجاب بهم وبما يزوقونه من كلام وما يغرون به من فاسد العمل، قال الله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام (٢٠٤) وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد (٢٠٥) وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ﴾
[البقرة: ٢٠٤–٢٠٦] وشياطين الإنس منافقون فى أغلب الأحيان.

– وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ فى كل أمر أو نهى صدر فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية المطهرة.

إن هذه الطاعة تدعم بل توثق ترابط المسلمين وتماسكهم أمام المواقف والأحداث لسببين:

أحدهما: أنهم أمروا بذلك والأمر يوجب على كل مأمور به أن يمتثل ويستجيب لما تضمنه هذا الأمر، وهو أمر من الله ورسوله.

والآخر: أن امتثال الأمر واجتناب النهى هو فى صالح حاضر الإنسان ومستقبله، ودنياه وآخرته.

كما أن ترك الطاعة يقتضى التفكك والتنازع والفشل، كما دل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وأوضح ما يكون تأثير الطاعة فى ترابط المسلمين وتماسكهم عندما يكون المسلمون فى مواجهة عدو أو نازلة من النوازل، أو يكونون إزاء جلب مصلحة عامة لا تجلب إلا بالترابط والتعاون وتضافر الجهود.

– والتواصى بالحق والتواصى بالصبر، لأن هذا هو خلق المسلم المؤمن الذى يعمل الصالحات،

المؤمن الناجي من الخسران كما قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [سورة العصر].

وفي النجاة من الخسران شروط أربعة: الإيمان – والعمل الصالح – والتواصي بالحق – والتواصي بالصبر.

وأحسن ما يكون التواصي بالحق بل أيسر ما يكون عندما يكون بين المتواصين به ترابط وتكاتف، لأن للتواصي بالحق أعباءً ومتاعب ومشقات لا تتحمل إلا بالترابط والتعاون.

وكذلك شأن التواصي بالصبر.

وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي واجب شرعاً تقتضي التواصي بالحق والتواصي بالصبر، بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تواصٍ بالحق وتواصٍ بالصبر وفي حاجة دائمة إلى الترابط والتماسك.

– والجهاد في سبيل الله تعالى لتكون كلمة الله هي العليا، فهذا الجهاد لأعداء الله، فريضة جماعية في الأصل – وإن تفرع عنها نوع من الجهاد الفردي أو الشخصي – والفريضة الجماعية لا تؤتي ثمارها إلا بالترابط والتعاون بين المسلمين، وكونهم صفاً واحداً.

والآيات القرآنية الكريمة التي أوجبت الجهاد في سبيل الله كثيرة وكلها متوجهة إلى خطاب الجماعة، فإن جاء فيها خطاب للفرد كأمر النبي ﷺ بالجهاد، فالمقصود به النبي ﷺ وسائر المسلمين [١].

والأحاديث النبوية التي أوجبت الجهاد أكثر من أن تحصى في هذا المجال [٢] ولكننا نذكر بعضها فيما يلي:

– روى مسلم بسنده عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».

---

(١) من هذه الآيات الكريمة الآيات: ٣٩–٤١ من سورة الحج، والآية ٢١٨ من البقرة، و١٤٢ من آل عمران، والآيات من ٧٢–٧٥ من الانفال، والآيات ١٦، ٢٠، ٨٨ من سورة التوبة، والآية ١١٩ من النحل، والآية ٦٩ من العنكبوت، والآية ٥٤ من المائدة، والآية ٣٥ من المائدة، والآية ٤١ من التوبة، والآية ٤ من الصف، والآية ٧٨ من الحج، والآية ٣١ من محمد، والآية ٢٤ من التوبة.

(٢) انظر لنا كتاب: الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به – نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

– وروى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم».

– وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق».

وبعد: فإن التضامن والتماسك بين المسلمين وسيلة من وسائل تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية، وقد أوجبه الله تعالى.

وإلى الحديث عن وسيلة خامسة من وسائل تحقيق أهداف التربية الاجتماعية، والله المستعان.

* * *

٥- ضبط السلوك الاجتماعى

ضبط سلوك الإنسان فى المجتمع يمكن اعتباره هدفاً من أهداف التربية الإسلامية عموماً، ويمكن اعتباره هدفاً للتربية الاجتماعية الإسلامية، لأنه فى تحليله الدقيق هو الاستقامة.

والاستقامة هى: لزوم طاعة الله تعالى.

وهى من جوامع الكلم لأنها نظام الأمور كلها.

قال الله تعالى مخاطباً خاتم أنبيائه ﷺ : ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [هود: ١١٢].

وهناك آيتان أخريان تبشران الذين آمنوا ثم استقاموا (١).

والأحاديث النبوية فى الاستقامة كثيرة منها:

- ما رواه مسلم بسنده عن أبى عمرة رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله: قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم».

وروى أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه».

● وضبط السلوك الاجتماعى (٢) فى الإسلام يعنى: ما ألزم به الإسلام الناس من إيمان وعمل صالح، وما حرّمه من الفواحش والمنكرات.

ونحن هنا نعتبر ضبط السلوك الاجتماعى عموما وسيلة جيدة من وسائل تحقيق أهداف التربية الاجتماعية، لأن من بين هذه الأهداف العمل على استقرار القيم الاجتماعية فى المجتمع، ولا وسيلة أفعل فى تحقيق هذا الهدف من ضبط السلوك الاجتماعى للناس، فمع انضباط هذا السلوك تستقر القيم الإسلامية التى أراد الإسلام أن تسود المجتمع المسلم.

● ولما كان ضبط السلوك الاجتماعى يعنى توجيه المجتمع ومتابعته ومراقبته لسلوك أفراده، فإن هذا الضبط يحتاج إلى إجراءات يتخذها المجتمع أسراً وجماعات، كما يحتاج إلى

---

(١) هما: الآيتان ١٣-١٤ من سورة الأحقاف، والآيات: ٣٠-٣٢ من سورة فصلت.

(٢) الضبط الاجتماعى فى المصطلحات فى مدخل هذا الكتاب.

مساندة الرأى العام فى المجتمع وممارسته ضغوطه، ويحتاج إلى أن تَسُن الدولة قوانين ونظماً تعين على ذلك، كل هذه الاحتياجات لضبط السلوك تستهدف أن يكون السلوك الاجتماعى فى المجتمع ملائماً للقيم والمعايير التى تسود المجتمع المسلم.

ويعد هذا الضبط للسلوك الاجتماعى فى المجتمع سداً منيعًا يحول دون انتشار العادات والتقاليد التى تعارض قيم الإسلام ومعاييره، بل إن ضبط السلوك الاجتماعى يحول بين المجتمع وبين التخلف الاجتماعى، والشذوذ الاجتماعى والجمود الاجتماعى (١) وغيرها من الآفات الاجتماعية .

● **ويمكن أن نجمع هذه الاحتياجات كلها فى جانبين :**

أحدهما : إجراءات وقائية لضبط السلوك الاجتماعى .

والآخر: إجراءات علاجية لضبط السلوك الاجتماعى.

وكلا النوعين من هذه الإجراءات يقوم بها المجتمع متمثلاً فى الأسر والجماعات والدولة.

والأخذ بالجانبين الوقائى والعلاجى لضبط السلوك الاجتماعى للناس تكون له أحسن النتائج وأعمق الآثار فى ضبط السلوك الاجتماعى، مما نذكر بعضه فيما يلى :

- الوصول إلى الوعى الاجتماعى، لأن ضبط السلوك الاجتماعى مع القيم والمعايير الإسلامية يولد فى نفوس المنضبطين رغبة فى تحمل المسئولية نحو ما يواجهونه من أمور صغرت أو كبرت ويحاولون حل ما فيها من إشكالات، وهذا هو الوعى الاجتماعى الصحيح.
- والوصول إلى النضج الاجتماعى، لأن ضبط السلوك الاجتماعى عند الناس يولد عندهم فى الغالب قدرة على التكيف مع القيم السائدة فى المجتمع، وهذا شفاء من مرض العزلة عن الناس والتقوقع داخل النفس أو العقل أو البيت، فإذا شُفِى الناس من هذه الأمراض تعاونوا وتوادوا وترابطوا وتماسكوا من أجل جلب المصالح ودفع المضار عن المجتمع كله.
- والوصول إلى درجة الرضا الاجتماعى، أى الشعور بالسرور والطمأنينة اللذين يصاحبان قيام الإنسان بعمله وأدائه واجبه ووصوله إلى هدفه، مما يبعث فى نفسه الثقة فى قدراته ووسائله بل ثقته فى غيره ممن يشاركونه فى العمل، ثم ثقته فى المجتمع نفسه وفى

---

(١) انظر معانى هذه المصطلحات الاجتماعية فى مدخل الكتاب .

الأنظمة التي يقوم عليها بناء المجتمع، وفي القيم والمعايير التي تسود المجتمع وتسود العلاقات بين الناس.

- وإحداث التواصل بين الأجيال في المجتمع، لأن هذا التواصل يتولد غالباً من إعجاب الجيل اللاحق بالجيل السابق، ومبعث هذا الإعجاب هو انضباط السلوك الاجتماعي لهذا الجيل السابق وحصاده لثمرات جيدة نتيجة لهذا الانضباط كالوعي الاجتماعي والنضج الاجتماعي والرضا عن المجتمع وعلاقات الناس فيه، فذلك من شأنه أن يحدث في الجيل اللاحق رغبة في احتذاء سيرة الجيل السابق، وهذا هو التواصل الجيد بين الأجيال، وفي هذا التواصل حفاظ على القيم والمعايير الاجتماعية الإسلامية التي يجب أن تسود المجتمع المسلم، وفي ذلك ضمان لاستقرار هذه القيم في المجتمع.

- وهذه الواجبات الوقائية والعلاجية من أجل ضبط السلوك الاجتماعي في المجتمع هي واجب الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع والحكومة أو الدولة بكل مؤسساتها، وهذه الواجبات عند تحليلها هي الدعوة إلى الله وإلى الحق وإلى الصراط المستقيم وهذه الدعوة واجب كل مسلم يملك البصيرة بما يدعو إليه.

- وهذه الدعوة توجه إلى الكافر لينتقل من مهاوي الكفر إلى ذرى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وتوجه الدعوة إلى المؤمن العاصي ليخرج بها من ذل العصية إلى عز الطاعة، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الغفلة إلى التنبه واليقظة.

- ومن خلال ذلك يمارس الدعاة إلى الله - وهم كل المسلمين أفراداً وأسرا وجماعات وحكومات - تلك الإجراءات الوقائية والعلاجية التي تؤدي أو تساعد في ضبط السلوك الاجتماعي، الذي أشرنا إلى نتائجه منذ قليل.. ذلك ما سوف نوضحه في الصفحات التالية والله المستعان.

* * *

أولاً : الإجراءات الوقائية لضبط السلوك الاجتماعي :

هذه الإجراءات هي واجب الأسرة أبوين وإخوة كبارا، وواجب كل جماعة في المجتمع، وواجب المجتمع كله وواجب الحكومة كما قلنا ذلك آنفاً.

وهذه الإجراءات الوقائية لضبط السلوك هي في تصوري :

(أ) إعطاء القدوة للآخر بتمسك من يعطي القدوة بالقيم الإسلامية التي ينضبط بها سلوكه.

ولتيسير إعطاء القدوة في ضبط السلوك لابد من الاستشهاد بسيرة خاتم الأنبياء ﷺ وصحابته رضي الله عنهم وتابعيهم وأهل القرون الثلاثة الأولى، وبسير الصالحين من علماء المسلمين وقادتهم ومصلحيهم، ثم يعطي القدوة من نفسه في انضباطه والتزامه.

إن ذلك يقي الطرف الآخر شر الوقوع في الشذوذ الاجتماعي أو المعاصي والجرائم الاجتماعية.

- ولا يستطيع أن يعطي القدوة الحسنة لغيره من كان غير منضبط السلوك الاجتماعي مهما كان عدم انضباطه ضئيلا.

- كما لا يستطيع أن يعطي القدوة لغيره من المسلمين من كان من أهل الترخص وإيثار الراحة والدعة.

- ولا يستطيع أن يعطي القدوة من كان محباً لأن يتميز عن سواه من الناس، إلا فيما شرع الله التميز فيه وهو تقوى الله وخوفه والالتزام بأمره ونهيه.

(ب) وربط الذين يرغبون في ضبط سلوكهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسير الصحابة، بحيث يكون ذلك مصدر ثقافتهم وموطن اعتزازهم، ومهفى قلوبهم ومشاعرهم.

- وفي قصص القرآن مجال خصيب رحيب للتعلم والتأسي والتطهر من الشرك والكفر والنفاق والمعاصي، وحسب القصص القرآني أن قال فيه منزله عز وجل : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾ [يوسف : ٣]

وقال عنه : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ (١) عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١] .

– وفي السيرة النبوية كنوز تربوية في كل مجال من مجالات تربية الروح والعقل والخلق والبدن والتدين والحس السياسي والاجتماعي والاقتصادي والجهادي والجمالي، وغافل تعيس من لم يغترف من هذا البحر ما وسعه، ومن لم يهتد بالنبوة في مختلف مراحل حياته وإلى أن يلقى الله، فلقد كان وما يزال وسيظل في رسول الله ﷺ أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا.

– وفي حياة الصحابة رضوان عليهم نماذج في انضباط السلوك الاجتماعي مع كل ما جاء الإسلام به من قيم، وحسبهم نبلا ومكانة أن ضبطوا أنفسهم مع قيم الإسلام في الوقت الذي كان الكفار يحاربون دخولهم في الإسلام وانتماءهم إليه، لكنهم صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله في كل أمرهم فكانوا نجوماً في سماء الأخلاق الكريمة يقتدى بها في كل زمان ومكان.

(ج) والرفق بهم ومصاحبتهم على الخير، وهذا الرفق مبدأ إسلامي يجب أن يدخل في كل عمل ليزينه، فإذا نزع الرفق من أي عمل ساء هذا العمل وشاه، هكذا قال المعصوم ﷺ في أكثر من حديث شريف ومن هذه الأحاديث الشريفة ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد بأسانيدهم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » .

والصحبة في الدين أولى من أخذ سمت المعلمين والموجهين، وهذه الصحبة يدخل فيها الرفق وكل مقتضيات الأخوة في الله وما أكثر ما تستوجبه الأخوة في الله (٢) .

– ولا يستطيع أن يؤثر في الآخر ويعينه على ضبط سلوكه مثل من كان رفيقاً رقيقاً محباً صادقاً مصاحباً على الحق متآخيا في الله عز وجل.

(د) والهدوء والتأني في علاج الأخطاء، وذلك أن كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون، وهذه حقيقة مقررة في كل دين.

---

(١) أي في قصص الأنبياء وأقوامهم وما جرى معهم.

(٢) للتوسع : انظر لنا كتاب « فقه الأخوة في الإسلام » نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية – أكثر من طبعة .

إن ما يعين على ضبط السلوك الاجتماعى للإنسان حسن التعامل معه حين يخطئ، وحسن التعامل هذا يقتضى أموراً على جانب كبير من الأهمية التربوية منها:

– إذا كان الخطأ من الصغائر جاز تجاهله للمرة الأولى، ثم التنبيه إليه فى المرة الثانية، ثم العتاب الحانى فى المرة الثالثة.

– وإذا كان الخطأ من الكبائر التى حرم الله ممارستها، اتبعت معه الخطوات التالية:

- التفهم الواعى لأسباب الوقوع فى الخطأ.
- ومقاومة هذه الأسباب والدواعى التى أدت إليه بهدوء، ودون انفعال أو تشهير بصاحب الخطأ.
- وترك التأنيب الشديد أو إعلان السخط على المخطئ.
- والابتعاد عن إيقاع العقاب المباشر ومع التذكير بأن مثل هذا الخطأ يستحق عقابا.
- مناقشة الخطأ والأسباب التى أدت إليه كقضية عامة ليست متصلة بالمخطئ واستطلاع الرأى فيها، وفى النتائج المترتبة على ارتكاب هذا الخطأ.
- والإشارة إلى أن الإسلام قد وضع تشريعات حددت لكل خطأ عقاباً دنيويا أو أخرويا.
- والتذكير بأن ارتكاب الخطأ إنما يكون باتباع خطوات الشيطان الذى يأمر بالفحشاء ويزين المعاصى.
- وأجدى ما يكون هذا العلاج التربوى لأخطاء المخطئين أو يكون فى داخل الأسرة الواحدة، وفى سرية تامة بين المربى وهذا المخطئ، وقد يخرج هذا العلاج عن حدود الأسرة إلى المجموعة أو الحلقة التى يرتبط بعض الناس فيما بينهم على حضورها، وقد يكون فى حلقات المساجد أو النوادى بكل أنواعها.

والآية الكريمة التى تعتبر أصلاً وأمًّا لهذا التوجيه التربوى الذى يحذر من ارتكاب الكبائر هى قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٢١] وغيرها من الآيات.

والحديث الشريف الذى يعتبر أصلا في التحذير من الكبائر هو ما رواه أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مع امرأة من نسائه فمرّ رجل، فقال – أى الرسول ﷺ –: «يا فلان هذه امرأتى» فقال – أى الرجل –: يا رسول الله من كنتُ أَظنُّ به، فإنى لم أكن أظن بك، قال: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم».

وهو درس نبوى تربوى جليل يعلمنا :

- دفع الشبهة عن النفس .
- وعون الآخر على ألا يسيئ الظن .
- وأن جميع الأخطاء ومنها ظن السوء إنما يزينها الشيطان الذى يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى عروقه، أى شديد القرب منه والوسوسة إليه بالشر.

هـ – والتذكير بقانون الثواب والعقاب

وهو قانون عادل يُرشِّد سلوك الإنسان وحسبه عدلاً أنه منزَّل من الله تعالى على خاتم رسله ﷺ، وقد أعلنه الله تعالى لعباده فى قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾[الزلزلة :٦–٨] .

- وقانون الجزاء أو الثواب والعقاب يحتاج إلى تفقيهه للناس، لأن عليه مدار أعمالهم وطاعتهم أو معصيتهم لله تعالى.

– والثواب: إنعام من الله على من أطاعه؛ بما أعدّ له فى الآخرة من رزق وجنات النعيم.

– والعقاب: تعذيب الله تعالى لمن عصاه؛ بما أعدّ له فى الآخرة من عذاب فى نار جهنم.

- ويجب الإيمان بمبدأ الثواب والعقاب ومنكرهما كافر بإجماع المسلمين.

– والثواب والعقاب يكونان من جنس العمل، وذلك من العدل الذى تقوم به السموات والأرض.

– ومعصية الله جريمة فى حق العاصي وفى حق المجتمع، لذلك وجبت العقوبة عليها.

– والعقوبة إصلاح للمجرم وللمجتمع كله، والقصاص مصلحة اجتماعية أكيدة، وكذلك تطبيق الحدود التى شرعها الله .

– والعقوبات فى الإسلام نوعان :

الأول : التعزير.

والآخر : الحدود .

والتعزير قد يكون بالزجر أو بالغرامة المالية أو بالحبس، أو بالجلد بشرط ألا يبلغ مقدار الحد .

والحدود هي عقوبات الإفساد في الأرض والقتل وإتلاف الجوارح والأعضاء والسرقة بنوعيها الصغرى والكبرى، والزنى وشرب الخمر، وقذف المحصنات المؤمنات وغيرها .

● والشريعة الإسلامية تستمد سلطانها من مصدر أكبر وأجل من الأمة وعلمائها؛ إذ تستمده من الله عز وجل .

– والعقوبات في الشريعة الإسلامية تكفل للمجتمع أمنه بردع المجرم ومنع الجريمة، وهي في الوقت نفسه لا تحرم المجرم من حقه في الدفاع عن نفسه، وحقه في أن تؤول الشبهة لصالحه وأن يدرأ عنه الحد إذا وجدت شبهة، وتفتح أمامه المجال للتوبة .

– وليس في إيقاع العقوبات بالمجرمين والعصاة أي عدوان على حريتهم الشخصية .

● وللعقاد – رحمه الله – كلمة جيدة عن العقوبات في الإسلام يقول فيها : «وننتهي من ذلك كله إلى نتيجتين يقل فيهما الخلاف حتى بين المسلمين وغير المسلمين، وهما :

● أن قواعد العقوبات الإسلامية قامت عليها شئون جماعات من البشر آلاف السنين – وهي لا تعاني ما تعانيه الجماعات المحدثة من الجرائم والآفات .

● وأن قواعد العقوبات المحدثة لم تكن تصلح للتطبيق قبل ألف سنة، وكانت تنافر مقتضيات العصر في ذلك الحين .

ولكن القواعد القرآنية بما فيها من الحيطة والضمان ومباحات التصرف الملائم للزمان والمكان، قد صلحت للتطبيق قبل ألف سنة، وتصلح للتطبيق هذه الأيام وبعد هذه الأيام»[١] .

● والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على عقوبات تلك الحدود كثيرة معروفة لكل من يقرأ في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ .

---

(١) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية – دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٩م .

ولا يضبط السلوك الاجتماعى للإنسان مثل التفقيه بقانون الجزاء ثواباً وعقاباً، إذ يضع هذا التفقيه كل من فقه أمام مسئوليته عن طاعته أو معصيته.

وبعد: فهذه هى الإجراءات الوقائية التى تساعد على أن يضبط الناس سلوكهم وفق المعايير التى أقرها الإسلام فى الحياة الاجتماعية للناس.

فما الإجراءات العلاجية لضبط سلوك الإنسان فى المجتمع المسلم؟

ثانياً: الإجراءات العلاجية لضبط السلوك الاجتماعى

وهى من واجب الأسرة والمدرسة والجماعة والمجتمع والحكومة وإنما يحتاج إلى علاج بعد الوقوع فى الأمراض الاجتماعية أى بعد عدم استجابتهم للإجراءات الوقائية.

وهذه الإجراءات العلاجية واجبة شرعاً على كل قادر عليها، لأن المسلمُ للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، فقد روى أبو داود بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يردّ مشدُّهم على مضعفهم، ومسرعهم على قاعدهم...» الحديث.

● والتعاون بين المسلمين واجب لأن الله تعالى أمر به فى قوله تعالى: ﴿...**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**...﴾ [المائدة: ٢].

وأى برّ يتعاون المسلمون عليه أولى من التعاون على علاج مريض بمرض اجتماعى، كالشذوذ الاجتماعى، والصراع الاجتماعى، والقلق الاجتماعى، ومعظم أسباب هذه الأمراض تعود إلى سببين كبيرين هما:

الأول منهما: الوقوع فى المعاصى،أى فعل ما حرّم الله على عباده،أو ترك ما أمر الله بفعله.

والآخر: عدم الالتزام بمنهج الإسلام فى تناول الحياة الإنسانية بمختلف شعبها.

ومن هذين السببين أو أحدهما تتولد الأمراض الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية التى تعوق المجتمع عن تحقيق الحياة الإنسانية الكريمة كما أمر الله بها.

● وعند حدوث ذلك يجب على المسلمين أفراداً وأسراً وجماعات وحكومة أن تتضافر جهودهم لعلاج هذه الأمراض، فما الإجراءات العلاجية التى يجب أن تتخذ فى مثل هذه الحالات؟ ذلك ما سنحاول توضيحه فيما يلى، ومن الله العون والتوفيق.

(أ) تبصير الناس بحقوقهم وواجباتهم:

إن معرفة الناس بما لهم – أى حقوقهم – وما عليهم – أى واجباتهم – يباعد بينهم وبين ارتكاب الخطأ فى أغلب الأحيان.

وأغلب الخطأ ينشأ عن التقصير أو الإهمال فى أداء الواجبات. ومن أهمل فى أداء واجبه ضاع حقه أو كاد يضيع، لأن هذا يقابله ذاك.

والأصل فى الحقوق العامة أن توجد ويعترف بها إذ وجد الإنسان الذى يستحقها لأنه يؤدى لها فرائضها، وما عرف ذلك فى أى دين أو نظام قبل الإسلام، حيث لم يكن قبل الإسلام ذلك الإنسان الذى يتساوى مع غيره من الناس فى كل زمان ومكان، وإنما كان التفاوت والطبقات والجنس المفضل.. إلخ.

● ومهما أشاد الناس من كل جنس ولون بالديمقراطية التى تعترف بحقوق الإنسان، فإن لهذه الديمقراطية – عند التحليل – عناصر لا تنفصل عنها بحال وهى ثلاثة:

– المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ... ﴾ [الحجرات: ١٣].

– والمسئولية الفردية: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].

– وقيام نظام الحكم على الشورى وعلى دستور معروف من الحقوق والواجبات: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ... ﴾ [الشورى: ٣٨].

وهذه العناصر الثلاثة هى التى نادى بها الإسلام لأول مرة فى تاريخ الإنسانية كلها.

فمهما أشاد الناس «بالديمقراطية» فما عدوا ولا جاوزوا ما جاء به الإسلام من عناصرها لأول مرة فى تاريخ البشر.

● تبصير الناس بحقوقهم وواجباتهم من خلال ما جاء به الإسلام من حقوق كاملة للإنسان، وما جاء به من واجبات لابد من أدائها أو تحمل العقاب على تركها فى الدنيا والآخرة، وإن أمكن تحمل بعض عقوبات الدنيا، فإن تحمل عقوبات الآخرة يعنى دخول جهنم التى لا يستطيع أحد تحمل عذابها.

● إن الإنسان فى الإسلام له حقوق عامة وخاصة لا ينازعه فيها إلا ظالم من حاكم أو غيره. وفى مقابل هذه الحقوق فإن عليه واجبات متنوعة منها :

- واجبه نحو خالقه أن يعبده ولا يشرك به، إيمانا به وبملائكته وكتبه ورسوله... إلخ .

- وواجبه نحو خاتم الأنبياء والمرسلين أن، يؤمن به وبما جاء به من عند الله مسلماً زمام نفسه إليه .

- وواجبه نحو غيره من الناس وهو فى إجمال أن يعاملهم بالحسنى التى يحب أن يعاملوه بها، كما أوضح ذلك منهج الإسلام ونظامه .

● وتبصير الناس بهذه الواجبات يحول بينهم وبين الوقوع فى الأخطاء والجرائم - كما قلنا - فهذا التبصير علاج للوقوع فى الخطأ، لأن كل خطأ - عند التدبر - هو عدوان على حق واحد أو مجموعة من الناس، وكل خطأ عصيان لله ولرسوله ولمنهجه ونظامه، ومن تأمل أى خطأ يقع فيه الإنسان وجده عدوانا وظلما على الفرد والمجتمع، وخروجا على منهج الإسلام ونظامه، ومن بُصِّر بواجباته فأداها كما أمر الله ورسوله فما أخطأ ولا أجرم ولا عصى الله ورسوله.

● إن من يرتكب الخطأ أو المعصية لله ورسوله مريض بداء الإستجابة لوسوسة الشيطان، ومَنْ مَرِض بوسوسة الشيطان نسى ربه وما أمر به وما نهى عنه، وتجاهل عقله وما يزين له من العمل الصالح، بل تجاهل جسمه إذا حمله بالخطأ وزراً فى الدنيا وعقوبة ووزراً فى الآخرة وعذابا فى جهنم.

بل مَنْ أخطأ تجاهل نفسه وأهله وذويه والمجتمع الذى يعيش فيه، لأنه أساء إلى هؤلاء جميعاً، لأن عليه نحو كل أولئك واجبا عليه أداؤه فلم يؤده.

وعلاجه أن يعرف واجباته وأن يلتزم بأدائها، أو يلزم بهذا الأداء الأسرة أو المدرسة أو المجتمع أو الحكومة .

* * *

(ب) والحوار الهادف مع المخطئ حتى يتبين له الصواب :

هذا الحوار علاج للمخطئ، وسياج يحيط به فلا يتيح له أن يفلت منه ليقع فى الخطأ مرة أخرى.

لكن الحوار لا يؤدى إلى إقلاع المخطئ عن الخطأ إلا إن استوفى شروطاً جوهرية منها:

- أن يكون هادئاً لا انفعال فيه ولا صخب ولا ارتفاع صوت، فضلا عن توجيه العتاب أو الكلمات اللاذعة، لأن الرفق مطلب إسلامى أصيل فى جميع المواقف، وما دخل الرفق فى شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه كما قال المعصوم ﷺ .

- وأن يكون موضوعياً حيادياً يناقش الخطأ فى ذاته دون ربطه بالمخطئ، حتى يتاح للمخطئ أن يدلى برأيه فى الخطأ والمخطئ؛ فى هذا الحوار الهادئ حتى يتبين له الحق والصواب.

وما أروع الهدى النبوى حين كان الرسول ﷺ يسمع عن بعض الناس أنه أتى عملاً غير وارد فى قيم الدين، بل فيه مبالغة أو إهمال، عندئذ كان ﷺ يجمع الناس ويقول لهم - وفى الغالب يكون من أتى هذا العمل موجوداً معهم - ما بال أناس يفعلون كذا أو كذا دون تحديد المخطئ أو المخطئين، ثم يعقب على خطئهم بقوله: ومن فعل ذلك فليس منى، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنى أصلى وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى».

- وتحليل الخطأ بمعنى البحث عن السبب أو الأسباب التى أدت إليه، وعن النتيجة أو النتائج التى تترتب على ارتكاب الخطأ، وأن يشارك فى هذا التحليل المخطئ نفسه دون إشعاره بأنه صاحب الخطأ، لأن ذلك من شأنه أن يجعل المخطئ يراجع نفسه، ويفكر فيما فعل وفى الأسباب التى جعلته يرتكب الخطأ، وفى النتائج التى أدى إليها ارتكاب الخطأ.

وهذا علاج للمخطئ، بل الأصوب أن نقول: إن المخطئ هو الذى عالج نفسه، بعد أن شارك فى هذا الحوار الهادئ الموضوعى الذى لم يتضمن جرحاً لمشاعره، أو خدشاً لإنسانيته.

- ولابد أن يشتمل الحوار على مقارنة بين الخطأ والصواب، أو بين معصية الله تعالى بارتكاب الخطأ وطاعته فى تركه واجتنابه؛ لأن هذه المقارنة توقظ العقل وتنبه الشعور.

وهذه المقارنة أسلوب قرآني يجب أن نتعلم منه الفروق الحادة بين الضدَّين والمتناقضين، وكم في القرآن الكريم من مقارنات وموازنات بين الإيمان والكفر، وبين الهدى والضلال، وبين العمل الصالح والعمل السيئ، وبهذه المقارنات والموازنات، يحدث التحول من الخطأ إلى الصواب، ويفتح باب التوبة عن الخطأ، وباب الأمل في مغفرة الله تعالى ورحمته.

– وأن يكون هدف الحوار تربوياً بحيث يسهم في تكوين الرأى الصحيح عن الخطأ والصواب والمعصية والطاعة، الرأى الذى أسفر عنه الحوار وتبادل الآراء، وبحيث يسهم المخطئ في تكوين هذا الرأى أو يتبناه بل يدافع عنه، إيثاراً للحق بعد أن تبين، وليس استجابة لرأى مشارك في الحوار، وذلك أن الإنسان يكون أكثر تحمساً لرأيه لا لرأى يفرض عليه، وتلك قيمة تربوية هامة في أن يتحول الإنسان من موقف إلى موقف بناء على اقتناع بعد تفكير.

والرسول ﷺ علمنا ذلك فى تعامله مع الناس وفى حواره معهم، فقد روى أحمد بسنده عن أبى أمامة رضى الله عن قال: إن فتى شابا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لى بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مَهْ، مَهْ[1] فقال له الرسول ﷺ: «ادْنُه»، فدنا منه قريبا فجلس، قال: «أتحبه لأمك» قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهِّر قلبه وحصِّن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

هذا هو الهدى النبوى فى الحوار وفى التربية وفى الإقناع وتحويل الإنسان عن الخطأ إلى الصواب، فلتكن فيه الأسوة الحسنة.

* * *

(١) مَهْ أو مَهٍ: أى كف عما تقول.

(جـ) والتحدث عن فضيلة الاعتراف بالذنب:

الحديث المقنع عن فضيلة الاعتراف بالذنب - أى اعتراف الإنسان بذنبه أمام نفسه - علاج ناجع فى التمهيد لإقلاع الإنسان عن ذنبه، ومن أجل ذلك كان اعتراف الإنسان بذنبه فضيلة لأنه سوف يمنعه عن تكرار الذنب أو الخطأ .

- ونؤكد أن الاعتراف بالذنب الذى نقصده هو إقراره بالذنب أمام نفسه لا أمام الناس، لأن الاعتراف به أمام الناس مجاهرة بالذنب وذلك محظور، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتى مُعافى إلا المجاهرين، يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله، ويتحدث بذنبه» ففى هذه المجاهرة جناية على ستر الله تعالى، وجناية بتحريك الرغبة فى الشر أمام من سَمِعَ المذنب وهو يتحدث عن ذنبه.

- والذنوب مغفورة برحمه الله الواسعة مادام قد ندم المذنب وتاب، فقد روى أحمد والحاكم النيسابورى وصححه بسندهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدواوين ثلاثة: ديوان يُغفر، وديوان لا يُغفر، وديوان لا يُتْرك، فالديوان الذى يغفر: ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى، وأما الديوان الذى لا يغفر فالشرك بالله تعالى، وأما الديوان الذى لا يترك فمظالم العباد (1)» .

ويدل على مغفرة الذنوب التى بين الناس وخالقهم قول الله تعالى: ﴿**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ [النساء: ٣١] .

- وقد اعترف بعض من تخلفوا عن غزوة تبوك بذنبهم فتاب الله عليهم، وتحدث عنهم قول الله تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٠٢] .

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية: نزلت فى قوم كانوا قد تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك، وقالوا: نكون فى الكن والظلال مع النساء ورسول الله ﷺ وأصحابه فى الجهاد، والله لنوثقَن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون الرسول هو يطلقها ويعذرنا، وأوثقوا أنفسهم بسوارى المسجد . فلما رجع رسول الله ﷺ مرَّ

(1) أى ظلم العباد والعدوان على أموالهم وأعراضهم، أى لابد أن يُطالب بها حتى يُعفى عنها .

بهم فرآهم، فقال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء تخلفوا عنك، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم، فقال النبى ﷺ: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أؤمر بإطلاقهم، رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت، أرسل إليهم النبى ﷺ وأطلقهم وعذرهم، فلما أطلقهم قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا، فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً فأنزل الله عز وجل: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ...**﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية، وقال ابن عباس: كانوا عشرة رهط» (١).

- وإنما كان الاعتراف بالذنب فضيلة لأن عدم الاعتراف به، أو الاستهانة بارتكابه رذيلة لما فيها من معصية الله تعالى بارتكاب الخطأ، ولما فيها من استمرار على ارتكاب الذنب عند بعض الناس.

والاعتراف بالذنب والندم على ارتكابه طَرْقٌ على باب التوبة والقبول بإذن الله تعالى، كما سنوضح ذلك فيما بعد ونحن نتحدث عن النقطة الخامسة من الإجراءات العلاجية لضبط السلوك الاجتماعى بإذن الله تعالى.

- والمجتمع المسلم بخير طالما انضبط سلوك الناس فيه مع القيم الإسلامية، ومع ما أمر الله به وما نهى عنه، وإحدى وسائل علاج الخطأ هى إقرار الإنسان بذنبه .

* * *

---

(١) الواحدى النيسابورى : أبو الحسن على بن أحمد - ت٤٦٨هـ، كتابه «أسباب النزول» ط الحلبى بمصر ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م.

(د) وتهيئة بيئة صالحة لمن أخطأ :

وهذه البيئة الصالحة علاج للمخطئ، لأنه ما أخطأ إلا يوم فقد الوسط الصالح فانفرد به الشيطان، لأن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد .

وهذه البيئة الصالحة هي :

- الجليس الصالح .
- والمكان الصالح .
- والعلماء من المسلمين .

* أما الجليس الصالح فإن مجالسته خير لجليسه من كل وجه، وإذا أحيط الإنسان بالخير من جوانبه جميعاً فقد فارق الشر والخطأ وأعانه جليسه على طاعة الله تعالى .

فقد روى البخاري بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك، إما أن تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة » .

وروى أبو داود بسنده عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مثل الجليس الصالح كمثل العطار، إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه » .

وهؤلاء الجلساء الصالحون يعينون على ذكر الله تعالى، ويشجعون على الصلاح والتقوى وعلى رجاء الله تعالى وخوفه، فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي؟ قالوا : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول : هل رأوني؟ فيقولون : لا والله ما رأوك، فيقول : فكيف لو رأوني؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادة وأشدَّ لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً، قال : يقول : فما يسألوني؟ قالوا : يسألونك الجنة، فيقول : هل رأوها؟ يقولون : لا والله يا رب ما رأوها، قال : يقول : فكيف لو أنهم رأوها؟ يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها

حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، قال: فَمِمَّ يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: وهل رأوها؟ يقولون: لا والله ما رأوها، يقول: فكيف لو رأوها؟ يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة، فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم».

- وأما المكان الصالح فهو المسجد بيت الله:

المسجد إذا اعتاده المسلم وتردد عليه في أوقات الصلوات فإن المسلمين يشهدون له بالإيمان.

روى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيرا أو ليعلمه، كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له».

- والمسجد في الإسلام له وظائف عديدة أهمها الصلاة في جماعة وسائر العبادات كالاعتكاف ومجالس الذكر ونحوها، وعلى عهد النبي ﷺ كان المسجد النبوي مقر أول حكومة إسلامية يقودها المعصوم ﷺ، فكانت تمارس فيه معظم أعمال الحكومة من عقد الألوية في الحرب إلى تنصيب القواد والولاة والمبعوثين بالدعوة إلى سائر الناس، وكانت تستقبل الوفود من القبائل العديدة التي ترغب في الدخول في الإسلام، أي أن المسجد كانت له الأهمية القصوى في حياة المسلمين، وله الأهمية القصوى في تربية المسلمين وطبعهم بالطابع الإيماني.

- إن مَنْ كان المسجد هو المكان المحبب إليه كان أبعد الناس من الخطأ، وأقربهم إلى الصواب.

- وتحبيب في المسجد وفيما يجري فيه من عبادات، والاستجابة لما يلقى فيه من دروس وخطب ومواعظ، والمشاركة في الأنشطة التي تقام فيه بصرف الناس عن الباطل والشر والخطأ ويوجههم إلى الحق والخير والصواب.

- وإذا كنا اليوم نعاني من ضعف المسلمين بسبب بعدهم عن منهج الإسلام ونظامه، وانضباط سلوكهم مع هذا المنهج والنظام، فإن اتخاذ المسجد مكاناً تلتف حوله قلوب المسلمين يؤدي بكل تأكيد إلى قوة المسلمين معنوياً وماديًّا، دينياً ودنيوياً، فقد روى أبو داود بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته

متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ في عليين».

* ولقد بشر الله رواد المساجد وعمارها الذين لا يشغلهم شيء من تجارة ولا بيع عن ذكر الله، بَشَّرهم بحسن مكافأتهم وإعطائهم أكثر مما يستحقون، وذلك في قوله تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

● إن أعداء الإسلام والمسلمين يحاولون جاهدين أن يعزلوا المسجد عن المسلمين بحيل شتَّى، ويحاولون تفريغ المسجد من محتواه، وتعطيل وظائفه وبذلك يضعف تمسك المسلمين بدينهم ويقعون فرائس للخطايا والأخطاء، ولا علاج لذلك إلا بالعودة إلى المسجد» (١).

- **والعلماء من المسلمين:**

وهم الطرف الثالث في تكوين البيئة الصالحة لعلاج الذين ارتكبوا الأخطاء من المسلمين.

إن زيارة الناس لبعض علماء المسلمين وبعض الصالحين ممن يمكن زيارتهم، واستئذانهم وطرح الأسئلة عليهم والحوار معهم في كل أو بعض ما يهم المسلمين من قضايا ومشكلات هو المنهج الصحيح في التعامل مع بيئة إسلامية صالحة، وذلك أن العلماء ورثة الأنبياء، وأنهم أكثر الناس خشية لله، وأنهم الأمناء على هذا الدين؛ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

● وفي مكانة العلم والعلماء وطلاب العلم في الإسلام، روى أحمد بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**».

وروى الإمام مالك - في الموطأ - بسنده عن مالك أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه:

---

(١) للتوسع في معرفة وظائف المسجد - انظر لنا: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي - نشر دار المعارف بمصر ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

فقال: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء».

• ومجالسة القرآن الكريم مطلوبة شرعاً لأنها تضيف إلى من جالس القرآن خيراً كثيراً في دينه ودنياه، فقد روى الدارمي بسنده عن قتادة قال: «ما جالس القرآن أحد فقام عنه إلا بزيادة أو نقصان ثم قرأ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

– والقرآن الكريم مأدبة الله، وعلى المؤمنين أن يتعلموا منه مااستطاعوا، فقد روى الدارمي بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم...» وفي رواية: «فمن دخل فيه فهو آمن».

وروى الدارمي بسنده عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به. فحث عليه ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات».

– والقرآن الكريم خير معلِّم، والمتعلِّم عليه خير متعلِّم، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة منها:

ما رواه الدارمي بسنده عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رحمه الله عن أبيه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خياركم من تعلَّم القرآن وعلم القرآن» قال: فأخذ بيدي وأقعدني هذا المقعد أُقرئ.

وما رواه الدارمي بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «تعلموا كتاب الله وتعاهدوه واقتنوه وتقفوا به، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من المخاض في عقلها».

– والقرآن الكريم أحدث الكتب السماوية وخاتمها وأقربها عهداً بالله تعالى، فقد روى الدارمي بسنده عن كعب رضي الله عنه قال: «عليكم بالقرآن فإنه فَهْمُ العقل ونور الحكمة وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهداً، وقال الله تعالى في التوراة: يا محمد إني منزل عليك توراة حديثة تفتح فيها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً».

وبعد: فإن مجالسة علماء المسلمين وصالحيهم لا تقل أهمية ولا أثراً من مجالسة القرآن الكريم والتزود من مأدبته، وكلاهما خير علاج لأولئك الذين وقعوا في المعاصي والخطايا، وذلك إجراء علاجي هام لضبط السلوك الاجتماعي.

(هـ) والتفقيه بتوبة الله تعالى على من تاب :

هذا التفقيه بالتوبة؛ وجوبها وشروطها وآدابها؛ علاج ناجح لضبط السلوك الاجتماعى بعودة الخطائين عن خطئهم ودخولهم فى رحاب طاعة الله تعالى .

• والتوبة من الذنب واجبة شرعا لقول الله تعالى : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : ٣١] .

وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا** ﴾ [التحريم : ٨] .

وروى مسلم بسنده عن الأغر المزنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالله إنى لأتوب إلى الله عز وجل فى اليوم مائة مرة** » .

وروى ابن ماجة بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

• ولأن بنى آدم خطاءون بفطرتهم، والخروج من الخطأ واجب شرعا، كانت التوبة واجبة شرعاً وعقلاً، لأن العقل السليم لا يتناقض مع الشرع أبداً، فقد روى أحمد بسنده عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أُغْوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الرب : وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى » .

• والتوبة تكون عن جميع الذنوب ما صغر منها وما كبر، لأن رحمة الله تعالى ومغفرته تسع كل ذنب وكل شيء، فقد روى البخارى بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كان فيمن قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ قال : لا . فقتله فكمَّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ قال : نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب؛ فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة**

العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم (١)، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة».

● والذنوب كثيرة والناس جميعًا يذنبون، والمؤمن يذنب وقلّما تخلو كفة السيئات لأحد إلا لمن عصم الله من نبي، وحسب المؤمن أن يجتنب كبائر الإثم والفواحش، فإن الله تعالى سيتجاوز له عن الصغائر ما لم يُصِرّ عليها، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢] فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده.

– فقد روى مسلم بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

– وروى البخاري بسنده عن ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» ورواه مسلم بنفس السند.

– وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكى عن ربه عز وجل قال: أذنب عبدي ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي فعلم أن له ربنا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك».

● وللتوبة شروط أوضحها العلماء، ينبغي أن يعرفها الناس لكي تقبل توبة من أذنب منهم، وتلك الشروط هي:

– الإقلاع عن المعصية – أي الكف والامتناع عنها.

– والندم – أي الندم على فعلها.

– والعزم على ألا يعود إلى المعصية أبداً.

– ورد الحقوق إلى أصحابها، فإن كان الحق مالاً رده إلى صاحبه، وإن كان حدَّ قذف ونحوه

---

(١) أي حكماً فيما بينهم.

مكّنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحله منها.

وقال بعض العلماء: إن الذنب إذا أتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه موجواً، أربعة من أعمال القلوب وهى:

- التوبة أو العزم عليها .
- وحب الإقلاع عن الذنب.
- وتخوف العقاب.
- ورجاء المغفرة له .

– وأربعة من أعمال الجوارح وهى :

- أن تصلى عقيب الذنب ركعتين .
- ثم تستغفر الله بعدها سبعين مرة وتقول: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة.
- ثم تتصدق بصدقة .
- ثم تصوم يوماً.

وهذه الأعمال كلها من أجل مغفرة الذنب يتضمنها حديث نبوى شريف رواه أبو داود وأحمد والترمذى بأسانيدهم عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» ويدل عليها قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ... إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ... ﴾ [هود: ١١٤] .

وبعد: فإن هذه الإجراءات العلاجية فى ضبط السلوك الاجتماعى من تبصير الناس بحقوقهم وواجباتهم، والحوار مع المخطئ حتى يتبين له الصواب، والتحدث معه عن فضيلة الاعتراف بالذنب، وتهيئة البيئة الصالحة له، وتفقيهه بالتوبة إلى الله واستغفاره، هذه الأمور الخمس إذا ضمت إلي الأمور الخمس التى اشتملت عليها الإجراءات الوقائية لضبط السلوك الاجتماعى، أمكن ضبط هذا السلوك، وفي ضبطه مع شرع الله ومنهجه ونظامه تكون وسيلة ضبط السلوك الاجتماعى قد أسهمت إسهاماً قوياً فى تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية.

وإلى الحديث عن الوسيلة السادسة فى تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية وهى: تعرف مشكلات المجتمع والعمل على حلها. وهى من أكثر الوسائل نفعاً، والحديث فيها من أوسع ما يكون الحديث، والله المستعان.

٦- تَعَرُّف مشكلات المجتمع والعمل على حلها :

من سنن الله تعالى فى خلقه أن يكون فيهم الصالح والطالح، والملتزم بالقيم الخلقية والمتفلِّت منها ومن أعبائها، والمجتمع يتأثر بأفراده وأسره وجماعاته ويؤثر فيهم، ومادام فى المجتمع هذا التنوع بين الخيرين والأشرار فلابد أن تكون فيه مشكلات اجتماعية أى معوقات لنظمه وقيمه.

- والمشكلات الاجتماعية هى المفارقات التى تحدث بسبب من الأسباب بين الظروف المرغوبة فى المجتمع وظروف الواقع الذى يبعد عن هذه المرغوبات، ومن هنا يحدث التعطيل لسير الأمور على طبيعتها وفق ما يرغب فيه المجتمع، ويحدث الاضطراب فتوجد المشكلة الاجتماعية .

– وكل فكر أو عمل – يقوم به فرد أو أسرة أو جماعة – يؤدى إلى أن يحال بين الناس وبين أداء أعمالهم الاجتماعية فى الإطار الاجتماعى المتعارف عليه، فهو مشكلة اجتماعية.

– وكل فكر أو عمل – يقوم به فرد أو أسرة أو جماعة – يؤدى إلى تعويق أحد النظم الاجتماعية الأساسية، فهو مشكلة اجتماعية .

– وكلما ارتقى المجتمع فى سلم التطور والتمدن، زادت المشكلات الاجتماعية فيه إذ هى تعبير عن عدم التوفيق بين تطلعات المجتمع الضخمة وبين عوامل التعويق والتعطيل الصادرة من بعض أفراده.

– وكل أنواع التدابير الاجتماعية التى تتمثل فى نظم اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية ترمى إلى تقدم الوسائل فى تحسين المعيشة للأفراد والأسر عن طريق التعاون وتضافر الجهود بين الناس، كل هذه التدابير تقتضى أن يستجيب الناس لهذه النظم ويعملوا على احترامها وتنفيذها، فإن رفض الناس أفراداً أو أسراً أو جماعات الاستجابة لهذه النظم؛ حدثت المشكلات الاجتماعية .

– وكل انتشار للجرائم بكل مستوياتها، وكل انحراف خلقى عن القيم السائدة فى المجتمع المسلم، وكل ابتزاز لأموال الناس أو جهودهم دون مقابل يؤدى لهم، وكل قهر للناس وانتهاك لحقوقهم وحرياتهم؛ يمثل مشكلة أو مشكلات اجتماعية.

● ومادام المجتمع لا يخلو عادة من الأشرار والمعوِّقين والمنحرفين عن القيم الخلقية والمجرمين والمبتزين والظالمين والمستبدين، فلابد أن يكون له من المشكلات الاجتماعية نصيب بقدر ما فيه من هؤلاء الأشرار المنحرفين .

● والمشكلة ظاهرة تتكون من عدة أحداث أو وقائع متشابكة، تتميز بخواص أهمها :

- أن تكون في إطار زمني من الوقت .
- وأن تكون محاطة بالغموض واللبس .
- وأن تكون ضارة للفرد أو الأسرة أو الجماعة أو المجتمع .
- وأن يكون حلها محتاجاً إلى مجهودات وتدابير .

● وتحتاج المشكلة من أجل أن يصبح حلها ممكناً إلى خطوات عديدة نشير إلى بعضها فيما يلي :

- تعرف المشكلة وأبعادها .
- ومعرفة أسبابها .
- واقتراح الحل أو الحلول لها .
- ومراجعة هذا الحل المقترح وتقويمه ومتابعته .
- وفحص النتائج التي توصل إليها الحل وتقويمها .

● ولا يعاب مجتمع على أن به مشكلات اجتماعية، ولكن يعاب بأنه لم يتعرفها ويبحث عن الأسباب التي أدت إليها ولم يفكر في الحلول المناسبة لها .

فما المشكلات في المجتمع المسلم المعاصر؟

* * *

مشكلات المجتمع المسلم وأسبابها

أكبر مشكلة للمجتمع المسلم هى بعده بأفراده وأسره وجماعاته عن الإسلام منهجاً ونظاماً وقيماً اجتماعية.

والمجتمع المسلم مفهوم يتردد فى العالم الإسلامى، ويتأثر بظروف هذا العالم تأثراً مباشراً وغير مباشر، وهذا العالم الإسلامى جغرافياً وسياسياً جزء من العالم كله، متأثر كذلك بما يجرى فى هذا العالم من تيارات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.

فالحديث عن مشكلات المجتمع المسلم لن يكون بمعزل من المشكلات الخاصة بكل إقليم فى العالم العربى، وفى العالم الإسلامى، كما لا يمكن أن ينعزل عن المشكلات العالمية، ومن هنا يبدو لى أن الحديث عن المشكلات الاجتماعية بحر زاخر تتباعد سواحله ومرافئه عن سوائه ووسطه الهائج المائج.

غير أن منطقنا الذى تعلمناه من ديننا هو التسديد والمقاربة والقصد، تأسيا بقول المعصوم ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ... سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا» وما رواه البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال النبى ﷺ: « ... اكلفوا من الأعمال ما تطيقون».

فسوف نقدم من هذا البحر الزاخر ما نسدد به ونقارب، والله يتولانا كما يتولى الصالحين، ونسأله أن يهيئ للحديث عن المشكلات الاجتماعية فى العالم الإسلامى مجموعة من العلماء المخلصين ليفوا بما لم أستطع الوفاء به.

ونتساءل أولاً: عن المشكلات، وثانياً: عن أسبابها، والله المستعان.

* * *

أولاً: ما المشكلات؟

نحاول رصد هذه المشكلات على مستويات ثلاثة يفضى بعضها إلى بعض، ويترتب بعضها على بعض، وتمثل فى مجموعها هَمًّا ثقيلاً بغيضاً من هموم المجتمع المسلم، وهو رصد لا نستطيع أن ندخل فى تفاصيله فى هذا الكتاب .

على المستوى الأول: مستوى العالم العربى

وأهم مشكلات العالم العربى الطافية على السطح التى لا يدخل الحديث عنها فى دائرة الحظر وتحت طائلة القوانين هى:

- مشكلة الفرقة والانقسام:

فقد سيطرت على العالم العربى فى القرن العشرين نزعة التفرق والانقسام والسير فى عكس اتجاه الاتحاد والوحدة، بحيث أصبح ما كان ينبغى أن يكون دولة عربية واحدة أكثر من عشرين دولة أو دويلة .

وإذا كان أعداء الأمة العربية من مستعمرى الغرب الذين احتلوا بلدان العالم العربى منذ مطلع القرن العشرين هم الذين وضعوا الأسس التى تؤدى إلى فرقة العرب ونجحوا فى ذلك لأن السلطة كانت بأيديهم، فإن العرب ساعدوهم على ذلك حين قبلوا إغراء الأعداء لهم بأن يستقلوا بدويلاتهم أو إماراتهم ومزجوا هذا الإغراء المعنوى بمعونات مالية وعسكرية تؤرث نيران هذه الفرقة، ومن عجب أن النزاع أو الصراع لايزال قائماً بين بعض بلدان العالم العربى حتى اليوم.

وكل ما حدث من تفتيت للعالم العربى كان وراءه العدو والولى!!

وكل مقاومة للوحدة العربية تقف وراءها قوى الأعداء وما أشرسها وأوسع نفوذها، وقوى الأولياء وما أغباها وما أقصر نظرها وما أدنأ مطامعها.

وحديث مشكلة الوحدة العربية ذو شجون..، وما تحالف أعداء الأمة العربية على زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى إلا لمنع الوحدة العربية!!

- ومشكلة تبعية الدول العربية لنفوذ الدول الأقوى:

على الرغم من استقلال الدول العربية وسيادتها على أرضها إلا أنها تخضع بشكل مباشر أو غير مباشر لنفوذ الدول الكبرى الغرب وأمريكا والاتحاد السوفيتى الذى انهار، وإن كان

لايزال يتشبث بالحياة فى صورة الاتحاد الروسى.

- ثم دخلت «إسرائيل» ألد الأعداء لكى يكون لها نفوذ فى بعض البلدان العربية فنجحت وأصبحت ذات نفوذ!!

وهذا النفوذ له صور وأشكال معروفة لا يقل بعضها خطراً عن بعض، ومنه :

- النفوذ الاقتصادى الذى أخذ شكل القروض ذات الفوائد الربوية العالية، أو شكل الاحتكار، أو شكل حرية التجارة أو شكل المعونات المشروطة، والسيطرة على الاقتصاد والسيطرة على السياسة وعلى النظم الاجتماعية كلها، وهى سيطرة لابد أن تحدث أزمة اقتصادية طاحنة وعجزا فى الموازنات المالية وما يترتب على ذلك من متاعب وأوجاع.
- وكل اقتراح تقدمه الدول صاحبة النفوذ لحل الأزمة الاقتصادية وكثيراً ما يطلب منها ذلك فتفعل، أو تقوم بتقديم هذا المقترح حفاظاً على حقوقها وديونها، كل اقتراح من هذا القبيل يزيد من حدة الأزمة الاقتصادية فى الحقيقة، وإن بدا مسكنا وقتياً، وما يسع بلدان العالم العربى بوصفها مدينة إلا الرضوخ!!
- واستيراد الأسلحة من العدو يشكِّل عبئاً اقتصادياً وآخر سياسياً وثالثاً نفسياً لأنهم يستوردون الأسلحة من العدو لمواجهة أولياء هذا العدو وهم اليهود الذين زرعهم العدو فى العالم العربى للعدوان والاستنزاف الاقتصادى.
- والنفوذ السياسى للأعداء، تمثل فى استيراد أنظمة سياسية لا تصلح للعالم العربى ولا تلائم القيم السائدة فيه، وتمثل فى سنّ قوانين وضعية غريبة علينا ومخالفة لديننا، ومخملة لقوانينا التى اشتقت من شريعتنا، وبخاصة ما يتعلق بوضع الدستور، وقواعد السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية.

ونتيجة لذلك حدثت الأزمة السياسية فى بلدان العالم العربى فولدت أنظمة شمولية مستبدة وثورات عسكرية غير ديمقراطية، وكرست الظلم وهضم حقوق الإنسان.

- والنفوذ التربوى التعليمى، الذى أخذ شكل الإصرار على تغريب التعليم بتبعيته للغرب فى المناهج وفى نظام التعليم، وفى أن يصبح الغرب قبلة للبعثات العلمية والتعليمية، فغُرِّبتْ المدارس والجامعات، ولقد استعصى بعض الناس على التغريب ولكن قصور الحكومات لم يمكنها من الأخذ بنظام التعليم المناسب للعالم العربى القائم على العلم والتقنية لأنها لا تولى التعليم عشر ما توليه للمحافظة على بقائها فى الحكم، ولهذا

أصبح التعليم لا يفى بحاجات المجتمع، فكان لابد من الاستعانة بالعدو لتطوير التعليم، ولسد الحاجات الأساسية للمجتمع، وهكذا أصبح العالم العربى يدور فى حلقة مفرغة .

● والنفوذ الأخلاقى، وهو نفوذ واسع وفاعل، ويتمثل فى أمور عديدة أهمها :

- تحويل المسلمين عن قيمهم الخلقية إلى قيم لا يقرها الإسلام ولا يرضاها من خلال «الميديا» العالمية، و«الميديا» المحلية فى كثير من بلدان العالمين العربى والإسلامى .

- وتدمير الإيمان فى نفوس المؤمنين من خلال ما يكتب وما ينشر فى كثير من الكتب والمجلات وشبكات «الإنترنت» ومن خلال تأسيس أحزاب وجماعات معادية للأديان كلها مثل : عبدة الشيطان، والرافضين للإيمان بالغيب، والمتهجمين على الإسلام دولاً وجماعات، وعلمانيين ومستشرقين، بالإضافة إلى المتهجمين الأساسيين المستمرين اليهود والصليبيين الجدد .

- وإشاعة الفواحش وخصوصاً ما يتصل بالجنس والخمر والمخدرات واعتبار العلاقة الجنسية – فى غير زواج – هدفا تتبناه المحافل والمؤتمرات الدولية كما أوصى مؤتمر المرأة ومؤتمر السكان بأن عام ٢٠١٣م هو العام الذى تزال فيه كل الحواجز حول العلاقات الجنسية، وأن يصبح من حق المرأة ممارسة الجنس من غير زواج فى ظل رعاية الحكومات فى البلدان العربية والإسلامية .

- والانحراف بالآداب والفنون عن وظيفتها الأصلية وهى تغذية المشاعر والعقول بالزاد الذى ينميها ويرقيها ويدعم إنسانية الإنسان وطهارته، لكى تصبح الفنون والآداب مثيرة للغرائز ومشجعة على ارتكاب الفواحش، مما أدى بالفعل إلى انتشار الفواحش والزنا بالمحرمات والشذوذ الجنسى بين الذكور باللواط وبين الإناث بالسحاق ونحوه .

- وانتشار المراقص وما أطلقوا عليه الرقص الشرقى، بحيث أصبحت له أماكن ترخص بإنشائها كثير من البلدان فى العالمين العربى والإسلامى، باعتباره فنّا، وتعبيرا عن جسد الأنثى فى أعلى درجات إثارته للغرائز، ورواد هذه المراقص يشاهدون الراقصات وهم يشربون الخمور ويتعاطون المخدرات، ثم يمارسون الزنا نتيجة لهذه الإثارة، وكان هذه المراقص محافل أدبية وفنية، والويل لمن يعترض أو يحاول منع هذا المنكر، إن أبسط تهمة توجه له هى الرجعية والجمود والعنف والتطرف !!

- وقتل القيم الخلقية الفاضلة فى المجتمع لتحل محلها القيم الراذلة إرضاء للمنحرفين

والعاجزين عن التحكم فى شهواتهم فى الظاهر، أما فى الحقيقة فذلك تطبيق بروتوكولات حكماء صهيون التى تستهدف القضاء على الأخلاق الفاضلة لينهار كل تماسك أخلاقى عند الناس فيضعفون ويفقدون القدرة على المقاومة، وعندئذ تتحكم إسرائيل فى العالم وتجعل من الناس جميعاً حميرا يركبها اليهود، ولا عجب فى ذلك فهو شعب الله المختار الذى خلق الله الناس مطايا لهذا الشعب كما يزعمون!!

● والنفوذ الأخلاقى بهذه الصورة يشكل أزمة طاحنة فى مجالات عديدة أهمها:

اهتزاز المرجعيات فى نظر القاصرين من المسلمين.

واضطراب الفكر والعقل والسلوك .

● ولذلك تعد مشكلة تبعية الدول العربية والإسلامية للدول والأنظمة المعادية من أخطر المشكلات وأوسعها مدى وأشدها تأثيراً سيئاً على المجتمع المسلم، والحديث فيها ذو شجون بحيث لا يتوقف الحديث عنها عند حد .

وعلى المستوى الثانى:

مستوى العالم الإسلامى

يعانى العالم الإسلامى اليوم مشكلات عديدة جلبها إليه أعداؤه وهم كُثُر، وأسهم فيها غافلو أبنائه والضالون منهم الذين يتبعون شهواتهم وشياطينهم، وهى مشكلات يجب معرفتها وتحسس أبعادها ونتائجها.

وما لم يفكر المسلمون فى حل هذه المشكلات بأزالة أسبابها، فإن التربية الاجتماعية الإسلامية تصبح معطلة.

ونحاول هنا أن نعرف أهم هذه المشكلات ونشير بإيجاز إلى أبعادها ونتائجها. أما أسبابها فسوف نتحدث عنها بعد ذلك .

وقد صنفتُ هذه المشكلات العديدة فى ثلاثة أصناف:

– المشكلات الثقافية .

– والمشكلات الاقتصادية.

– والمشكلات السياسية .

ولا أدعى الإحاطة بمشكلات العالم الإسلامى فى هذا الحيز ولكن أسدِّد وأقارب كما قلت من قبل.

● **المشكلات الثقافية :**

وهى أخطر هذه الأصناف الثلاثة، لأن ثقافة الأمة هى كيانها وعصارة فكرها، وخلاصة علمها وعملها وإبداعها، بل هى نمط سلوك الأمة، وهى المعتقدات والقوانين السائدة فيها، وهى روح الأمة التى تحيا بها.

وعند قراءة التاريخ نجد الأمم الغازية عندما ترغب فى الانتصار الساحق على أمة أو القضاء عليها، فإنها تطمس ثقافتها وتحل محلها ثقافة الغالب دون معارك عسكرية حيث تكفى السيطرة على التعليم والإعلام لتقضى الأمة المغلوبة نحبها دون هزائم عسكرية.

*** والأمة الإسلامية تعانى من مشكلات ثقافية خطيرة الأثر نشير إلى بعضها فيما يلى:**

- إخمال لغة الأمة المسلمة، وبخاصة إذا كانت لغتها العربية ليعجز الناس عن قراءة الكتاب والسنة وعن استقراء ما يتضمنه من حلول لمشكلاتهم.

وإخمال اللغة إنما يكون بفرض لغة العدو وإعطائها السيادة فى العمل والتعامل والقراءة والكتابة.

وهذا العدو معروف مألوف إذ هو يعادى الإسلام والمسلمين عموماً، وقد يكون هذا العدو محسوباً على المسلمين لكنه ولىّ لأعداء المسلمين مثل مصطفى كمال فى تركيا وأمثاله من حكام المسلمين الذين يحاربون الإسلام ويُقصونه عن الحياة وبالتالى يحاربون لغته وهى العربية ويُؤْثرون بل يفرضون لغات الأعداء [1].

وانتشار المدارس الأجنبية بل الجامعات الأجنبية فى دول العالم الإسلامى ظاهرة تلفت وتصيب بالدهشة والحيرة.. وتدل على غفلة بالغة الخطر، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

ونحن نعتبر العربية لغة المسلمين جميعاً لأنها لغة الإسلام التى لا تصح العبادة من تلاوة وصلاة ونحو ذلك إلا بها، فالتفريط فيها تفريط فى جزء من الدين.

(١) من البلدان الإسلامية التى ضاعت فيها اللغة العربية وأصبحت غريبة فى وطنها: الجزائر والمغرب وتونس وموريتانيا حيث حلت الفرنسية محل العربية باستثناء محاولات قام بها بعض الغيورين من الحكام، وكثير من دول الخليج العربى حيث حلت الإنجليزية محل العربية دون حياء، وكثير من دول إفريقيا حيث حلت الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية محل العربية!!

- وإخمال ثقافة الأمة المسلمة لتحل محلها ثقافة الأعداء، ومعنى إخمال ثقافة المسلمين أى إخمال فكرهم وعلمهم وأدبهم وإبداعهم وذلك هدف أعداء الإسلام فى كل حين، وإخمال الثقافة الإسلامية يقابله انتشار ثقافة الأعداء وسيطرتها على الأمة المسلمة، ومعنى ذلك أن تذوب شخصية المسلم فى تلك الثقافة المعادية وأن يصبح المسلم مشوه الثقافة أى مشوه الشخصية، وأول ما يظهر هذا التشوه الثقافى الفكر والرؤية ثم فى القيم والسلوك.

- وتحويل ولاء المسلم عن الولاء لله ولرسوله ولكتابه وسنة نبيه ﷺ ولإخوانه المسلمين، إلى الولاء لأصحاب هذه الثقافة التى شوَّهت المسلم، فيصبح نظره للدين كنظر أصحاب تلك الثقافة، وتعامله مع الدين؛ أحكامه وقيمه كتعامل أولئك الذين يعزلون الدين عن الحياة، وينادى مضللهم بقوله: «ما لقيصر لقيصر وما لله لله!!» وهى مقولة ضالة معطلة معوقة تصرف الناس عن الاهتمام بشئون الدنيا، وترك ذلك للقيصر وأعوانه من الظالمين.

ووجه الصواب فى هذه المقولة أن كل شئ حتى القيصر نفسه لله، قال الله تعالى: ﴿**بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا**...﴾ [الرعد: ٣١]

- وانحرفت بالأدب والفن والإبداع عن دعم الحياة الإنسانية والدعوة إلى التأمل والتدبر لما فيها من مخلوقات، والإعجاب بما فيها من جمال وبهاء وإحكام صنعة وروعة طبيعة، انحرفت الثقافة عن ذلك إلى تسخير الأدب والفن والإبداع إلى تصوير أسوأ ما فى النفس الإنسانية عن شهوات جامحة وأهواء ضالة مضلة بحجة أن هذا هو الإبداع، ألا ساء ما يحكمون!! ولو كان الإبداع كما يتوهمون لوجدنا فى القرآن الكريم أو فى السنة حديثاً مكشوفاً عن هذه الشهوات والغرائز البهيمية، لكن حاشا الله، وجل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

إن الإنسان وهو يعبر عن شهواته وغرائزه فى غير ما أحل الله يكون فى أسوأ صوره وأبعدها عن سمت المؤمنين، فهو لا يزنى ولا يسرق ولا يشرب الخمر إلا ويفارقه إيمانه ويصبح والحيوان سواء؛ يعبر كل منها عن غرائزه وشهواته بغير قيود وفى غير آداب مرعية.

ونكتفى بهذا فى ضرر إخمال ثقافة الإسلام وانتشار ثقافة أعدائه.

- ومن المشكلات الثقافية التى تعانى منها الأمة الإسلامية المعاصرة، انتشار قيم أعداء الإسلام في المجتمع المسلم. وذلك أن قيم الإسلام قيم إنسانية رفيعة تأمر بفعل الخير

وتنهى عن فعل الشر، وتحترم إنسانية الإنسان وتحافظ على حقوقه وحرياته، وتلزمه بواجباته.

وأعداء الإسلام يريدون لهذه القيم أن تزول وتحل محلها قيمهم، وهى قيم تتسم فى مجموعها بل فى جميعها بالنفاق ومخالفة العمل للقول، القيم التى أعلنت عن حقوق الإنسان فقط فى عام ١٩٤٨ مجرد إعلان من هيئة الأمم المتحدة ثم تنكرت لهذا الإعلان فى الواقع وفى التعامل فى كل دولة من تلك الدول الكبرى التى تعادى الإسلام وتتربص به، فحقوق الإنسان منتقصة بل منتهكة فى داخل أكثر هذه الدول، وأخص بالذكر الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا وفرنسا وأسبانيا وألمانيا، وما لا أحصى من الدول التى تحسن التشدق بحقوق الإنسان، وكأن هذا الانتهاك لحقوق الإنسان لم يشبع رغبتهم فى انتهاك حقوق الإنسان، فجعلت هيئة الأمم المتحدة تتجاهل حقوق الإنسان، بل تتحداها فى كثير من الأحيان - كما فعلت فى صراع الفلسطينيين اليوم بعد انتقاضة آخر سبتمبر عام ٢٠٠٠م، وكما فعلت فى البوسنة والهرسك وكوسوفا وألبانيا وكثير من الجمهوريات المتاخمة لاتحاد روسيا، فإن عجزت هيئة الأمم ومجلس أمنها عن انتهاك حقوق الإنسان غير الغربى استعملت إحدى الدول الكبرى ثراءً وقوة عسكرية، حق الاعتراض - الفيتو - لتنتهك حقوق الإنسان مادام مسلماً أو ملوناً!!

- وعند انتشار الثقافة غير الإسلامية تنتشر معها قيم الأعداء لهذا الدين، ومن هذه القيم:

- ازدواجية المعايير.
- وخطف الإنسان من ذويه ليتحول إلى رقيق يعمل فى مزارع الأغنياء دون أجر، ولايزال استرقاق أطفال أفريقيا قائماً حتى اليوم، كما نشرت ذلك وسائل الإعلام فى هذه الأيام.
- واضطهاد الملونين والمخالفين فى الدين وفى الجنس والعرق، والنظر إليهم نظرة دونية غير إنسانية.
- وسوء استغلال حاجة الدول الفقيرة، وإغراقها بالديون واتفاقيات التجارة الظالمة المستغلة، وفرض العقوبات على بعض الدول تطبيقاً لنظام التمييز العنصرى، وانتشار التعامل الانتقائى فى كل هذه الدول التى تدعى ولا تعمل، وتبحث عن مصالحها مهما أضرت بغيرها، وتشكل جمعيات للرفق بالحيوان وأخرى لانتهاك حقوق الإنسان.
- ولا تنتشر ثقافة أعداء الإسلام بديلاً عن الثقافة الإسلامية إلا بالسيطرة على التعليم

مدرسة ومنهجاً ومعلماً وكتابا، والسيطرة على العلوم والفنون والآداب، والسيطرة على الإعلام أجهزته ومؤسساته ومادته الإعلامية، لتفرز بهذه السيطرة سما قاتلاً لكل ما هو إسلامى ومن هو إسلامى، ومالاً ونفوذاً وخيرات تجرى فى أيديهم ليزداد بتلك السياسة الفقراء فقرا والأثرياء ثراء فاحشاً!!

والويل كل الويل لمن تصدى لهذه الثقافة بالنقد أو الاعتراض فضلاً عن الرفض والامتناع، إن طائرات حلف شمال الأطلنطى وصواريخه، وآليات الحرب الأمريكية بالمرصاد لكل متمرد على هذه الثقافة رافض لها، إن أى دولة ترفض الخضوع لذلك قد سموها دولة «مارقة» وإن فى انتظارها الحرب والضرب والحصار والخطر والتجويع والترويع!!

المشكلات الاقتصادية:

وهى مشكلات عديدة وضارية، ولا تقل بشاعة فى سوء استغلالها للمسلمين عما تتفتق عنه عقلية اليهودى المرابى الذى يُقرضُ أو يَقْرِضُ لحم مَنْ أقرضه، ثم يقضى عليه قضاء نهائياً بفوائد هذه القروض، ولقد انتقلت عدوى هذا المرض من اليهود إلى سائر الدول القوية أو الغنية، فأصبح العالم كله فرائس وقعت فى براثن هذا اليهودى المرابى الذى لا يزال بفريسته حتى يقضى عليها.

● إن دول الغرب وأمريكا أصبحت ذلك اليهودى المرابى وإن سائر دوله العالم وقعت فى هذه الشباك.

وإن دول العالم الإسلامى قد نالها من ذلك أوفى نصيب، وإن منها من أجهز عليه المرابى ومنها ما ينتظر أن يلفظ آخر أنفاسه فى قبضة هذا المرابى.

– وإن دول العالم الإسلامى تملك من المواد الأولية ومن الأراضى ومياه الرى، ومن الأيدى العاملة ومن القدرات والمقدّرات الاقتصادية ما يفى بكل احتياجاتها الإنسانية فى الحرب والسلام، ولكنها أمام هذه القوى الطاغية الباغية لا تملك أن تتخذ قراراً بالتحرر من هذا الاستغلال الاقتصادى أو الاستعباد، مهما زعمت أن لديها مجالس متخصصة لاتخاذ القرار أو دعم اتخاذ القرار!!

إن القرار الذى يمكن أن تتخذه هذه الدول أو هذه المجالس هو القرار الذى تقترحه تلك الدول القوية ويشير به خبراؤها مستشارو معظم الدول الإسلامية! ولن يشيروا إلا بما يحقق مصالح دولهم ذات السلطة والنفوذ.

- إن دول العالم الإسلامى تُمنع من إنتاج كل سلعة تنتجها تلك الدول الكبرى، وعلى سبيل المثال:

● فهى لا تزرع القمح إلا فى حدود ما يسمح للقمح الأمريكى أن يسيطر على السوق حتى وإن ألقت أمريكا بفائض إنتاجها من القمح فى عرض المحيط!!

● ولا تنتج من النفط إلا بالقدر الذى تقترحه تلك الدول القوية المسيطرة خشية أن تحقق عائدات النفط ربحاً وفيراً للدول المنتجة، فلمن النفط على وجه الحقيقة؟ لمنتجه أم لمستهلكه، ولأصحابه أم لحراسة المسيطرين عليه.

● وإن السيطرة الاقتصادية التى يفرضها أعداء الإسلام والمسلمين تستهدف أولاً ألا تتقارب دول العالم الإسلامى اقتصاديا فضلاً عن أن تتكامل أو تحقق اتحادا اقتصاديا فضلا عن وحدة كتلك التى نجحت فيها دول أوروبا!!

● وإن كثيراً من المنتجات التى تنتجها بلدان إسلامية تشتريها دول الغرب بالثمن الذى تريد ثم تبيعها لبعض الدول الإسلامية بالثمن الذى تفرضه عليها، فهى دول رابحة عندما حاربت الإنتاج حماية لمنتجاتها ورابحة عندما احتكرت التجارة وفرضت الأسعار التى تريدها، بدليل أن كثيراً من النفط الذى تنتجه دول إسلامية تشتريه دول إسلامية أخرى من الدول التى تعادى الإسلام وتتربص به!!

- والاقتصاد فى مجال الصناعة، كالاقتصاد فى مجال الزراعة، كالاقتصاد فى مجال التعدين، كالاقتصاد فى مجال التجارة، كالاقتصاد فى أى مجال لابد أن توضع له سياسة على أيدى هؤلاء الأعداء الذين يتشدقون بالحريات والحقوق، ولا يمنعهم ذلك من مناقشة القضايا الاقتصادية للدول الضعيفة فى مجالسهم النيابية واتخاذ القرار فيها بعيداً تماما عن أصحابها، ولقد ضرب «الكونجرس» الأمريكى فى ذلك عشرات الأمثال، حتى ليمكن القول بغير مبالغة بأنه أصبح «برلمان العالم» ولا يعترض على ذلك إلا مارق ينتظر الويل والثبور وعظائم الأمور!!

- والتجارة ونقل المنتجات بين الدول الإسلامية لا يتم إلا من خلال اتفاقات ومعاهدات تحقق للمرابى كل أهدافه، ولا تعطى للدول المصدرة إلا الفتات، وبشرط أن لا يكون ما صدر منافساً لما تصدره تلك الدول القوية الغنية التى تستطيع حظر النقل جواً وبحراً وبراً

لأَوْهَى الأسباب؛ إذ ما أيسر أن تطلق على الدولة التى تصدر أنها دولة ترعى الإرهاب، أو تعادى السامية، أو تنكر محارق النازى لليهود، عندئذ تستباح كل حرماتها وحرياتها وتحاصر وتجوع حتى الموت أو دونه بقليل !!

- إن التجارة البينية فى دول العالم الإسلامى لابد أن تأخذ إذن مرور من هؤلاء الأعداء بشروطهم التى يضعون، وبأرباحهم التى يرغبون!!

- وإن البنك الدولى وصندوق النقد الدولى مؤسستان يملكهما الكبار الأقوياء ويسيطرون عليهما ويفرضون من خلالهما السياسة الاقتصادية التى يريدون.

- وإن الدول التى يسمح لها بأن تقترض بأفحش أنواع الربا لهى الدول المستكينة الخاضعة لنفوذ الأقوياء، الدول المؤهلة بهذه القروض للغرق فى هذه الديون والعجز عن سداد فوائدها الربوية مهما استنزفت مواردها ومهما خصخصت وباعت ورهنت مقدراتها الاقتصادية سنوات وسنوات.

- ومخطئ من يتوهم أن الخروج من وباء الديون والقروض ممكن أو يمكن أن تكون له نهاية، وممعن فى الخطأ بل معرض نفسه للدمار بعد الحصار من يستغنى عن هذه الديون أو يتأبى على دفع فوائدها الربوية؛ إنه سريعاً ما يصنف مارقا أو إرهابيا أو مشجعا للإرهاب، أو يؤثر العنف والتطرف.

- وإن إنتاج السلاح بكل أنواعه وخصوصاً المتطور من هذه الأنواع محظور على بلدان العالم الإسلامى، لأنه حكر على الدول القوية الغنية المسيطرة.

ولا تشذ عن هذه القاعدة إلا دولة داخلة مع إحدى دول العالم الإسلامى فى حرب أو صراع، عندئذ تهيأ لها أسباب إنتاج الأسلحة المتطورة وتبارك خطواتها فيها، وأوضح مثل لذلك، إسرائيل المعادية للعالمين العربى والإسلامى، والهند المعادية لباكستان المسلمة.

- ولا يستطيع أحد أن ينسى موقف الولايات المتحدة الأمريكية وكثير من دول الغرب من السكوت بل الرضا على إنتاج أسلحة ذرية نووية فى إسرائيل، والهند، فلما استطاعت باكستان أن تنتج قنبلة ذرية هاجت وسائل الإعلام الغربية وماجت وادعت أن باكستان قد أجرمت فى حق الإنسانية بهذا الإنتاج!!

● أما أن تقتل إسرائيل الفلسطينيين بالأسلحة الأمريكية المتطورة وتواجه الحجارة بالصواريخ وتقتل الأطفال والرضع، فهذا ليس بعنف ولكنه رد على العنف الضارى المسلح بالحجر والنبال، رد عليه بالصواريخ والطائرات والدبابات، والعالم الغربى وبخاصة أمريكا التى تزعم أنها راعية السلام ينظر إلى جرائم إسرائيل المضادة للإنسانية على أنه عمل يمكن أن يوقف إذا كف الأطفال عن قذف الحجارة فى اتجاه المحتلين المجرمين!!

● فإذا طلب الشعب الفلسطينى المسلح بالحجارة حماية دولية ضد دبابات إسرائيل ومدفعيتها وطائراتها استعملت أمريكا حق النقض أى قالت: على الفلسطينيين أن يموتوا بالأسلحة الأمريكية بالأيدى الإسرائيلية إن كانوا جادين فى الرغبة فى السلام والتفاوض، وهكذا تدان الضحية ويعان القاتل على الإسراف فى القتل، تلك لغة العصر ومعطيات أعداء الإسلام والمسلمين!!

● ومن صميم العمل الاقتصادى اليوم فى البلدان الإسلامية أن يصطنع أعداء الإسلام الحروب بين دول العالم الإسلامى تسويقاً للسلاح الذى ينتجه الأعداء.

فمنذ قيام الحركات الإسلامية المناهضة لأعداء الإسلام والغرب يوجه أعتى الضربات لهذه الحركات ويؤرث الحروب التى يُسوِّق فيها أسلحته، وقد عانينا نحن فى العالم العربى من حربين مدمرتين حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران، وحرب الخليج الثانية التى اجتاحت فيها العراق الكويت.

● وأنا أسمى هاتين الحربين حربى استنزاف الأمة العربية والإسلامية لصالح الغرب، فكم هى المليارات التى بيعت بها الأسلحة فى هاتين الحربين، ولماذا استمرت الأولى منهما ثمانى سنوات؟ ولماذا استمرت آثار الثانية إلى اليوم؟ ومن المستفيد من هاتين الحربين؟ إنه الغرب صانع السلاح ومسوِّقه ومدمر العرب والمسلمين به.

ومن الخاسر في هاتين الحربين؟! إنها الأمة العربية التى أنهكت واستنزفت ولا تزال تستنزف إلى اليوم وإلى سنوات أخرى طويلة.. وكل ذلك لصالح إسرائيل والغرب وصالح كل أعداء الأمة الإسلامية.

تلك صورة وجيزة مجملة للمشكلات الاقتصادية التى يدبرها أعداء الأمة الإسلامية للإسلام والمسلمين، فهل يعى حكام الدول الإسلامية ما يدبرلهم؟ وهل يستطيعون حشد طاقات دولهم وإمكاناتهم لمواجهة هذا العدو الخبيث الضارى الذى لا يتوقف عند حد فى عدائه؟

المشكلات السياسية :

كثيرة هي المشكلات السياسية التي يعاني منها العالم الإسلامي، بل هي مشكلات طاحنة تمثل تعويقًا وتعطيلا لقوى العالم الإسلامي وتوجيهها في غير الاتجاه الصحيح.

– والذي لا يشك فيه مراقب للأحداث السياسية في العالم الإسلامي أن وراء هذه المشكلات السياسية تلك القوى المعادية للإسلام من اليهود والغرب وأمريكا ولفترة ليست بالقصيرة ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي.

والبحث عن أسباب هذا العداء ليست محل اهتمامنا في هذا الكتاب[1]، لكن مظاهر هذا العداء هو ما يعنينا أن نتحدث فيه بإيجاز في هذه الصفحات:

- أبرز هذه المشكلات السياسية أن هؤلاء الأعداء عمدوا إلى تمزيق العالم الإسلامي بعد تحالفهم ضد دولة الخلافة العثمانية منذ أخريات القرن التاسع عشر الميلادي، وإلى الآن.
- فقد استطاعوا – وكان بأيديهم القوة والغلبة – أن يمزقوا الدولة الإسلامية إلى أكثر من خمسين دولة[2]، وأن يختاروا لكل دولة سياسة وأهدافا تناقض أو تعادي دولة أو دولا إسلامية أخرى، وحالوا ولا يزالون يحولون بين اتحاد إسلامي ووحدة إسلامية، لما في هذه الوحدة من فائدة للمسلمين وضرر بأعدائهم ونجحوا في ذلك أيما نجاح، ودفعت الدول الإسلامية لهذا التمزق أبهظ الأثمان من ثقافتها وكرامتها، واقتصادها وسياستها وحاضرها.

– وإقصاء الإسلام منهجا ونظاما عن الحياة السياسية، لإحلال المناهج والنظم المعادية محله، حتى إنهم ألقوا في روع كثير من الغافلين الجاهلين بالإسلام أن الدين لا علاقة له بالسياسة وأن السياسة لا تقبل الدين، وانطلقت أجهزة الإعلام ومؤسساته تتهم تسييس الدين أو تديين السياسة في بجاحة لا يبررها إلا الجهل الكبير بالدين، أو التأثر الشديد بما كان عليه الغرب من صراع مع الكنيسة يوم كانت تسيطر على كل شيء، وأصْلَتْهُم نيرانا حامية باسم الدين بل استولت على أموالهم باسم الدين بل منعتهم من الفكر وحالت بينهم وبين الحرية.

---

(١) ناقشنا ذلك بتوسع في الحلقة الخامسة من هذه السلسلة: التربية السياسية الإسلامية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) عدد اليوم ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م ٦٥ دولة أو دويلة إسلامية.

● والإسلام دين خاتم كامل تام ومنهجه عام شامل ناسخ لكل المناهج الدينية التى سبقته، ومن عموم المنهج وشموله لكل مرافق الحياة الإنسانية تأتى السياسة جزءاً صغيرا من مفردات هذا الدين.

● وإذا كانت السياسة هى حسن التدبير للأمور عموما، ولأمور الحكم علي وجه الخصوص، فإن الإسلام قد أوجب فى منهجه حسن التدبير بل حسن الرعاية لكل أمر من أمور الناس سواء أكان متعلقا بالحياة الدنيا أم بالحياة الأخرى، ووضع من الشروط والآداب لهذا التدبير وتلك الرعاية ما يحقق العدل بين الناس والمساواة بينهم فى الحقوق والواجبات، واحترام حقوقهم ومطالبتهم بأداء واجباتهم وحسن التقاضى بينهم، وتقرير مبدأ الشورى فى كل ما يهمهم، وحماية أمنهم فى داخل البلاد وخارجها حيث شرع المرابطة على الثغور والجهاد فى سبيل الله، وما ذلك إلا من صميم السياسة، وهو في الوقت نفسه لب المنهج الإسلامى وجوهره وأهدافه.

● وإن منهج الإسلام فى الحياة ما ترك شيئا من أمور الناس فى حياتهم إلا أمر به إن كان فيه خير لهم، أو نهى عنه إن كان فيه شر لهم، وذلك من صميم السياسة، لأن السياسة تقوم على احترام القوانين والنظم التى تحقق العدالة بين الناس، وليس كالإسلام نظام ولا منهج فى هذا المجال، « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ومع ذلك يقول بعضهم إن الدين يجب أن يُقْصَى عن السياسة أو أن السياسة لا علاقة لها بالدين!!

– ومن المشكلات السياسية فى العالم الإسلامى أن حلَّت القوانين الوضعية محل منهج الإسلام وأنظمته، وأصبح الحكم بين الناس بغير ما أنزل الله بل بهذه القوانين الوضعية التى وضعها الناس بعضهم لبعض، فجاءت قاصرة قصور الإنسان، عاجزة على قدر عجزه متحيزة فى إطار ضيق من عقول واضعيها، منحازة غالبا إلى مصالح من وضعوها، فأنتجت ظلما وعدوانا على الآخذين بها، وعجزا عن تحقيق العدالة الاجتماعية.

فى حين أن ما وضعه الله لعباده من منهج ونظام فيه العدالة والحياد والشمول والكمال، ما يجادل فى ذلك إلا الذين لا يعلمون أو يعلمون وينكرون، وحساب كل أولئك عند الله تعالى.

– ومن مشكلات العالم الإسلامى السياسية أن أنظمة الحكم فى كثير من بلدانه أنظمة شمولية مستبدة، سواء منها ما كان عسكريا أو غير عسكرى، وأعداء الإسلام يشجعون

ذلك بل يعملون على إيجاده إن كان غير موجود، لأن هذه الأنظمة تحدث قلقا واضطرابا وانقلابات عسكرية مضادة، وهذا من شأنه أن يصرف الدولة عن أهدافها الإصلاحية لانشغالها بقمع المعارضين بشتى وسائل القمع حتى لو كان منها هدم البيوت على ساكنيها، أو إلقاء المعارضين فى أحواض مليئة بحامض الكبريتيك، أو بدفنهم أحياء، أو بتعذيبهم حتى الموت، أو بسجنهم مدى الحياة، أو بطردهم من أوطانهم، وكل ذلك يصيب الناس جميعا بالخوف والفزع فى انتظار هذا المصير فى ظل قضاء عسكرى عادل وأحكام عرفية ديمقراطية، ومن هنا تتوقف عقول الخائفين عن الإبداع فى مجال العلم والأدب والفن، فيزداد التخلف وتقل الموارد ويضطرب الاقتصاد ويختل، فيتدخل العدو بقروضه وما يفرضه مع هذه القروض من شروط سياسية أو اقتصادية أو غيرها من الشروط.

ومن أجل هذا يعمل العدو على أن تظل أنظمة الحكم فى البلدان الإسلامية شمولية ظالمة متعسفة تثير الحقد وتعوق التنمية.

– ومن مشكلات العالم الإسلامى السياسية تسخير كل نشاط فى الدولة لصالح السياسة أى صالح البقاء فى السلطة.

وعلى سبيل المثال: فإنهم يخضعون الاقتصاد للسياسة والأصل أن تخضع السياسة بوصفها «حسن تدبير» للاقتصاد وللثقافة، وللنظم الاجتماعية، ولكن أنظمة الحكم الشمولية الظالمة تجعل كل شىء خاضعًا للسياسة وموظفا لصالحها أو لصالح الحاكم!!

وتلك مشكلة سياسية فى معظم بلدان العالم الإسلامى، لأن معظم بلدان العالم الإسلامى تعيش أنظمة حكم شمولية لا تقيم وزنا كبيرا للمواطن وحقوقه وحرياته، سواء منها ما كان عسكريا أو غير عسكرى.

– ومشكلة اضطهاد العاملين فى الحركة الإسلامية اضطهادا لا نظير له فى دنيا الظلم وعالم الأنظمة الشمولية المستبدة، وإذا كان اضطهاد الإسلاميين لصالح الحكام الظالمين فإنه بالقطع لصالح اليهود وأعداء الحركة الإسلامية من الغرب عموما وأمريكا خصوصا والاتحاد الروسى الذى لا يزال يعيش الإلحاد على الرغم من سقوط الاتحاد السوفيتى منبع الإلحاد، والسخرية من الأديان.

- وضرب الحركات الإسلامية عمل يقرب إسرائيل من هدفها الأكبر وهو إقامة دولتها من الفرات إلى النيل، وإسرائيل أعلم الناس بأن الإسلاميين هم أعداؤها وهم العقبة أمام مشروعها أو حلمها الذى لن يتحقق أبدا بإذن الله تعالى.

- كما أن ضرب الحركات الإسلامية عمل يحقق كثيرا من أهداف أعداء الإسلام من صليبيين جدد وملحدين مخضرمين ومنكرين للغيب، وأعداء للإسلام وللمسلمين.
- وضرب الحركات الإسلامية أمل لكل أصحاب الأهواء والبدع، والذين استعبدتهم شهواتهم، لأنهم لن يجدوا من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولا مَنْ يذكرهم بأيام الله ويرقق قلوبهم ويهذب سلوكهم ويدعوهم إلى الهدى بالحكمة والموعظة الحسنة.
- وضرب الحركات الإسلامية يثلج صدور العلمانيين الذين ينادون بعزل الدين عن حياة الناس، وإقصائهم عن منهج الله ليقعوا فى هُوَّة سحيقة بلا قرار من مناهج ضالة مضلة، تطلق لشهوات الإنسان العنان باسم الحرية الشخصية وتنادى بأن الصلاة خضوع والصيام مجرد جوع وعطش يعطل القوى العاملة فى الشعوب الكادحة والحج وثنية إسلامية، والزكاة تضييع للمال، وذكر الله تعالى دروشة وتخلف، والزواج قيود لا لزوم لها، والزنا حرية شخصية وتعبير عن الغريزة، واللواط بل زواج الرجل بالرجل حق لكل منهما وقد أباحته انجلترا بقانون.

ذلك بعض ما ينادى به العلمانيون دعاة عزل الدين وبخاصة الإسلام عن حياة الناس، ولا يُسَرّ العلمانيون بشيء كسرورهم بضرب الحركات الإسلامية التى تقف عقبة فى طريق باطلهم وضلالهم.

- وكل من يضرب الحركات الإسلامية من حكام المسلمين يعلم ذلك علم اليقين، ولكنه يتقرب بذلك إلى أوليائه وسادته، حتى يظل موضع الرضا فيظل على كرسيه.

- إن الذين يضربون الحركات الإسلامية مغرورون بقوتهم وقدرتهم المادية على ضرب هذه الحركات، غافلون حين يتصورون أن ضرب الحركات الإسلامية سوف يقتلع الإسلام من نفوس المسلمين هلعاً مما يحدث لهؤلاء الإسلاميين من تنكيل وتعذيب وإهدار لحقوقهم فى أوطانهم، إن اقتلاع الإسلام من نفوس المسلمين مستحيل عقلاً لأن الإسلام دين الفطرة، ومستحيل عمليا لأنه مع كل عدوان على الإسلاميين يزداد المسلمون تمسكا بدينهم واعتزازا بالانتماء إليه ورفعا لشعار «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وما أتصور إلا أن الإسلاميين منتصرون على هؤلاء الطغاة عما قريب، وما بقى على هذا الوقت القريب إلا أن يصفى الإسلاميون أنفسهم وقلوبهم وعقولهم من الشوائب التى تعلق

بإيمانهم، فتحول بينهم وبين أن يكونوا أهلا لأن يتحقق على أيديهم النصر والتمكين لدين الله في الأرض، لكن ذلك يوم آت بغير ريب، وعسى أن يكون أقرب مما يتصور هؤلاء الطغاة الصغار وهؤلاء الأعداء الكبار للإسلام والمسلمين، وأصدق ما يعبر عن أمل المسلمين في النصر، وخسران هؤلاء المعاندين في الدنيا قبل الآخرة حيث تصيبهم بما صنعوا الكوارث والقوارع التي تهلكهم، هو قول الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ**(١) **بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** ﴾ [الرعد: ٣١، ٣٢].

وعلى المستوى الثالث:

مستوى العالم كله

العالم أجمع يعاني من كثير من المشكلات التي يجلبها إليه طغاته وجُهَّاله، ويعاني منها الناس جميعا بمن فيهم هؤلاء الطغاة، وتلك من سنن الله في خلقه.

وكل مشكلة عالمية سوف تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في العالمين الإسلامي والعربي.

وأبرز هذه المشكلات:

- الحروب الساخنة أو الباردة:

وهي من كبرى المشكلات الإنسانية نظرا لما تخلفه من ضحايا وخراب ودمار، وأوضح مثالين لها:

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م.

والحرب العالية الثانية ١٩٣٩م.

إن آثار الحرب العالمية الثانية لا تزال آثارها التدميرية باقية حتى الآن، يتوارثها الأبناء والأحفاد الذين شوهتهم القنابل الذرية التي أطلقتها الولايات المتحدة الأمريكية على اليابان في هيروشيما ونجازاكي.

(١) أي: لكان هذا القرآن الكريم.

وأما الحرب الباردة فقد بلغت ذروتها بين الغرب وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، وما كلفته هذه الحرب لشعوب العالم كله من أعباء وخسائر مادية ومعنوية.

فلما سقط «الاتحاد السوفيتى» طلع على الناس مشئوم[1] ينادى بأن العدو التقليدى للغرب بعد «الاتحاد السوفيتى» هو الإسلام، وأن الحرب بنوعيها الساخنة والباردة يجب أن توجه إليه.

ولقد وجهت الحرب بنوعيها ضد العالمين العربى والإسلامى وأوضح أمثلة لذلك:

- حرب الخليج الثانية بعد اجتياح صدام للكويت، تلك الحرب التى أكلت الأخضر واليابس فى دول النفط العربية.
- وحرب البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان التى تحاول حتى اليوم القضاء على كل ما هو إسلامى فى أوروبا.
- وحرب جنوب السودان التى يمولها الغرب وأمريكا بالذات من أجل فصل جنوب السودان عن شماله تحديا للإسلام والمسلمين فى السودان وما جاوره.
- وحرب إريتريا وأثيوبيا.
- وحرب الصومال.
- وحرب لبنان.
- وحرب الجزائر الداخلية «البربر».
- وحرب نيجيريا الداخلية.

وكلها حروب موجهة ضد الإسلام - تحركها القوى المعادية للإسلام، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والغرب واتحاد روسيا.

أما ما يحدث فى فلسطين فهو التحدى السافر لكل قيمة إنسانية فى الحياة، حيث تسكت دول العالم جميعا - وبغير استثناء - على ما تفعله إسرائيل فى الفلسطينيين الذين يحملون الحجارة ليدافعوا بها عن أنفسهم ضد الطائرات والدبابات والمدافع، والعالم كله - بما فيه العالمان الإسلامى والعربى - قد سكت ولم يحرك ساكنا، ومجلس الآمن رفض حماية

---

(١) أحد وزراء فرنسا بعد سقوط «الاتحاد السوفيتى» وكثير غيره من قادة الغرب، فضلا عن اليهود والصليبية الحديثة.

العزل ضد أكبر دولة معتدية تملك أسلحة الدمار الشامل وتتعامل بها مع النساء والأطفال، وأمريكا بالمرصاد لأى قرار يدين المعتدى ومع كل قرار يدين الضحية!!

إن درجة كراهية أمريكا فى نفوس المسلمين والعرب تبلغ الآن درجة كراهيتهم لإسرائيل، وأعجب العجب أن أمريكا وإسرائيل تأملان فى أن يعيش العرب وإسرائيل فى تعايش وسلام!! إلا أن ذلك هو المستحيل بعينه، وإن هذه الكراهية تتزايد يوما بعد يوم، وهى بحد ذاتها حرب باردة يشنها أكثر من ألف مليون مسلم على إسرائيل وأمريكا بإيمان وإصرار واستمرار.

- ومن الحرب الباردة التى يشنها أعداء الإسلام والمسلمين عليهم، تلك الحملات التشويهية المضللة ضد كل ما هو إسلامى، وتلك المصطلحات الكاذبة التى أطلقوها على الإسلاميين عموما وعلى الحركيين الإسلاميين خصوصا، وهى حملات ومصطلحات تروج لها آلة إعلامية أمريكية ضخمة تسيطر عليها إسرائيل أو اليهود فى أمريكا، وتفرز مسرحيات وأفلاما سينمائية وتمثيليات وصحفا ومجلات وكتبا، ومؤتمرات وندوات وإذاعات مسموعة ومرئية.

- ومن هذه الحروب الباردة أيضا ما يبثه الأعداء من سموم ودعاية مضادة لكل ما هو إسلامى فى شبكات الاتصال على مستوى العالم، وما يجلبه ذلك من فساد ودمار.

– ومن أخطر ما يعانيه العالم اليوم – وعلى رأسه هيئة الأمم المتحدة وما يتبعها من مؤسسات ومجالس فى قمتها مجلس الأمن – مشكلات مذهلة عند التأمل فى أبعادها بل تصيب من يتأملها بالإحباط واليأس والقنوط، إذ هى مشكلات تتصل بفقد المصداقية فى كثير من الشعارات التى يرفعها العالم مباهياً، ومن هذه الشعارات:

- حقوق الإنسان.
- والشرعية الدولية.
- وحق تقرير المصير.
- وحقوق المرأة.
- وحقوق الطفل.
- والحق فى حياة آمنة.
- وحق الإنسان فى الحرية.

- وحق المساواة دون تمييز، عرقى أو دينى أو نحوه.
- وحق الإنسان فى أن تكون له أسرة.

كل هذه الحقوق تنتهك جهارا نهارا، والذين ينتهكونها هم الذين يطلقونها ويباهون بها، ويقرونها فى مواثيق دولية.

وفى قمة هؤلاء المنتهكين إسرائيل، بل هى أصبحت قدوة فى هذا المجال وتليها أمريكا ثم روسيا ثم دول الغرب، بحيث قد فقدت هذه الشعارات معناها مع مصداقيتها لكثرة ما انْتُهِكت وديست بقرارات دولية.

– ومن مشكلات العالم اليوم تلك السياسة الاقتصادية الضارية التى تزيد الغنى غِنىً والفقير فقراً، فيزيد عدد المترفين المصابين بالتخمة، وعدد المعوزين المصابين بالهزال.

- إن نظرة فاحصة للسياسة الاقتصادية التى تضعها الدول الغنية أو الدول الصناعية أو دول الشمال أو دول حق «الفيتو» تؤكد أنها سياسة غير إنسانية.

وأوضح مثال لذلك:

أن «الكونجرس» الأمريكى يستطيع أن يُصدر قراراً بتدمير اقتصاد أى بلد فى العالم بفرض قيود قاتلة، لصالح أمريكا فلا يجد معترضا على قراره، كما حدث أكثر من مرة ضد بعض دول أمريكا الجنوبية وضد إيران والسودان وليبيا والعراق، بل إن انجلترا التى تحولت إلى ذيل لأمريكا تسرع دائما وبغير وعى إلى تأييد ما تقرره أمريكا.

وبعد: فتلك هى المشكلات وأبعادها فى المجتمعات التى تدين بالإسلام وهى متأثرة بالمشكلات العالمية كما أوضحنا.

فما أسباب هذه المشكلات فى المجتمع المسلم؟

ذلك ما نرجو توضيحه فيما يلى والله المستعان.

* * *

ثانيا : أسباب المشكلات فى المجتمع المسلم

المجتمع المسلم الذى نقصده هو كل بلد من بلدان العالم الإسلامى، الذى يمثل المسلمون أكثرية سكانه أو كل سكانه . . مع غض النظر عن نظام الحكم السائد فيه ومدى تمسكه بمنهج الإسلام ونظامه فى الحكم؛ وذلك بسبب أن المشكلات فى هذا المجتمع متشابهة أو متقاربة على الرغم من اختلاف الشعوب فى هذه البلدان.

وإذا تشابهت المشكلات تشابهت أسبابها أو تقاربت، وعندئذ تتشابه وسائل علاج هذه المشكلات أو تتقارب.

- وهذه الأسباب لابد أن تكون عامة فى مجملها، وأن يخضع كل سبب منها إلى تفصيل، فالأسباب العامة تعم العالم الإسلامى كله، والخاصة أو التفصيلية تخص كل إقليم أو وطن على حدة.

وحديثنا هنا عن الأسباب العامة فقط، أما التفصيلية ففى حاجة إلى بحوث ودراسات عديدة يقوم بها أبناء تلك الأوطان فهم أدرى بشعابها.

- وسأتحدث عن هذه الأسباب الكبرى أو العامة من وجهة النظر الإسلامية متأثراً فيها بالظروف والملابسات التى تقتضيها معايير التربية الإسلامية وتوجهاتها، ويهمنا فى هذا الكتاب ما يتصل بالتربية الاجتماعية الإسلامية التى هى موضوع هذا الكتاب لأجعلها الأساس فى البحث عن أسباب هذه المشكلات التى يعيش فيها العالم الإسلامى المعاصر، والله المعين.

- يرى المهتمون بالتربية الإسلامية الاجتماعية أن هذه الأسباب فى عمومها ثلاثة:

- التقصير فى طاعة الله تعالى.

- والاستهانة بمعصية الله تعالى.

- والإسراف فى ممارسة ما أحل الله تعالى.

وكل إخلال بسبب من هذه الأسباب لابد أن يؤدى إلى مشكلة أو مشكلات، لأن الله تعالى لم يأمر بطاعة ولم ينه عن معصية إلا لكى يصلح من معاش الإنسان ومعاده، ولم ينه عن الإسراف إلا لأنه سبحانه لا يحب المسرفين، حتى لو كان هذا الإسراف فى ممارسة ما أحَلَّ الله تعالى.

السبب الأول: التقصير فى طاعة الله تعالى

لا تظهر مشكلة من المشكلات إلا نتيجة لعدم الاستجابة لأمر الله ونهيه أو التقصير فى طاعة الله تعالى، وذلك أن طاعة الله وقاية من هذه المشكلات جميعا فكيف بمن أطاع الله تعالى أن تدخل حياته مشكلة؟

● وإذا كانت المشكلة ظاهرة تتكون من عدة أحداث متشابكة يحيط بها الغموض واللبس، ويصعب حلها فى الغالب إلا بعد تعرف أسبابها والظروف المحيطة بها وتحليل هذه الظروف، فإن المسلم الطائع لله يحمى نفسه من هذه المشكلة وغيرها لأنه بالطاعة لا تكتنفه مشكلة ولا يكون فى ظروفه كلها لبس أو غموض، بل إن الطاعة لله تنفى عن المطيع أى قلق أو اضطراب.

ولا شك فى أن طاعة الله ورسوله يكون جزاؤها الأخروى الجنة فقد روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا شقى» قيل: ومن الشقى؟ قال: «الذى لا يعمل بطاعة الله ولا يترك لله معصية».

وطاعة الله ورسوله أنفع للناس على كل حال، روى أحمد بسنده عن فاطمة بنت قيس قالت: قال لى رسول الله ﷺ: «إذا حَلَلْت[1] فآذنينى» فآذنته، فخطبها معاوية بن أبى سفيان، وأبو الجهم، وأسامة بن زيد، فقال رسول الله ﷺ: «أما معاوية فرجل ترب لا مال له، وأما أبو الجهم فرجل ضراب للنساء، ولكن أسامة» فقالت[2] بيدها هكذا أسامة – تقول: لم ترده، فقال لها رسول الله ﷺ: «طاعة الله وطاعة رسوله خير لك» قالت: فتزوجته فاغتبطته – أى سعدت به –.

وروى أحمد بسنده عن ابن رافع بن خديج عن أبيه رضى الله عنه: قال: جاءنا من عند رسول الله ﷺ فقال: نهى رسول الله ﷺ عن أمر كان يرفق بنا، وطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ أرفق بنا[3]، نهانا أن نزرع أرضا لا نملك رقبتها، أو منحة رجل.

● **وقد ورد لفظ الطاعة فى القرآن الكريم أكثر من مائة مرة يتضمن وجوب طاعة الله ورسوله فأولى الأمر والوالدين..**

---

(١) أى انقضت عدتك – أى عدة الطلاق –.

(٢) أى أشارت بيدها معترضة على أسامة رضى الله عنه.

(٣) وفى رواية: أرفق بنا وأنفع لنا.

وطاعة الله ورسوله تعنى الانقياد والامتثال مطلقا فى كل أمر أو نهى، وطاعة الوالدين وولى الأمر والمعلم وكل من له ولاية واجبة بشرط ألا تكون فى معصية.

- والتقصير فى طاعة الله ورسوله، وكل من له ولاية توجب طاعته، سبب رئيسى فى وقوع من قصَّر فى الطاعة فى إحدى المشكلات، وهذا الوقوع يجر عليه الأضرار فى دينه ودنياه.
- فما مظاهر التقصير فى الطاعة؟

– ضعف الإقبال على عبادة الله تعالى:

وذلك بألا ينشط الإنسان لأداء العبادات، فيؤديها لإسقاط فرضيتها، أو يتنفل بها لاعتياده على ذلك، دون رغبة وتشوق إلى العبادة.

والأصل فى المؤمن بالله تعالى وكتبه ورسله أن يكون شوقه إلى أداء العبادات كبيرا، وأن يرى فى الإقبال على العبادة خلاصا له من أى متاعب تعتريه، إذ العبادة راحة واسترواح وإقبال على حرث الآخرة، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ...**﴾ [الشورى: ٢٠].

فإذا ضعف الإقبال على العبادة أو قل الشوق إليها دلَّ ذلك على التعلق الزائد بالدنيا والانشغال عن الآخرة، وقد يعطيه الله تعالى من الدنيا، ولكن لا يكون له نصيب فى الآخرة، ﴿**وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾ [الشورى: ٢٠].

ومن هنا يؤدى ضعف الإقبال على العبادة إلى الوقوع فى المشكلات نتيجة للتقصير فى طاعة الله تعالى.

– وأداء العبادات منقوصة أو على عجل:

وهذا تقصير فى طاعة الله تعالى وعبادته، لأن الأصل أن تؤدى العبادات فى تأن واطمئنان وأداء كامل لها، فقد روى الطبراني – فى الأوسط – بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صلَّى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجَتْ**[1] **وهى بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتنى، ومَنْ صَلَّى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها، عرجتْ وهى سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتنى، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفَّتْ كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه**».

---

(١) أى صعدت إلى الله تعالى.

وروى أحمد بسنده عن أبى قتادة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أسوأ الناس سَرِقة الذى يسرق من صلاته».

والأصل أن تؤدى العبادات كلها على النحو الحسن الذى تعطى فيه كل عبادة حقها فى الأداء كما أداها رسول الله ﷺ، وكما أمر أن تؤدى.

فإن دخل النقص شيئا من العبادات المفروضة أو المتنفل بها وقع صاحبها فى مشكلة أو مشكلات، وحسبه أن يحبط عمله أو لا يقبل منه فذلك من أخطر المشكلات.

وحسب المقصر فى طاعة الله خسارة أنه يفقد حبَّ الله، لأن الله تعالى يحب من يتقرب إليه بالعبادات، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إلىَّ عبدى بشئ أحب إلىّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته».

وكل مقصر فى أداء عبادة الله - فضلا عن تاركها - فقد أعطى للشيطان فرصة جيدة ليركبه فيصبح وَلِيًّا له، ومن ركبه الشيطان وقع فى عديد من المشكلات، منها:

- جهله الدين أو تجاهل أمره ونهيه.
- وتكذيبه للرسل جميعا.
- ونسيانه الآخرة وما فيها.
- وخسرانه الدنيا فى كثير من الأحيان لضعفه أمام الشيطان الذى يغريه بشهواته ويدمره بها.
- وأكبر مشكلة يقع فيها من يقصر فى طاعة الله انهزامه فى كل معركة يخوضها فى الحياة، وما أكثر معارك الإنسان فى الحياة؛ معارك مع شيطانه وأخرى مع هواه، وثالثة مع عدوه، وذلك أن الله تعالى وعد بالنصر عباده المؤمنين، ولا إيمان مع التقصير فى طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقال جل شانه: ﴿...وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وروى أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت رديف النبى ﷺ فقال: «يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن» فقلت: بلى، فقال: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه فى الرخاء يعرفك فى الشدة، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا».

السبب الثانى: الاستهانة بالمعاصى

المعصية هى: كل ما عصى الله تعالى ورسوله ﷺ به، من ترك ما أمر به، أو فعل ما نهى عنه.

وارتكاب المعصية إثم يستحق به عقاب الله سواء أكان عقابا فى الدنيا كالحدود والقصاص أم كان فى الآخرة عذابا فى جهنم.

والتوبة النصوح تَجُبُّ المعصية بفضل الله تعالى، وشروط التوبة النصوح معروفة تحدثنا عنا آنفا.

أما الاستهانة بارتكاب المعاصى فإنها أسوأ وأشد ضررا لما فيها من فقد الإحساس بمراقبة الله تعالى وخوفه.

وكلا العملين: ارتكاب المعصية أو الاستهانة بارتكابها يوقع صاحبها فى مشكلات عديدة فى الدنيا والآخرة، وذلك أن ارتكاب المعاصى أو الاستهانة بها خروج عما أمر الله به أو نهى عنه، وهذا الخروج فسق وفجور وتحد لأمر الله ونهيه.

فبماذا أمر الله وعماذا نهى سبحانه وتعالى؟

– أمر الله تعالى بعبادته ونهى عن الشرك به، قال تعالى: ﴿ ...أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ... ﴾ [يوسف: ٤٠].

– وأمر بالقسط – العدل – قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... ﴾ [الأعراف: ٢٩] ونهى عن الجور والظلم.

– وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل : ٩٠].

– وأمر بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بين الناس بالعدل : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ . . .﴾ [النساء : ٥٨] ونهى عما يخالف ذلك.

– وأمر بالاستقامة على الحق وعلى ما أمر الله به : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود : ١١٢].

– وأمر بإعلان الدعوة إلى الله ودين الحق والإعراض عن المشركين : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر : ٩٤، ٩٥].

– وأمر بكل فضيلة وبكل خير، ونهى عن كل رذيلة وعن كل شر، وأمر بصلة الأرحام ونهى عن قطعها، في آيات قرآنية عديدة نذكر منها قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء : ٢٣ – ٢٧][(١)].

● فكل ما أمر الله به إذا لم يمتثل فهو من المعاصي لله تعالى، وكل ما نهى الله تعالى عنه إذا لم يجتنب فهو معصية لله تعالى، والعاصي لله تعالى تحيط به المشكلات من كل جهة، فتعود عليه بأبلغ الأضرار في دينه ودنياه.

● وللوقوع في المعاصي أو الاستهانة بارتكابها مظاهر عديدة نذكر أهمها فيما يلي :

– اتباع الهوى : أي الميل عن الحق وعن الاعتدال، وسمي بالهوى لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى ما يضره ويذهب به في الآخرة إلى الهاوية – وادٍ في جهنم – وقد نهى الله تعالى عن اتباع الهوى في آيات قرآنية كثيرة منها قوله تعالى : ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ [النساء : ١٣٥] وقوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص : ٢٦].

---

(١) ومن تلك الآيات : ١٥١ – ١٥٣ من سورة الأنعام، والآيات : ٦٣ – ٧٧ من سورة الفرقان، والآية : ١٧٧ من سورة البقرة، وغيرها.

بل نهى الله تعالى عن طاعة من اتبع الهوى، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ...﴾ [الكهف: ٢٨] وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا...﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

- وكل رفض للحق إنما هو اتباع للهوى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

- واتباع الهوى دليل على أن القلب فاسد منصرف عن الخير إلى الشر، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

- واتباع الهوى قرين العمل السيئ ودليل الضلال، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ [محمد: ١٤].

- واتباع الهوى دليل على الجهل والظلم وفقد النصير، قال الله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].

- وهذا كله عند تحليله والتأمل فى عقابيله هو الوقوع فى المشكلات التى تؤدى إلى خسارة الدنيا والآخرة.

- إن المستهين بمعصية الله تعالى ورسوله ﷺ يحادّ الله ويتحداه، ولا يقيم وزنا لأمره ونهيه فيهيم على وجهه فى دنيا الكفر والضلال، ويوقع نفسه فى مشكلات دنيوية بلا حدود.

السبب الثالث: المبالغة أو الإسراف فى التعامل مع ما أحلَّ الله

وهو سبب جوهرى ليس أقل خطرا عن التقصير فى طاعة الله أو الاستهانة بالوقوع فى معصية الله، لأن هذه المبالغة أو الإسراف فى ممارسة ما أحل الله تدخل كثيرا فى دائرة ما حرم الله.

- **إن الذى أحل الله لعباده أن يتمتعوا به من طيبات الحياة الدنيا أكثر بكثير مما حرّم عليهم، الأمر الذى جعل علماء المسلمين يأخذون من ذلك مقولة صحيحة صائبة هى قولهم: «الأصل فى الأشياء الإباحة..» وذلك من فضل الله على الناس ودليل حبه إياهم ورحمته بهم.**

• غير أن ما أحله الله لعباده من الطيبات لا يكون التمتع به طيبا إلا إن مارسه الإنسان باعتدال أى دون إسراف أو مبالغة، لأن الله تعالى حرم الإسراف وأعلن أنه لا يحب المسرفين.

والإسراف قد يكون فى التقتير كما يكون فى التبذير، وقد نهى الله تعالى عن هذا وذاك نهيا ضمنيا وهو يصف عباد الرحمن حيث قال فيهم: ﴿ ...**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٧] وقال فى وصف المبذرين: ﴿**وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ [الفرقان: ٢٦، ٢٧].

• ومن أجل ذلك كان الاعتدال والتوسط من سمات المؤمنين الصالحين، الاعتدال فى تناول ما أحل الله من مطعم ومشرب وملبس ومسكن ومنكح.

إن تناول المؤمن لطيبات الحياة الدنيا يجب أن يكون على ضوء ما قال رسول الله ﷺ وما عمل، من التحذير من الانكباب على متع الحياة الدنيا ونسيان الآخرة، لأن الانكباب على الدنيا يلهى عن الآخرة مع أن الدنيا أهون على الله، ويجب أن تكون أهون على الإنسان فلا ينكب عليها بحيث تطغيه فتنسيه الآخرة.

– فقد روى الترمذى بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: مَرَّ رسول الله ﷺ على شاة ميتة فقال: «أترون هذه الشاة هينة على أهلها؟» قالوا: من هوانها ألقوها، قال: «والذى نفسى بيده لَلدُّنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها».

– وروى أحمد بسنده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحَبَّ دنياه أَضَرَّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضرّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى».

– روى الترمذى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، إن بنى إسرائيل لما بُسِطَتْ لهم الدنيا تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب».

– وروى مسلم بسنده عن عمرو بن عوف البدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاءه بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صَلَّى انصرف فتعرضوا له، فتبسم حين رآهم ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء»، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «أبشروا وأمِّلوا ما يسرّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تُبْسَط عليكم الدنيا

كما بسطت على الذين من كانوا قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم».

- روى أحمد بسنده عن عوف بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فى أصحابه فقال: «الفقر تخافون أو العَوَز؟ أو تهمكم الدنيا؟ فإن الله فاتح لكم أرض فارس والروم، وتصب عليكم الدنيا صبا، حتى لا يزيغكم بعدى إن أزاغكم إلا هى».

وبعد: فإن المقصر فى طاعة الله والمستهين بمعصيته والمسرف فى التعامل مع ما أحلّ الله دون اعتدال، كل هؤلاء يوقعون أنفسهم فى مشكلات الدنيا والآخرة، وهى مشكلات اجتماعية حرص الإسلام على أن يضع لكل منها حلاً، بحيث لم يدع منها شيئا بغير أن يرسم له طريق الحل.

فما هذه الحلول؟

* * *

ثالثا : العمل على حل هذه المشكلات

مشكلات المجتمع المسلم المعاصر كثيرة، فلو ذهبنا نحصيها واحدة واحدة ما وسعتنا هذه الصفحات، ولكننا نشير إليها فى إيجاز نرجو أن يكون جامعا فى أصناف ثلاثة هى :

المشكلات الروحية الإيمانية .

والمشكلات الأخلاقية السلوكية .

والمشكلات الاجتماعية .

أما المشكلات الروحية الإيمانية فكثيرة منها :

أ - ضعف الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، لأسباب عديدة يأتى فى مقدمتها ما يروجه الملحدون والعلمانيون من رفض الإيمان بالغيب واتهام المؤمنين به بإلغاء عقولهم، وهى موجة آخذة فى الارتفاع فى أوساط المجتمعات المسلمة .

ب - وضعف الولاء لله ولرسوله ولمنهجه ونظامه نتيجة لضعف الإيمان الذى أشرنا إليه آنفا، ومع ضعف هذا الولاء، ينمو الولاء فى المجتمعات المسلمة لكل ما هو مادى يحقق للناس متعاً وقتية ويشبع فيهم الأهواء والشهوات، ومن وراء ذلك تيارات فكرية وثقافية وسياسية، واقتصادية يروج لها أعداء الإسلام فى كل مكان .

جـ - وانتشار موجة التهجم على الدين عموما وعلى الإسلام على وجه الخصوص، بتشجيع من أعداء الأديان عموما والإسلام خصوصا، على اعتبار أن من يتهجم على الدين - فى ظنهم - عقلانى يؤمن بحرية الفكر ولايحترم الأديان لما فيها من قيود ومُحَرمات، على حين يتصورون أن الإنسان يجب أن يرفض القيود، وهم فى هذا التصور جد مخطئين، لأن الحياة الإنسانية لا تستقيم للناس بعضهم مع بعض إلا ببعض القيود التى تلزمهم بأداء واجباتهم ليتمتعوا فى مقابلها بحقوقهم .

د - وشيوع الضلالات والأوهام فى المجتمعات المسلمة نتيجة لضعف الاعتزاز بالدين وقيمه وما يأمر به وما ينهى عنه، وهى ضلالات توشك أن تعود بالناس إلى الجاهلية المعروفة بما تحفل به من أوهام وضلالات فى العقائد والعبادات والمعاملات، وما جاءت الأديان كلها

إلا لمقاومة هذه الضلالات وفتح نوافذ الهداية بوحى الله وما جاء على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام.

والمجتمعات المسلمة اليوم يعيش كثير منها فى هذه الضلالات والأوهام متخلين عما هداهم الله إليه من الحق ومن الصراط المستقيم؟!!

هـ- وفقد المشاعر الإنسانية نحو الآخر، والنظر إليه على أنه عدو منافس على متع الحياة الدنيا، وتوجيه كافة الجهود نحو قمعه واستغلاله والعيش من كَدِّه وعرقه، بل استعباده أحيانا، وقدوة العالم كله فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التى تبنى سياستها واقتصادها على تحقيق مصالحها أولا وأخيرا حتى لو تسببت لسكان العالم فى كارثة مثل كارثة الاحتباس الحرارى التى تسببت فيه أمريكا، وترفض أن تتراجع عنه، حتى لقد أدانها الأمين العام للأمم المتحدة - كوفى عنان - فى تصريحه الصادر فى العشرين من شهر مايو سنة ٢٠٠١م، وهو أمريكى الجنسية!!

إن حسن التعامل مع الآخر واجب إسلامى يعطيه كل حقوقه ويلزمه بواجباته.

والمجتمعات المسلمة اليوم وقع كثير منها فى هوة سوء التعامل مع الآخر حتى لو كان من المسلمين، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى فيما بينهم أو تعامل الحكومات مع المواطنين، حيث تجعل الحكومات امتيازات لأعضاء حزبها بينما تحرم غيرهم من كثير من حقوق المواطنة.

و- واتباع خطوات الشيطان والإنصات له والاستجابة لوسوسته وهمزه ولمزه، وهذه الاستجابة تدمير لروح الإنسان وقضاء على نوازع الخير فيه، وسَيْرٌ به فى سبل الباطل والضلال التى نُهى المسلم عن السير فيها.

ولقد حذر القرآن الكريم من اتباع خطوات الشياطين، وحكى عن الشيطان أنه يقول عند انقضاء الأمر إن اللوم على من اتبعه، **﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾** [إبراهيم: ٢٢].

ز- وفقد الثقة بالنفس والشعور بالضيق والاكتئاب والإحباط نتيجة لكل ما سبق، وما يترتب على ذلك من إحساس الإنسان بالقهر والإنكسار لهضم حقوقه، وعدم المساواة بينه وبين غيره فى الحقوق والواجبات، مما يترتب عليه جنوح وارتكاب مخالفات

وجرائم، وكراهية للمجتمع، ورغبة فى تحدى نظمه وقوانينه.

تلك صورة مجملة للمشكلات الروحية الإيمانية التى يعانى منها المجتمع المسلم فى كل مكان اليوم، وهى مشكلات متولدة عن عديد من الأسباب العالمية والمحلية، مما لا مجال لتفسيره هنا.

وأما المشكلات الخلقية السلوكية فإن من أبرزها:

أ - الخروج على القيم الإسلامية بالوقوع فيما حرّم الله، من ممارسة للرّذائل الخلقية مثل: الزنا وشرب الخمر ولعب الميسر، والكذب والغش والنفاق والخداع والرشوة والربا وسائر الكبائر التى عددها العلماء فى سبعين كبيرة.

والمشكلة فى ذلك هى أن من يخرج على قيم الإسلام يصبح محبا للشر عازفا عن الخير وفى هذا من فساد المجتمع ما فيه حيث يسئ إليه من يجب أن يحسن إليه.

ب - وعدم الخوف من الله تعالى ومن عقابه الدنيوى بالحدود والقصاص ومن عقابه الأخروى بعذاب جهنم، حيث يحاول المرتكبون أن يحتالوا على عقاب الدنيا بتعطيل الحدود والقصاص وإحلال قوانين وضعية محل قوانين الله تعالى، تساعدهم على ذلك أنظمة حكم مخدوعة فى قوانين الغرب، وكثير من المرتكبين لا يخافون عقاب الله فى الآخرة لتآكل إيمانهم أو فقده نهائيا بدعواهم أن الإيمان بالغيب إلغاء للعقل!!

جـ - والخروج عن الفطرة السوية التى فطر الله الناس عليها وهى فطرة الإيمان بالله وتوحيده، وتلك الفطرة هى الدين القيم بكل ما جاء فيه من أمر ونهى، فمن وجد نفسه حيث أمره الله ومنع نفسه عما نهاه عنه فهو على الفطرة السوية، من شذّ عن تلك الفطرة فقد أدخل نفسه وأهله والمجتمع الذى يعيش فى مشكلات عديدة، تورطه فى الدنيا فتحرمه توفيق الله ونصره وتأييده، وتورطه يوم القيامة فى عذاب جهنم.

د - ومن المشكلات الخلقية الاستهانة بأعمال الخير والوقف عن ممارستها، كسلا أو إهمالا أو سلبية وانعزالا.

ويترتب على ذلك عدم التمسك بالفضائل الأخلاقية التى دعا الإسلام إلى التمسك بها من: إيمان وإحسان وتسامح وعفو ورحمة، وكرم وبّر، واحترام لحق الجار، وكفالة اليتيم والأرملة، وتقديم العون للمحتاج، ونصرة الضعيف والأخذ على يد القوى الظالم حتى يفئ إلى العدل، وحب للخير عموما، لأن التمسك بهذه الفضائل يحمى المجتمع من الشرور والآثام، ويحقق له الوئام.

هـ – ومن أهم المشكلات الخلقية في المجتمع المسلم اتباع الهوى وذلك أن اتباع الهوى يقضى على الإنسان ويحوله عن إنسانيته إلى من تتحكم فيه شهواته دون ضابط أو رادع، وقد نهى الله تعالى عن اتباع الهوى في قوله سبحانه: ﴿...فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ...﴾ [النساء: ١٣٥]، وأسوأ ما يكون الإنسان عندما تتحكم فيه شهواته فيوليها كل اهتمامه حتى يتخذها إلها لا يعصى له أمرا وقد استنكر القرآن الكريم ذلك كل الاستنكار في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، والذي يتبع هواه أناني لا يعبأ ولو بشهوات نفسه، ولو تعارضت شهواته مع قيمة ضحى بها ولو تعارضت مع المجتمع وما يسوده من نظم عصف بالمجتمع وبنظمه وقوانينه وانطلق وراء شهواته كالحيوان دون عقل أو رادع!!

و – ومصاحبة قرناء السوء ومصادقتهم ومؤاكلتهم ومجالستهم، فهذه من أخطر المشكلات في المجتمع المسلم، لأن هؤلاء الأشرار مرضى يجب أن تتجنب عدواهم، ولأنهم شر يجب الابتعاد عنهم بل الفرار من أمراضهم، كما يفر السليم من الأجرب والمجذوم ونحوهما، ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل فيمن يصاحبون قرناء السوء ولا يعتزلونهم عند عدم استجابتهم لأمر الله تعالى ونهيه في حديث نبوي شريف رواه أبو داود بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨–٨١]. ثم قال: «كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم» ورواه الترمذي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ز - وتقليد الحكام الظالمين المستبدين فى ظلمهم واستبدادهم، وهذه ظاهرة اجتماعية فى كل مجتمع، يتطلع الناس فيه إلى ملوكهم وحكامهم، ويتمنى كل منهم أن تكون له صفات كصفاتهم، فإذا كان الملوك والحكام ظلمة مستبدين، ظلم الناس مَن تحتهم واستبدوا بهم محاكاة وتقليدا لمن ظلمهم واستبد بهم.

ومَن المقلِّدون المحاكون إن لم يكونوا الملوك والحكام؟

ومن أجل ذلك تشيع فى المجتمع الذى يحكمه أحد الظلمة المستبدين جرائم كثيرة يقع فيها الظلم والعدوان من القوى على الضعيف، ومن الغنى على الفقير، ومن كل صاحب سلطة وجاه على محروم منهما ، فيضطرب المجتمع وتنحل عراه ويضيع فيه الفقراء والضعفاء وأمثالهم.

وتلك مشكلة أخلاقية خطيرة الأثر سريعا ما يترتب عليها هدر حقوق الإنسان، وبعد قليل من الزمان استعباده بالنظم الغاشمة وبمن يقال إنهم يحافظون على الأمن، فينتهكون الحرمات ويروعون الناس ويسلبونهم كرامتهم سجنا وتعذيبا ومحاكمات عسكرية جائرة!!!

وأما المشكلات الاجتماعية فبحر زاخر نذكر منها:

أ - **مشكلة البطالة**: نتيجة لفقد الفرصة فى عمل شريف يعتبر مورداً للرزق، وهى مشكلة يعانى منها العالم الإسلامى كله، ويحصد منها المجتمع المسلم أسوأ الحصاد وأشأمه وأفدحه ضرراً بحاضر المجتمع وبمستقبله.

وتوشك مشكلة البطالة أن تكون مشكلة عالمية، إذ تعانى منها الدول المنتمية إلى ما يسمونه العالم الأول عالم الأغنياء والأقوياء والمتحكمين فى الصناعة كما وكيفا وبخاصة صناعة السلاح.

وللبطالة أسباب كثيرة تختلف باختلاف الزمان والمكان، ومن هذه الأسباب:

- حلول الآلة محل الإنسان والاستغناء أحيانا بالآلة الواحدة عن عدد من العمال.
- وتفوق الآلة فى إنتاج المنتجات النمطية عما ينتجه الإنسان يدويا.
- وعجز بعض الحكومات عن وضع سياسة اقتصادية تكفل فرص عمل لمن يحتاجون إليها، لأسباب عديدة كفساد بعض الحكومات، وعدم مساواتها بين المواطنين فى فرص العمل.

- وعزوف بعض المستثمرين عن الاستثمار فى البلاد التى تحكمها أنظمة ظالمة مستبدة تستولى على رءوس الأموال باسم الشعب أو باسم الاشتراكية أو الشيوعية، أو لمنع تحكم رأس المال فى الحكم والسياسة.

- وتباطؤ النشاط الاقتصادى لعسف بعض الحكومات وجبن رأس المال وارتفاع أجور العمال فى بعض البلدان.

- ووقوع أزمات سياسية أو اقتصادية أو قيام انقلابات عسكرية فى بعض البلدان، أو أن تفرض بعض الدول الغنية المقرضة بعض عمالها على المشروعات التى تمولها، وضعف الحكومات المقترضة عن الإصرار على تشغيل عمالها المحليين.

- وتهريب رءوس الأموال من داخل البلاد إلى خارجها للبحث عن الأمان والاطمئنان، ومواجهة ما يضمره نظام الحكم الظالم لأصحاب هذه الأموال من حقد اشتراكى أو شيوعى أو طبقى، فتقل فرص العمل نتيجة لجهل بعض الحكومات ثم تنتشر البطالة فى المجتمع.

● وكل أنواع البطالة منتشرة فى العالم الإسلامى، سواء فى ذلك البطالة البنيوية(١) أو البطالة الدورية(٢) أو البطالة الموسمية(٣)،أو البطالة المقنعة(٤) أو البطالة الاحتكاكية(٥). لأن أسباب كل هذه الأنواع من البطالة متوافرة فى المجتمعات المسلمة المعاصرة، نتيجة لسياسة يرسمها أعداء المسلمين والإسلام ويعاونهم عليها بعض الغافلين من المسلمين.

---

(١) البطالة البنيوية: هى نتيجة للمتغير الطويل الأجل فى الطلب للعمالة، أو نتيجة للتطور «التكنولوجى» فى قطاع صناعى أو اقتصادى، مما يؤدى إلى بطالة.

(٢) البطالة الدورية: وهى تحدث بسبب طبيعة النشاط الاقتصادى الذى يتأرجح فى الهبوط الدورى فى طلب اليد العاملة، وهو يؤدى إلى بطالة مؤقتة تزول بأن يستعيد النشاط الاقتصادى ازدهاره فيحدث طلب لليد العاملة.

(٣) البطالة الموسمية: وتحدث موسميا مثل عدم الإقبال على البناء شتاء، لأن الناس يؤثرون البناء فى الصيف مما يقلل الطلب على الأيدى العاملة فتحدث بطالة موسمية.

(٤) البطالة المقنعة: ومعناها وجود قُوى عاملة كامنة لا تعمل، مثل النساء المتزوجات اللاتى لا يعملن وبوسعهن العمل، فهن يحسبن عاطلات ويمثلن بطالة مقنعة.

(٥) البطالة الاحتكاكية: وهى نتيجة للتأخر فى إعادة التوظيف للأيدى العاملة عند شغور بعض الوظائف، إذ يحدث انتظار غير قصير الأمد للعمل ريثما تتم الاختبارات أو الفترات التدريبية أو التكيف مع الوظيفة الجديدة، وذلك يحسب بطالة احتكاكية.

ب - ومشكلة العجز عن العمل، أو عدم توافر فرص العمل:

والمفروض أن يؤدى هذا وذاك إلى بطالة وإلى فقر وإلى مشكلات اجتماعية عديدة.

- والعجز عن العمل لا خطأ فيه على العاجز وإنما الخطأ على الحكومة إذا لم تكفل هذا العاجز عن العمل وتؤمن احتياجاته؛ لأن هذا واجبها الأساسى.

- وعدم توافر فرص العمل هو نتيجة لتقصير الحكومات فى الاستثمار الصحيح، وقصورها فى إنشاء مشروعات جديدة تدر دخلا، أو قصورها فى إدارة المشروعات.

والعجيب أن كثيرا من الحكومات فى المجتمعات الإسلامية يوجد فيها فساد إدارى وسياسى واقتصادى، مما ينعكس على الناس بأسوأ الآثار سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

وربما كانت مشكلة عدم توافر فرص العمل فى المجتمعات المسلمة أو عدم كفايتها وقدرتها على استيعاب الأيدى الباحثة عن العمل، ربما كان ذلك لأسباب خارجية بالنسبة لأى مجتمع مسلم يكيد له أعداؤه، لكن هناك تأكيداً بأن بعض هذه الأسباب تنبع من داخل المجتمع المسلم تبعا لما فيه من خلل و فساد فى السلطة الحاكمة.

● والعمل واجب على كل قادر عليه، حتى لا يعيش الإنسان كلاً على غيره إذ بالعمل والإنتاج يكون دخله الذى يعيش منه، والاسلام يفضل العامل على القاعد عن العمل، حتى لو كان هذا القاعد ينفق وقته فى الذكر وعبادة الله دون أن يعمل ودون أن يقتات من عمل يده؛ فقد روى البخارى بسنده عن المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه، وإن نبى الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده».

● وفى الإسلام ينقسم العمل إلى قسمين:

- عمل من أجل الآخرة.

- وعمل من أجل الدنيا.

وكلا العملين واجب كُلف به المسلم، بحيث يثاب على فعله ويعاقب على تركه.

فالعمل من أجل الآخرة يقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وعلى الإسلام لله ولمنهجه ونظامه بأداء العبادات المأمور بها التى يبنى عليها الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج لمن استطاع، وعلى الإحسان والعدل وعلى طاعة الله ورسوله فى الأمر والنهى.

والعمل من أجل الدنيا يقوم على السعى على الرزق والمشى فى مناكب الأرض والاستفادة منها، ومما سخر الله فيها من نعم لا تحصى، كما يقوم على العلم والإخلاص والتجويد لكل ما يمارسه الإنسان من عمل، كما يتطلب العمل بذل الجهد العضلى والذهنى لكى يعيش الإنسان فى رخاء وأمن.

● وآيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ التى تطالب المسلم بالعمل بل العمل المتقن كثيرة، نذكر منها:

– قال الله تعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [التوبة: ١٠٥].

– و قال جل وعلا: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

– وقال عز وجل: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ١١٠].

– وروى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ: أى الأعمال أحب إلى الله قال: «أدومها وإن قل»، وقال: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون».

– وروى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل قال: قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك؛ فمَنْ هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هوهمَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة».

– وروى أحمد بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «اتق الله حينما كنت وخالق الناس بخلق حسن وإذا عملتَ سيئة فاعمل حسنة تمحها».

جـ – ومشكلة الأمية:

إن المجتمعات المسلمة فى العالم المعاصر تعانى من مشكلة الأمية واتساع دائرتها بين الناس، وما تحمله من نذر وأخطار.

ومما يغذى الأمية ويمدها بالأسباب فى العالم الإسلامى ويجعل منها مشكلة عامة أمور كثيرة منها:

- التخلف الحضارى الذى يعيشه أكثر بلدان العالم الإسلامى، وذلك أن إزالة الأمية مرتبطة بالحضارة ارتباطا وثيقا، ولهذا التخلف الحضارى أسباب وأبعاد يطول شرحها[1] لكنه يغذى الأمية بكل معنى من معانيها، سواء أكانت الجهل بالقراءة والكتابة أو الجهل بتناول الحياة نفسها.

- والفقر، لأنه أحد الأسباب الرئيسة فى عدم التعلم.

- وسوء التعليم؛ مدارسه ومناهجه وسائر إمكاناته مما يصرف بعض الذين بدأوا التعليم عن الاستمرار فيه - مما يعرف تربويا بمشكلة التسرب من دور التعليم -.

- وسوء سياسة الدولة بإعطائها التعليم أقل نصيب من الاهتمام، مما يجعل دور التعليم عاجزة عن استيعاب من هم فى سن التعليم، وعاجزة عن توفير أسباب الاستمرار فى التعليم.

● ولهذه الأمية آثار سيئة تضر بالمجتمع وتحول بينه وبين التقدم، ومن أبرز هذه الأسباب:

- نقص كفاية الأمى فى الإنتاج فى مجال عمله أيا كان عمله.

- وضعف قدرة الأمى على التفاعل والمشاركة الاجتماعية الداعية التى تجعل العمل أكثر تحسنا وقدرة على الإنتاج.

- وعجز الأمى عن المشاركة فى تطوير مجتمعه اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، وذلك يساعد على تخلف المجتمع وانتشار كثير من الآفات فيه.

- وسرعة وقوع الأمى فى الأخطاء الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لأنه فَقدَ الحصانة ضد ذلك عندما فقد التعليم.

- وقد يدخل الأمى بسبب أميته فى عزلة اجتماعية، وإحساس شديد بالغربة بين المتعلمين، والعزلة ضد الإنتاج وضد الاستفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم.

- وتَعرُّض الأمى للانحراف لأنه لا عاصم له من عقل راجح متنور بالتعليم والمعارف، فيصبح بذلك خطرا على نفسه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه.

- والأمية ذات أثر مباشر فى تخلف المجتمع الذى تنتشر فيه والحيلولة بينه وبين التقدم

---

(١) انظر لنا: التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى المعاصر وطرق التغلب عليه، نشر دار الوفاء بالقاهرة.

والرقى، لأن الإنسان المتعلم الواعى هو الذى يسهم فى إحداث التقدم والرقى فى المجتمع الذى يعيش فيه.

● والأمية فى المجتمعات المسلمة عائق حقيقى لأى تقدم حضارى فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد والثقافة، ولا أخرج بعيدا عن الصواب حينما أقول إن الأمية فى المجتمعات المسلمة تشجع عليها وتدعمها تيارات ودول معادية للإسلام والمسلمين بل معادية للحضارة عموما، وذلك أن الغرب ينظر إلى حضارته على أنها التى يجب أن تهيمن وإلى الحضارات الأخرى نظرة استعلاء وإضمار شر، وقد عبر الغرب عن ذلك عقب سقوط الاتحاد السوفيتى على لسان: «صمويل هنتجتون» عالم السياسة الأمريكى حين قال: إنه أصبح المطلوب اليوم الصراع مع الحضارات الأخرى وليس الحوار معها وبخاصة الحضارة الإسلامية، مما ينفى دعوى الغرب تعاونه الثقافى مع الآخرين فى عصر العولمة، ويحل محل هذه الدعوى الحروب الاقتصادية والسياسية والعسكرية، كما هو مشاهد فى العالم الإسلامى اليوم، وذلك نتيجة لشيوع أفكار لدى الغربيين بأن الحضارة الغربية قد وصلت إلى أعلى درجاتها أو منتهاها، وأنها سوف تدخل فى مرحلة التدهور.

وكذلك فعل المفكر الأوروبى - اليابانى الأصل - «فوكوياما» الذى أكد أن الرأسمالية بوصفها العلامة البارزة للحضارة الغربية التى انتصرت على غيرها من الثقافات، وأنها سوف تصبح دين الإنسانية الجديد إلى نهاية التاريخ، من خلال حرية السوق وتحرير التجارة والاتفاقات التى يجب أن يخضع لها العالم!!

● ومن أجل هذا فإن الغرب أوروبا وأمريكا على حرص شديد وولع كبير فى أن تظل شعوب العالم عموما والعالم الإسلامى خصوصا فى تخلف ثقافى وحضارى، وسبيل ذلك هو أن تنتشر الأمية فى هذه المجتمعات، ولا ينشر الأمية مثل حصار هذه الشعوب اقتصاديا وإغراقها فى الديون وفوائدها لكى تكون فقيرة أو أشد فقرا فلا تملك وسائل نشر التعليم ومقاومة الأمية.

يفعل الغرب ذلك بإصرار وعناد ولا يستحى أن يطلق شعارات خالبة كاذبة مثل:

- التربية مدى الحياة.
- والتربية المستمرة.
- وتعليم الكبار.

- والتعليم الذاتي اعتمادا على التقدم العلمي «والتكنولوجي».

وكل جهود الغرب- عند تحليلها - تستهدف أن تبقى شعوب العالم الثالث عموما ومنه العالم الإسلامي بعيدة عن استئصال الأمية على كل مستوياتها، من مستوى الجهل بالقراءة والكتابة إلى مستوى الأمية الثقافية والأمية الحضارية، حتى يعيش الغرب مسيطرا سياسيا واقتصاديا وثقافيا فيزداد بذلك غنى وثروة وتزداد سائر الشعوب فقرا وعُدْما!!!

د - ومشكلة التعليم والتربية:

التعليم مصاب في المجتمعات المسلمة بانحرافات لا تسمح له بأن يؤدي وظيفته في المجتمع المسلم مما نشير إلى بعضها فيما نذكره الآن:

- كل تعليم أو تربية يجب أن يكون خاضعا لفلسفة تربوية، وهذه الفلسفة التربوية تشتق من فلسفة المجتمع والقيم السائدة فيه.

- والمجتمعات المسلمة قد انحرفت عن ذلك فأخذت فلسفة الغرب في التعليم وقيمه في المجتمع، فأساءت إلى دينها وقيمه وإلى انتمائها لمجتمعاتها المسلمة، ولم تصلح لها فلسفة الغرب وقيمه لأنها تستبعد الدين وتحصره في نطاق ضيق مظلم بعيد عن الحياة، فكان هذا الخلل الذي نراه في التعليم وفي التربية عموما، مما انعكس على المتعلمين ضعفا وقصورا وعجزا عن التعامل مع التقنية «التكنولوجيا».

- وترتب على هذا الانحراف الأول انحرافات أخرى مثل:

اشتقاق أهداف التربية من فلسفة غريبة على العالم الإسلامي، ومثل سياسة تربوية ترتب الأولويات ترتيبا خاطئا فتهتم بالكم لا الكيف، وتسرف في حشد المعلومات وتكرارها وسطحيتها، وبعدها عن الممارسة العملية للتربية.

- والتربية كغيرها من فروع المعرفة تحتاج ما بين آن وآخر إلى إعادة نظر وإعادة تطوير لكي تساير المتغيرات المستمرة في الاقتصاد والسياسة والاجتماع، وحول هذا الموضوع هناك عدد من الحقائق نعترف بها ونشير إليها في النقاط التالية:

- تحاول كثير من بلدان العالم الإسلامي أن تعيد النظر في التربية السائدة لديها، وتحاول الاستعانة بالخبراء والمستشارين التربويين ما وسعها، فلا تجد أمامها سوى الخبراء الغربيين فتستعين بهم!!

وكان الأولى بها أن تستعين بخبراء ومستشارين فى التربية من المسلمين وهم بفضل الله تعالى ليسوا قليلين، وعلى وجه اليقين سيكونون أكثر إخلاصا فيما يعينون به، ولكن ذلك لا يحدث من بعض الدول المسلمة التى تحكمها عقدة الإحساس بتفوق الغرب.

– وقد وجدت بعض الدول الإسلامية فى الوكالات التابعة للأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة ما يعينها فى مجال التربية وبخاصة فى وكالة «اليونسكو» المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة.

ولهذه المنظمة أهداف معلنة هى:

– الإسهام فى تدعيم السلام والأمن فى العالم بتشجيع التعاون بين الأمم فى مجالات التربية والعلوم والثقافة.

– واحترام القانون والعدالة وحقوق الإنسان دون تفرقة بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين.

– والعمل على محو الأمية ونشر الثقافة.

وقد أعلنت «اليونسكو» فى تقريرها التى أعدته اللجنة الدولية فيها ما يلى: «ما من جانب من جوانب المشكلات التربوية إلا وعالجته «اليونسكو» ودرسته وألقت عليه مزيدا من الأضواء، وأنه لولا هذه المنظمة ما كانت المفاهيم الأساسية المقترنة بالتربية النظرية والتطبيقية لتنتشر بتلك السرعة، وأن كثيرا من الأقطار النامية كانت – لولا اليونسكو – ستصادف صعوبة كبرى فى تحسين أنظمة تعليمها، وفى جعل تلك الأنظمة قادرة على تلبية الإقبال المنقطع النظير على العلم والمعرفة».

وقد تجاهلت منظمة اليونسكو عاملا مهما فى إقبال المسلمين بالذات على العلم والمعرفة وهو أن الإسلام جعل طلب العلم أى التعلم واجبا شرعيا من قعد عنه وهو قادر عليه كان من الآثمين.

فقد روى ابن عبدالبر بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شىء حتى الحيتان فى البحر» ورواه ابن ماجه بسنده عن أنس رضى الله عنه أيضا.

وروى البخارى بسنده عن محجن بن الأدرع رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه» والفقه الذى يفوق العبادة هو طلب العلم والتعلم(١).

وما رفع من قدر العلم والتعلم والتعليم كالإسلام ومنهجه.

- مشكلة التعليم فى بلدان العالم الإسلامى عويصة تحول بينه وبين التقدم والرقى والتعامل مع العلم وتطبيقاته التقنية، وسوف تظل هذه المشكلة باقية ما لم تخلص حكومات تلك الدول فى وضع سياسة تعليمية تكون فلسفتها وأهدافها نابعة من المجتمع المسلم الذى يعبد الله وحده لا شريك له ويؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، أما أن يستورد تربية من الغرب فإنه سيستورد ما يصادم أهداف الإسلام وقيمه، ولن يجد قبولا من المتعلمين بمجرد أن ينضجوا فضلا عن أولياء الأمور المهمشين فى دول العالم الثالث فلا يشاركون فى تحديد أهداف تربية لأبنائهم ولا يستشارون فى منهج، مع أن فيهم من يستطيع أن يقدم ذلك لأنه على علم به!!!

– ولابد أن يوظف التعليم فى بلدان العالم الإسلامى لخدمة الأسس التى يقوم عليها المجتمع المسلم مثل:

- خدمة تصحيح العقيدة وإزالة الشبهات عنها والرد على المفترين المضللين.
- وخدمة العون على تفقيه المتعلمين بالعبادة وتعويدهم على أدائها فى المدرسة ليشبوا مسلمين واعين.
- وخدمة المجتمع بتوفير احتياجاته من التخصصات العديدة المطلوبة.
- وخدمة الاقتصاد والسياسة.
- وخدمة الثقافة، لأن تلك هى من أهم وظائف التعليم والتربية الثابتة التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان فضلا عن سائر الوظائف الاجتماعية الأخرى.
- إن التربية يجب أن توظف لخدمة المجتمع الذى تتم فيه، وبما أن المجتمع مسلم فلابد أن تكون غاية التربية محققة للأهداف التى يستهدفها الإسلام فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

---

(١) للتوسع: انظر لنا الحلقة الثالثة من هذه السلسلة: التربية العقلية. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م.

● ومن الحقائق التى لا نستطيع إنكارها فى المجتمعات المسلمة أن هناك إهمالاً - ربما يكون متعمدا - للتعليم المستمر، أى التعليم من المهد إلى اللحد، والأصل فى المسلم أن يطلب العلم طالما هو من الأحياء، وعندئذ يكون له أعظم الأجر، فقد روى البزار فى مسنده بسنده عن أبى ذر وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة مات وهو شهيد».

وروى الدارمى بسنده عن الحسن رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاء الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه و بين النبيين درجة واحدة فى الجنة».

وماذا يكون التعليم المستمر إذا لم يكن طلبا للعلم حتى يجىء الموت؟

● والتعليم المستمر واجب الحكومة بالنسبة للعاملين فيها ليطوروا أداءهم وفق ما تقتضيه أعمالهم، ثم واجب النقابات المهنية والمؤسسات بل الأحزاب السياسية والجمعيات بمختلف أنواعها، ثم هو واجب أجهزة الإعلام ورسائله وواجب المسرح والسينما والأعمال التليفزيونية.

● وبرامج التعليم المستمر يمكن أن تكون أنواعا كثيرة منها:

- برامج لمواصلة التعليم واستكماله لمن لم يكمل تعليمه.
- وبرامج لإعداد قادة فى عمل ما، لأن القائد يحتاج إلى تأهيل خاص يمكنه من قيادة العمل بكفاءة واقتدار.
- وبرامج للتأهيل لعمل مًا لمن فاته أن يتأهل لما يقوم به من عمل.
- وبرامج للتدريب على أعمال معينة لممارستها فى البيت أو فى المجتمع.
- وبرامج ثقافية موجهة نحو قضية من القضايا السياسية أو الاجتماعية التى تهم المجتمع وتثار فيه وتحمل أكثر من وجهة نظر وتحتاج إلى حوار.
- وبرامج ثقافة حرة تغنى عن قراءة كتاب لمن لا يستطيع قراءة الكتاب.
- وبرامج للتعليم المفتوح للحصول على مؤهلات أعلى.
- وبرامج فى تعليم اللغة العربية لحاجة المسلمين إلى تعلمها مهما تكن لغاتهم الأصلية لأنها لغة الدين.
- وبرامج للتدريب على إجادة اللغة العربية ودقة نطق حروفها وكلماتها وإعراب جملها وضبط بنية الكلمات، لأن البلوى فى ذلك عامة.
- وبرامج فى تعليم «الكمبيوتر» الذى أصبح لغة العصر.

- ومعاناة المجتمعات الإسلامية من مشكلات التعليم والتربية لا يمكن التغلب عليها إلا بإخلاص الحكومات وتضافر الجهود بالنسبة لكل من له علاقة بالتعليم بصورة عامة أو بالتربية على وجه الخصوص، بمعنى أن تعطى الحكومات للتعليم من الأموال ما هو جدير به، لأن التعليم أحسن استثمار على مستوى المجتمع كله، فهل يعى ذلك من ينفقون الأموال دون وعى ودون تحديد أولويات، والذين يبددون طائل الأموال فى الأمن الداخلى لو استقبلوا من أمرهم ما استدبروا لوجدوا فى الإنفاق على التعليم ونشره والعناية به ما يحقق الأمن الداخلى للمجتمع بأفضل مما تحققه قوات الأمن الداخلى!!!

إن هذا لحق لو كانوا يدركون حقائق الأمور ولاتلهيهم المحافظة على أنفسهم عن تلك الحقائق الدامغة.

من الذين يهددون الأمن الداخلى لأى بلد؟ إنهم فى الغالب إما جهلة وإما تعلموا نصف تعليم من هذا التعليم القاصر العاجز عند تكوين مواطن صالح فضلا عن إنسان صالح وهو الهدف الحقيقى للتعليم وللتربية.

هـ - والمشكلات المتعلقة بالمرأة:

الذى يعنينا من المشكلات المتعلقة بالمرأة هو ما يُدَّعى من أن الإسلام لم ينصف المرأة، وأن النظم الإسلامية تتضمن هضما لحقوقها، وإخمالاً لوظائفها فى الحياة...

وهى دعوى باطلة لا تستطيع أن تجد ما يساندها فضلا عن أن يؤيدها فى مصدرى الإسلام الأساسيين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهما الحجة فى كل ما يتصل بالحياة الاجتماعية فى المجتمع المسلم.

أما أن يكون فى بعض تصرفات المسلمين فى أى عصر من العصور ما فيه مساس بحقوق المرأة، فذلك لا يلقى هذه التهمة على الإسلام ولكن على هؤلاء المسلمين، ومن المسلم به أن أحداً من المسلمين كائنة ما تكون مكانته ليس حجة فى عمله على الإسلام إلا المعصوم ﷺ.

ولابد من كلمة عامة عن المرأة فى الإسلام من جوانب هامة فى حياتها أهمها:

- تقويم الإسلام لقدرة المرأة وكفايتها فى الحياة الأسرية والاجتماعية.
- وموقف الإسلام من حقوق المرأة وواجباتها فى الأسرة والمجتمع.
- وموقف الإسلام من المشكلات التى تحيط بالمرأة أو التى يدعيها الجاهلون بالإسلام أو الحاقدون عليه.

أولا : موقف الإسلام من المرأة؛ كفايتها وقدرتها

ينظر الإسلام للمرأة على أنها مكملة للرجل، وللرجل على أنه مكمل للمرأة، لأن حياة كل منهما لا تتم إلا بالطرف الآخر، فالذكر والأنثى من نوع الإنسان سواء ولا غنى لأحدهما عن الآخر لكي تستمر حياة الإنسانية كلها.

– غير أن الإسلام جعل للرجال على النساء درجة مع التسوية بينهما في الحقوق والواجبات لكل منهما، قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

– وجعل للرجل القوامة على المرأة في الحياة الأسرية، لتستقيم حياة الأسرة، قال الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤].

والقوامة ليست استطالة من الرجل على المرأة وتحكما فيها، ولكنها تخضع لعاملين:

عامل التفضيل الفطري، وهذا التفضيل من صنع الله وحكمته لكي تستمر الحياة الإنسانية، ولا فضيلة فيه للرجل ولا نقيصة للمرأة.

وعامل ما فرض الله على الرجل من إنفاق على المرأة وتكفل بمطالبها زوجة وبنتا وأختا وأما، وتلك سنة الله في خَلْقِه الذكر والأنثى، وتوظيف كل منهما فيما يصلح له و يصلح به.

– وفي كل أمة من الأمم، وفي كل عصر يلحظ اختلاف واضح بين الرجل والمرأة في الكفاية والقدرة على القيام بالأعمال الإنسانية، ولا تنقض هذه القاعدة بأن بعض النساء يستطعن القيام بأعمال الرجال، أو بعض الرجال يستطيعون القيام بأعمال النساء في كفاية وقدرة، لأن هذا ليس صفة غالبة بل هي نادرة – والنادر لا حكم له – فالمرأة في كفايتها وقدرتها في مجال عملها ووظيفتها لا تقل عن الرجل في كفايته وقدرته في مجال عمله ووظيفته الإنسانية.

وآيات القرآن الكريم دالة على تقدير الإسلام لكفاية المرأة وقدرتها على العمل المنوط بها كتقديره لكفاية الرجل وقدرته، وأنه سَوَّى بينهما في الثواب على العمل الصالح وسوَّى بينهما في العقاب على العمل المخالف لمنهج الله.

قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

وقال جل وعلا : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء ١٢٣،١٢٤] .

وكل كلام يخالف ما تدل عليه هذه الآيات الكريمة ضلال عن الحق، وتضليل عنه، ولا يستحق عناء الحوار والردّ عليه .

والوصاة بالنساء وحسن عشرتهن واردة في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإذا ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا » .

وروى الترمذي بسنده عن عمرو بن الأحوص الجُشَمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكّر ووعظ، ثم قال : « ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك[1] إلا أن يأتين بفاحشة مبيِّنة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا؛ فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون؛ ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » .

وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يفرك[2] مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر » .

---

(١) ذلك : إشارة إلى ما تقتضيه الحياة الزوجية من حقوق زوجية وحفظ الزوجة لنفسها ومال زوجها وأولاده . . . الخ .

(٢) يفرك : يبغض .

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم».

* والإسلام أناط بالمرأة وظائف فى الأسرة والمجتمع، من أبرزها وأوجبها:

- وظيفة الزوجية وما يترتب عليها من حقوق للزوج وواجبات عليه، وما يترتب عليها من حقوق للزوجة وواجبات عليها.

- ووظيفة الحمل والإرضاع والحضانة وحسن الرعاية للأبناء.

والمرأة قد تفعل ذلك بفطرتها، لكن من خالفت فطرتها وجب عليها أن تقوم بذلك استجابة لأمر الله ولمنهجه.

- ووظيفة المحافظة على نفسها وشرفها، وغض بصرها، وبخاصة عندما يغيب عنها زوجها لسفر أو نحوه.

- ووظيفة المحافظة على مال زوجها والإنفاق منه بالمعروف وفى الحاجة سواء أكان الزوج كريما أو بخيلا.

- وإحسان تربية الأبناء وتعهدهم بالتوجيه نحو ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة، وإذكاء عواطفهم الدينية منذ صغرهم.

- وطاعة الزوج فى المعروف أى فى غير معصية لله تعالى لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

وفى كل هذه الوظائف وردت آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة[1].

وإذا أدت المرأة وظائفها فى الأسرة أفادت أسرتها والمجتمع الذى تعيش فيه، ونالت عند الله تعالى ثواب طاعته، فضلا عن نيلها لرضا زوجها وأبنائها، ودعمها للمودة والرحمة اللذين يؤكدهما الزواج، بل يعدان غرضا من أغراض الزواج.

وإذا أدت المرأة وظائفها التى شرعها الإسلام فإنها تقدم بهذا الأداء لأبنائها عموما ولبناتها خصوصا صورة جيدة لما يجب أن تكون عليه الزوجة المسلمة من صفات، فتسهم بذلك فى تكوين زوجات صالحات فى المستقبل.

---

(١) للتوسع فى معرفة ذلك انظر لنا: المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله. نشر دار الوفاء ط ثالثة - القاهرة: ١٤١٣ - ١٩٩٢م.

ثانيا : موقف الإسلام من حقوق المرأة
وواجباتها فى الأسرة والمجتمع

يحرص الإسلام كل الحرص على أن يعطى المرأة حقوقها الإنسانية كاملة بنتا كانت أو أختا أو زوجة أو أما، لأنها بهذه الصفات جميعا إنسان كامل الإنسانية لا ينقص من كماله أن خلقه الله تعالى أنثى، فليست الأنوثة فى الإسلام عيبا أو نقيصة وإنما هى قسيم الرجولة ومنهما يكون استمرار النوع الإنسانى.

ومع حرص الإسلام على أن تتمتع المرأة بممارسة حقوقها فإنه يحرص بنفس القدر على أن تؤدى المرأة واجباتها.

لأن الحياة الإنسانية السوية المنتجة لابد أن تقترن فيها الحقوق بالواجبات، وإلا اختلت الحياة نفسها.

● والحقوق والواجبات بالنسبة للمرأة مرتبطة بوظيفتها فى الحياة الأسرية والحياة الاجتماعية.

– ووظيفة المرأة الاجتماعية ترتبط بأخلاق يجب أن تكون ملازمة لها، هى :

خلق الحياء – وقد فطرها الله عليه – إذ بدونه تفقد المرأة أهم ما تتميز به، وقد جاء الإسلام ليعمق فى المرأة خلق الحياء بل يجعله من «الإيمان»، ويعتبره «خلق الإسلام». ويقرر أنه «خير كله» و«لا يأتى إلا بخير» وأنه «ما كان فى شيء وإلا زانه ولا نزُع من شيء إلا شانه».

وخلق الحنان، وقد فطرها الله عليه ليناسب ما تتحمله من رعاية لأبنائها فى مختلف سنى أعمارهم، ولولاه لما شب الأبناء محميين من الإهمال ومن الضيق بمطالبهم ومن القسوة التى تحل محل الحنان.

وخلق النظافة الذى يشمل الزينة بأنواعها، فهى مفطورة على أن تكون نظيفة متجملة متزينة فى حدود ما أباح الإسلام لها من التزين.

– ووظيفة المرأة فى الأسرة تقتضيها أن تتصف بصفات لها علاقة بهذه الأسرة، ومن أهمها :

تسليمها بالقوامة للرجل فى الأسرة ورئاسته إياها، لأن ذلك هو الذى يصلح الأسرة فى حاضرها ويؤمن مستقبلها، ويحدد علاقتها بغيرها من الأسر، بل يرسم لها أبعاد عملها

وحركتها فى حدود ما شرع الله، والمرأة لا تستطيع ذلك على الدوام، بل تعجز عنه فى بعض الأوقات من كل شهر، وبعض الشهور حين تحمل، وحين ترضع، وحين تمارس الأمومة والحضانة.

● وحقوق المرأة وواجباتها فى الإسلام مرتبطة بوظيفتها فى المجتمع وفى الأسرة.

وليس من الحق ولا من العدل مساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات دون مراعاة اختلاف الوظائف بين المرأة والرجل، فكل منهما ميسر لما خلق له وفطر عليه.

وكل دعاوى المساواة المطلقة بين النساء والرجال باطلة تخالف الفطرة التى فطر الله عليها الرجال والنساء.

● ومما نعتبره حقوقا للمرأة ألا تضطر إلى الكدح خارج بيتها لتدبير قوتها وقوت عيالها.

ومن حقوقها ألا تعطل أمومتها فضلا عن أن تلغى، لكى تنقطع المرأة لإرضاء أهوائها ورغباتها، لأن الأمومة أهم وظائفها، بل لابد أن تكفل لها أمومتها لكى تمد المجتمع بأبناء صالحين أحسنت رعايتهم وتربيتهم.

● فإن اضطرت المرأة - فى ظل خلل اجتماعى أو أسرى أو اقتصادى - إلى العمل من أجل تأمين قوتها أو قوت عيالها، فإن ذلك سوف يكون على حساب أمومتها وتدبير بيتها بل وزوجيتها.

وذلك خلل اجتماعى لا يقل خطره عن خطر تشغيل الأطفال لكى يعولوا أنفسهم أو غيرهم من أفراد أسرهم، لكنها الضرورة على كل حال، و الإسلام بنظمه كلها لا يحول بين المرأة وبين العمل فى هذه الأحوال، بل إن الإسلام يعتبر عمل المرأة فى هذه الحالة من حقوقها التى يجب أن توفرها الحكومة لها، وتصبح هى والرجل فى حق العمل سواء.

● ومن الحقوق التى قررها الإسلام للمرأة حقها فى إبرام عقد زواجها أو رفضه، حتى حين يوافق عليه وليها، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا تنكح البكر حتى تستأذن، ولا الثيب حتى تستأمر»، فقيل: يا رسول الله كيف إذنها؟ قال: «إذا سكتت».

وروى البخارى بسنده عن ابنى جارية «رجلين من الأنصار» قالا: إن خنساء بنت خذام أنكحها أبوها وهى كارهة فردّ النبى ﷺ ذلك النكاح.

● وحقوق المرأة التى شرعها لها الإسلام حقها فى خلع زوجها عندما تتوافر لديها أسباب الخلع، ولعل هذا الحق فى مقابل حق الرجل فى الطلاق عندما تتوافر أسبابه كذلك وكلاهما مكروه.

● ومن حق المرأة أن تكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة خوفا من العيلة أو فَقْد الأمومة، وتوافر أسباب تعدد الزوجات - وهى كثيرة - ومع إعطاء الزوجة الأولى الحق فى البقاء على ذمة زوجها أو مفارقته.

إن تعدد الزوجات لم يوجبه الإسلام ولم يستحسنه ولكنه أباحه وفضل عليه الاكتفاء بزوجة واحدة، واشترط فيه العدل بين الزوجتين أو الزوجات، وذكر بأن العدل بينهن غير مستطاع مهما حرص الزوج عليه.

● ومن الحقوق التى قررها الإسلام للمرأة عند الطلاق وألزم بها الزوج المطلق، أمور كثيرة منها:

- حقها فى نفقة المتعة ﴿ ...وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

- وحقها فى البقاء فى بيت الزوجية حتى تنتهى عدتها: ﴿ ...لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ... ﴾ [الطلاق: ١].

- وحقها فى استيفاء صداقها كاملا بعد الطلاق، لا يجوز للمطلق أن يستحل منه شيئًا: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠].

- وحقها فى حضانة أبنائها، فقد روى أحمد بسنده عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء، وحجرى له حواء، وثديى له سقاء، وإن أباه طلقنى وزعم أنه ينزعه منى. فقال ﷺ: «أنت أحق به ما لم تنكحى».

● تلك حقوق المرأة - فى إجمال - كما جاء بها الإسلام، وهى حقوق لم تقرر لها فى أى شريعة سبقت الإسلام ولا فى أى نظام اجتماعى جاء بعد الإسلام حتى تلك الأنظمة المعاصرة التى تعقد مؤتمرات لحقوق المرأة.

ويقتضينا هذا أن نشير إلى حقوق المرأة فى الشرائع التى سبقت ظهور الإسلام - فى إيجاز شديد - :[1].

- فى شريعة «مانو» فى الهند:

كان حق المرأة فى هذه الشريعة مرتبطا بحق أبيها أو زوجها أو ولدها، ولم يكن لها حق تستقل به عن هؤلاء.

بل إنها كانت تفقد حق الحياة إذا مات عنها زوجها، فتحرق معه على موقد واحد. وظلت هذه العادة سارية منذ أقدم عصور البرهمية إلى القرن السابع عشر الميلادى، حيث أبطل على الرغم من كراهية أصحاب الشعائر الدينية لإبطاله..!!

- وفى شريعة «حمورابى» فى بابل:

كانت المرأة مهينة تحسب فى عداد الماشية المملوكة، إذا كانت تلك الشريعة تفرض على من قتل بنتا لرجل آخر أن يسلمه بنته ليقلتها أو يملكها إذا أعفاها من القتل.

وكانت الشريعة عندهم تنص على ذلك.

- وفى الحضارة اليونانية القديمة:

كانت المرأة محرومة من كل حقوقها الشرعية ومن حرياتها، حيث كانت إقامتها فى مكان منفصل عن الطريق قليل النوافذ محروس الأبواب.

وخلتْ مجالس الفلاسفة تماما من جنس المرأة، وقد كان أرسطو يعيب على أهل أسبرطة أنهم يتساهلون مع نسائهم ويمنحونهن من حقوق الوراثة والبائنة وحقوق الحرية والطهور ما يفوق أقدارهن.

وكانت المرأة مسترقة لا يخلع عنها نير العبودية، وظل أمرها كذلك حتى توالت الثورات فتعذر استرقاقها.

- وانفردت الحضارة المصرية القديمة بإعطاء المرأة حقوقا شرعية، فكان لها أن تملك وأن ترث.

غير أن الحضارة المصرية القديمة التى اعترفت للمرأة بهذا الحق ما لبثت أن زالت وزالت

---

(١) توسعنا فى ذلك فى كتابنا: المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله السابق ذكره.

شرائعها قبل الإسلام، حيث سرت فيهم عقيدة الإيمان بنجاسة الجسد ونجاسة المرأة فكان الابتعاد عنها حسنة مأثورة.

- وفى شريعة موسى عليه السلام:

أن البنت تخرج من ميراث أبيها إذا كان له عقب من الذكور، ولم تكن ترث أباها بعد وفاته، وإنما يمكن أن يوهب لها شيء من الميراث.

- وفى الجزيرة العربية قبل الإسلام:

كانت المرأة لا تلقى من الكرامة والتكريم شيئا إلا أن تكون زوجة لرئيس أو أما لابن محبوب عند أبيه.

وفيما عدا ذلك كانت تورث كما يورث المتاع، وتقتل خشية العار، وتستكثر عليها النفقة التى لا تستكثر على الحيوان النافع أو الجارية المملوكة، وتباع وترهن.

● فلما جاء الإسلام جاء للمرأة - على مستوى العالم كله - بحقوق لم يسبق إليها، وقد تمثل ذلك فى رفعه إياها من المهانة إلى مكانة الإنسان وكرامته، وأنزل عنها وصمة رجس الشيطان ولعنة الخطيئة الأبدية وحطة الجسد المرذول، ورفع عنها وهم أنها وسوست لآدم فاخرج من الجنة كما يقول بذلك غير العارفين، لأن الوسوسة حدثت من الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام فازلهما وأخرجهما مما كانا فيه، قال الله تعالى: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ...** ﴾ [البقرة: ٣٦].

- وحرر الإسلام المرأة والرجل من ميراث الخطيئة وجريمة الآباء على الأبناء، قال الله تعالى:
﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٤].

● ولم يدع الإسلام أى مجال لأحد أن يعبث بحق الإنسان ذكرا أو أنثى فى الوجود، أو حقه فى المعيشة الكريمة.

ولا يكتفى الإسلام فى تشريعاته بتحريم وأد البنات أو قتل الأولاد خشية الإملاق أو العار، وإنما منع أن يتبرم الإنسان حينما تولد له أنثى، فقال تعالى ناعيا على أولئك المتبرمين بالبنات ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

لقد أوصى القرآن الكريم وأوصت السنة النبوية المطهرة بالمرأة على نحو ما أوضحنا آنفا، لا ليعالج ضرورة ولكن ليسن تشريعا يحقق للإنسان ذكرا أو أنثى حياة إنسانية كريمة لا يمكن أن تهضم فيها حقوق النساء ، وهن الزوجات والأمهات والبنات والأخوات، فلقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم**».

وروى أبو داود بسنده عن إياس بن عبدالله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... ولقد أطاف بآل بيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، **ليس أولئك بخياركم**».

إن مصدر هذه الوصاية بالمرأة فى الإسلام هو الوحى الإلهى الذى يعلم ما يصلح الإنسان ذكرا كان أو أنثى فى معاشه ومعاده.

* * *

ثالثا: موقف الإسلام من المفتريات التى تثار حول المرأة

هذه المشكلات الخاصة بالمرأة يدعيها ويرددها الجاهلون بالإسلام أو الحاقدون عليه، وهى دعاوى لا تستطيع أن تنهض من مجثمها إلا وتجابه الرد الحاسم الذى يبدد هذه الأباطيل وينفى تلك المفتريات.

فماذا قال هؤلاء الذين افتروا على الإسلام الكذب؟

١ - ادعاؤهم حرمان المرأة من التعليم:

قالوا:

إن المرأة المسلمة حرمت من حقها فى التعلم!!!

وتلك قالة شر وحقد على الإسلام تحركها العدواة العمياء للإسلام ومنهجه ونظامه، ولا يجدون عليها دليلا إلا أن يكون أحد المسلمين الذين لا يفهمون الإسلام قد منع ابنته من التعلم لسبب أو لآخر.

● والردّ الدامغ على هذه الفرية هو ما رواه ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وقد بلغت بعض النساء المسلمات فى العلم مكانة مرموقة حتى إن بعضهن كان يُعلِّم، ويفتى فى أمور الدين، وتاريخ المسلمين حافل بعشرات الأسماء من هؤلاء اللاتى بلغن فى العلم و التعليم شأوا بعيداً، ولولا الإطالة لسردنا عددا وفيرا من أسماء هؤلاء الشهيرات فى العلم والفتوى.

٢ - وادعاؤهم الباطل فى قضية الحجاب:

قالوا:

إن حجاب النساء نظام أتى به الإسلام ولم يكن له وجود قبل الإسلام، ردَّد هذه الفرية الغربيون وزعموا أنه يعوقها ويحد من حريتها، مع أن الحجاب معروف لدى العبرانيين، حيث كانت المرأة تضع البرقع على وجهها حين تلقى الغرباء وتخلعه حين تكون فى دارها،

وكذلك كان الشأن عند المسيحيين، حيث يقول بولس الرسول: إن النقاب شرف للمرأة[1].

وكذلك كان اليونانيون القدامى ممن فرضوا العزلة على نسائهم والحجاب خارج المنازل.

وكان الرومان يسنون القوانين التى تحرم على المرأة الظهور بالزينة فى الطرقات، و كان ذلك قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائتى عام.

جاء الإسلام إذن والحجاب موجود فى كل مكان تقريبا سواء أكان من الأثرة الفردية أم من الوقاية الاجتماعية، وسواء أكان منعا للتبرج والفتنة أو مثيرا لها وللغواية، فجعل الإسلام من الحجاب أدبا خلقيا يستحب من المرأة ومن الرجل على السواء بفارق وحيد هو فارق اللباس والزينة الذى تقتضيه ممارسة الحياة لكل منهما.

فطالب الرجال بغض البصر وحفظ الفرج، وطالب النساء بعدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها وبضرب الخُمُر على الجيوب، ونهى الرجال عن الزينة المخلة بالرجولة، ونهى النساء عن ذلك أيضا، وسمى ذلك وأمثاله تبرجا ونهى عنه.

فليس فى الإسلام حجاب يفضى إلى الحبس والحجر والمهانة، ولا حجاب يكون عائقا للمرأة عن أن تمارس حياتها وحريتها، ولكن فيه حجاب يمنع من التبرج والغواية، ويشجع على العفة والحياء ورعاية الحرمات.

وبعد: فهذه مقولتهم فى الحجاب وهذا هو الرد عليهم و الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء.

٣- وادعاؤهم فى موضوع قوامة الرجل على المرأة:

قالوا:

إن الإسلام جعل القوامة للرجل على المرأة، وهذا فى زعمهم نوع من الاستعلاء بل ربما الاستعباد، لأنهم يقولون إن الزواج شركة بين الزوجين.

وهذا كلام فائل هابط يجانب المنطق والعقل، ويناقض أبسط قواعد الاجتماع، و ينافى طبيعة العلاقة الزوجية التى هى مستودع المودة والرحمة.

---

(١) انظر فى ذلك: الإصحاح: ٢٤، ٣٨ من سفر التكوين والعهد القديم. ورسالة « كورنثوس الأولى الإصحاح السادس من العهد الجديد ».

وللرد على ذلك نقول :

– إن قوامة الرجل على المرأة وعلى الأسرة كلها هى وضع للأمور فى نصابها، بل هو إنقاذ للأسرة من تعدد القيادات وتذبذب القرارات .

ولئن قالوا بأن المرأة يجب أن تتساوى مع الرجل فى القوامة وقيادة الأسرة ، فإنه ليس من العدل ولا من المصلحة أن يتساوى الرجال والنساء مع التفاوت بينهم فى الخصائص التى تناط بها الحقوق و الواجبات .

وعند النظر فى تاريخ الإنسانية لا نجد المرأة قد استقلت فى فترة من الفترات بالقوامة على الأخلاق الاجتماعية فى المجتمع، ولم يكن لها فى يوم من الأيام أن تنشىء القيم والآداب الاجتماعية العامة، لأنها لم تهيأ لذلك حسب ما فطرها الله عليه من خصائص روحية وعقلية وبدنية، وكل ميسَّر لما خلق له .

إن الله تعالى فطر المرأة على أن تحس بالسعادة عندما تستكين إلى الرجل الذى تلمس فيه القوة والغلبة .

● وكيف تكون القوامة للمرأة على الأسرة وهى لا تملك بحكم خلقها وتكوينها الوقت الذى يتسع للقيام بهذا العبء لانشغالها بمطالب الحمل والإرضاع والحضانة وتدبير شئون المنزل الداخلية .

– وعلى فرض التسليم بأن الزواج شركة بين الزوجين، فإن رئاسة هذه الشركة تحتاج إلى من يكون مسئولا عن حاضرها وعن علاقتها بغيرها وإلى من يوفر من وقته وجهده ما يفى بأداء أعباء القوامة، وهى أعباء هيأ الله لها الرجل بأكثر مما هيأ لها المرأة .

وبعد :

فإن تعرف مشكلات المجتمع المسلم والعمل على حلها من خلال الأسلوب الإسلامى لمواجهة المشكلات وحلولها، هو وسيلة فاعلة من وسائل تحقيق الأهداف الإسلامية السبعة التى تحدثنا عنها فى الباب الأول من هذا الكتاب .

ومهما رفض بعض المتحذلقين المفتونين بالدراسات الغربية فى مجال علم النفس وعلم الاجتماع، واخترعوا حلولا غير إسلامية فإنها حلول لم تنجح، كما ينجح المنهج الإسلامى، لأنه منهج من صنع الله تعالى، ونحن نرى رأى العين كيف فشلت الحلول غير الإسلامية فى حل مشكلات المجتمع المسلم بدليل تفاقم مشكلات المجتمعات الإسلامية يوما بعد يوم .

وإلى الحديث عن الوسيلة السابعة الأخيرة من و سائل تحقيق الأهداف للتربية الاجتماعية الإسلامية وهى وسيلة علاقة الأسرة المسلمة بغيرها من الأسر . والله المستعان .

٧- علاقة المجتمع المسلم بغيره من المجتمعات

لا يستطيع مجتمع إنسانى صحيح البناء أن يعيش بمعزل عن المجتمعات التى تحيط به وتتشابك معها مصالحه.

والمجتمع المسلم وإن تميز عن غيره من المجتمعات بعقيدة التوحيد وتلقى المنهج عن الله تعالى ورسوله ﷺ سليما بريئا من كل تحريف أو تغيير، وبأن المنهج الذى اختاره الله تعالى ورضيه للبشرية كلها دينا هو المنهج القادر على أن يرسى دعائم حياة اجتماعية إنسانية تليق بتكريم الله تعالى للإنسان وتفضيله إياه على كثير ممن خلق.

هذا المجتمع المسلم المتميز بهذه الخصائص لابد أن تربطه بغيره من المجتمعات غير المسلمة علاقات إنسانية نص عليها المنهج المتكامل الذى ختم الله تعالى به المناهج السماوية كلها.

- والمجتمع المسلم الملتزم بمنهج الإسلام فى الحياة لابد أن يختار حكومة مسلمة صالحة - بإحدى وسائل الاختيار المشروعة - فإذا قامت هذه الحكومة المسلمة فإن علامة صلاحها واستقامتها أن تطبق شرع الله ومنهجه على عباده، وألا تستعين بأى تشريعات تخالف عقائد المجتمع المسلم وقيمه ومعاييره.

- وهذه الحكومة المسلمة الصالحة المختارة لابد أن تتوفر فيها صفات تدعم بها صلاحها ومن هذه الصفات:

- قدرة الحكومة على أن تهيئ للناس الأمن فى الوطن من كل عدو متربص معتدٍ، ومن كل عدو مرتَقَب لا تعلمه وإنما تتوقع عدوانه.

والحكومة وهى تؤمن للمجتمع وسائل الحماية، وأساليب الدفاع لابد أن تعد لذلك عدته من الرجال المؤمنين الصادقين عند لقاء الأعداء، ومن السلاح والعتاد الذى تنتجه بنفسها، لأن هذا أوجب واجباتها - دون الاستعانة بأسلحة تستوردها فى الغالب من عدوها؛ فالله تعالى يقول موجها خطابه للمؤمنين حكومة ومواطنين: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾** [الأنفال: ٦٠].

- وقدرة الحكومة على أن ترسم سياسة تستهدف توحيد أبناء الوطن أولا، وأبناء الأمة

العربية، وأبناء الأمة المسلمة، اقتصاديا وسياسيا وعسكريا على المدى البعيد بالتنسيق مع الحكومات المسلمة، وبالحذر الشديد من المستشارين والخبراء غير المسلمين لندرة المخلصين فيهم.

إن العالم الإسلامى اليوم خمس سكان الأرض ويوشك أن يكون ربعهم عما قريب، ومقوماته الاقتصادية تستطيع أن تحقق له الكفاية للمسلمين جميعا بل تفيض عن حاجتهم، بل يمكن أن يكون العالم الإسلامى القوة الثانية أو الأولى فى العالم، ما دامت تعتمد الأخذ بالأسباب وسيلة من وسائل تطورها وتقدمها العلمى والتقنى، ولن يكون تفوق الأمة الإسلامية العلمى إلا نتيجة لتفوقها الاقتصادى والسياسى لأن الاقتصاد والسياسة حماية للعلم وتطوير له، والعلم ترشيد للاقتصاد وحسن توجيه للسياسة.

- والحكومة المسلمة المستقلة سياسيا واقتصاديا وعلميا وعسكريا ليست قوتها موجهة ضد أحد، ولا هى بقوتها طامعة فى بلاد غير بلادها، لأنها ملتزمة بمنهج الإسلام فى التعامل مع غير المسلمين، ذلك المنهج الذى لخصته آية كريمة فى القرآن الكريم، تنادى على كل حكومة مسلمة فى أى زمان ومكان بأعلى صوت وأوضحه وأصرحه: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** (٨) **إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

- هذه الحكومة التى اختارها المجتمع المسلم، هى التى تقيم علاقات طيبة مع كل حكومة إسلامية أو غير إسلامية، دون أن تنتظر الإذن من دولة باغية أو دائنة أو من هيئة دولية تنحاز دائمًا إلى الأقوى والأغنى من الدول، وإنما تتخذ قرارها بنفسها دون استشارة الخبراء غير المسلمين.

- إنها الحكومة التى اختارها المسلمون اختيارا حرا لتمثلهم فى كل محفل دولى وتعبر عن إرادتهم وتعمل على تحقيق أهدافهم فى الوحدة مع العالم الإسلامى، وفى مد يد العون لإخوانهم فى العالم كله، وبخاصة الأقليات المسلمة المتناثرة فى العالم، التى تلقى من الاضطهاد ما يعد وصمة فى جبين العالم المعاصر وهيئاته المنحازة عرقيا وإقليميا وسياسيا، كما شوهد ولا يزال يشاهد فى: فلسطين، والبوسنة والهرسك، وكوسوفا، وألبانيا، والشيشان، والفلبين، والهند، وغيرها.

- إن الحكومة المسلمة حين تتعاون مع غيرها من الحكومات المسلمة تستطيع أن تقف سداً منيعاً ضد كل حصار سياسى أو اقتصادى أو ثقافى أو عسكرى يوجه إلى أى دولة أو أقلية مسلمة، كما حدث ولا يزال يحدث فى دول العالم العربى، ودول العالم الإسلامى، وهى بهذا التعاون أو الاتحاد أو الوحدة تستطيع مقاومة بسط النفوذ الاقتصادى والسياسى والعسكرى على كثير من بلدان العالم الإسلامى عامة والعالم العربى على وجه الخصوص.

أقول هذا وأنا موقن بأنه من الممكنات لا من المستحيلات كما يتصور بعض المسلمين، وموقن بأن أعداء الإسلام وهم يدبرون ضده، و بعض المسلمين الذين يعينون هؤلاء الأعداء عن قصد أو عن غير قصد، يتساءلون مندهشين قائلين: متى هو؟ ويستطيع أن يجيبهم كل مؤمن بهذا الدين الخاتم قائلاً: عسى أن يكون قريبا، لأننا نوقن بأن وعد الله لن يتخلف أبدا، وقد وعد سبحانه بذلك فى قوله: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، فنسأل الله أن نكون هؤلاء المؤمنين.

وهذه الوسيلة السابعة من وسائل تحقيق أهداف التربية الاجتماعية الإسلامية، تقتضى أن نتحدث فيها عن نقطتين:

أ - الأسس التى تقوم عليها العلاقات بين المسلمين.

ب - والأسس التى تقوم عليها علاقات المسلمين بغيرهم.

والله الموفق المعين.

* * *

أ - الأسس التى تقوم عليها العلاقات بين المسلمين

العلاقات بين المسلمين لم تُتْرك لاجتهادات المسلمين وإنما وضع الإسلام لها الأسس التى تقوم عليها وتضمن لها أن تستمر نافعة للمسلمين فى دنياهم وأخراهم.

ومن منطلق أن المسلمين أمة الدعوة إلى الله والحركة بدينه الخاتم حتى يبلغ ما بلغ الليل والنهار، ومن منطلق أنهم أمة واحدة، ومن منطلق أنهم أمة التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ومن منطلق أنهم الأمة الوسط وأمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتُكون كلمة الله هى العليا، ومن منطلق أنهم أمة العدل والشورى، من كل هذه المنطلقات جاءت العلاقات بينهم أو بينهم وبين غير المسلمين غاية فى الدقة والتحديد، وقمة فى العلاقات الإنسانية الرفيعة التى دلت عليها آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة.

هذه العلاقات الإنسانية استبعدت تماما الفروق الجنسية واللونية والإقليمية وغيرها من أنواع التمييز بين الناس وأبقت عنصرا واحدا يتفاضل به الناس ويتميز به بعضهم عن بعض، وذلك هو التفاضل فى تقوى الله تعالى ومدى الالتزام بما أمر وبما نهى.

كان ذلك منذ أن أنعم الله على الإنسانية برسولها الخاتم ﷺ، وسيستمر هذا هو مبدأ الإسلام ونظامه فى العلاقات بين الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكل خارج على هذا المبدأ الإسلامى الإنسانى فى العلاقات بين الناس آثم يعصى الله تعالى فيما أمر به أو فيما نهى عنه، مهما تكن مكانته بين المسلمين.

- **إن العلاقات بين المسلمين ليست كالعلاقات التى تقوم بين تكتلات سياسية أو اقتصادية أو عرقية أو لونية، كما يفعل العالم المعاصر اليوم، وإنما هى علاقات تقوم بين المسلمين جميعا - فى كل بقاع الأرض، ومهما تكن أوضاعهم السياسية أو الاقتصادية أو اللونية - على المساواة فى التعامل وفى الحقوق والواجبات، بل وفى القرب من الله تعالى، بالتقرب إليه بالعمل الصالح.**
- **ومن أجل أن تتضح أبعاد هذه العلاقات وضع لها الإسلام أسسا ركينة تقوم عليها هى:**

- الالتزام بمنهج الله تعالى ونظامه فى تناول الحياة.
- والتآخى فى الله، والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.
- والتواد والتراحم وحسن الجوار.
- والتعاون والتكافل.
- والتناصر والتآزر لجلب المصالح ودفع المضارّ.

ونحاول أن نوضح هذه الأسس الخمسة فى إيجاز.

والله المستعان.

* * *

الأساس الأول: الالتزام بمنهج الله ونظامه فى الحياة

هذا الالتزام هو معامل الأمان للعلاقات بين المسلمين إذ به يأمن المسلمون أفرادا وجماعات ودولا وحكومات أن تسوء العلاقة بينهم، وكيف تسوء وهم يتبعون منهجا وضعه الله تعالى لصالح الناس جميعا؟

● أبعاد الالتزام بمنهج الله تعالى:

منهج الله تعالى قد بينه فى كتابه الكريم وفى سنة رسوله الخاتم ﷺ، وأبعاد هذا المنهج فى مجال هذه العلاقات الإنسانية الإسلامية هى أوسع الأبعاد وأعمقها وأكثرها ملاءمة للإنسان، وأقدرها على أن تشق به طريق الفلاح فى دنياه وآخرته.

- هذا المنهج ما ترك من فضيلة أو خصلة خير وبرٍّ إلا أمر بها أو حبب فيها، ابتداء من فضيلة توحيد الله تعالى بالعبادة ومرورا بالإيمان بكل شعبه والإسلام بجميع أركانه والعدل والإحسان وانتهاء بإماطة الأذى عن الطريق.

- وهذا المنهج ما ترك من رذيلة أو خصلة شر إلا نهى عنها وحذَّر منها وكرّه فيها، ابتداء من الشرك بالله تعالى ومرورا بالكفر والنفاق والكذب والخداع والغش، وانتهاء بإضمار الشر للآخر أو نيته.

وما بين هذين البعدين يتحرك المسلم الملتزم ويبنى علاقته بسائر المسلمين ليضمن خير الدنيا والآخرة.

* وأهم مقتضيات هذا الالتزام هى:

- حبّ الخير وفعله للنفس والأهل والغير، أى تقديم الخير عموما، وإنما يكون ذلك بوقاية من يقدم لهم الخير من النار ومن الشر ومن وساوس الشياطين، وليس حب الخير للنفس أو للأهل أثرة وأنانية، وإنما هو استجابة لأمر الله، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...**﴾ [التحريم: ٦].

- وحب الخير وفعله للغير من مقتضيات الالتزام بمنهج الله تعالى، إذ المسلمون - كما وصفهم الرسول ﷺ - كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وحب الخير للآخرين استجابة لأمر الله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ**

إلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ . . . ﴾ [آل عمران : ١٠٤].

واستجابة لقوله تعالى : ﴿ . . . وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧].

هذا الالتزام بمنهج الله فى حب الخير وفعله بهذا العموم هو الأساس الأول الذى يقوم عليه هذا الالتزام فى شتى المرافق وكل أنواع السلوك الإنسانى فى الحياة.

الأساس الثانى : التآخى فى الله والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين

بالتآخى فى الله وبالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين يصبح المسلمون خير أمة أخرجت للناس، وبهذا أمر الله تعالى، ونادت سنة المعصوم ﷺ.

- قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠] أى أن من لم يؤاخ أخاه المؤمن فى الله فليس بمؤمن.

- وقال جل شأنه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠].

- وقال عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا . . . ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

- وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « . . وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله ».

- وروى مسلم بسنده عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجته . . ».

- وروى مسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ آخَى أخًا فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشىء من عمله ».

هذا عن التآخى فى الله والأخوة فى الدين.

- أما الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، فهو واجب على المسلمين دلت على وجوبه آيات الكتاب وكلمات السنة النبوية المطهرة.

- قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

- وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

فهل يدرك العرب اليوم أبعاد ما ترمى إليه هذه الآية الكريمة التى تنهى عن ولاء من قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم؟ إنهم اليهود وبريطانيا وأمريكا فى فلسطين وإخراج أهلها منها منذ عام ١٩٤٨م وحتى اليوم!!!

تلك آيات القرآن الكريم، أما الأحاديث النبوية:

- فقد روى الدارمى بسنده عن عبدالله بن الديلمى أن أباه رضى الله عنه سأل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا خرجنا من حيث علمت ونزلنا بين ظهرانى من قد علمت، فمن وليّنا؟ قال: «الله ورسوله...»

- وروى أحمد بسنده عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سرٍّ يقول: «إن آل فلان ليسوا لى بأولياء، إنما وليّى الله وصالح المؤمنين».

- وروى أحمد بسنده عن عمرو بن الجموح رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله تعالى ويبغض لله، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاء من الله...»

والولاء لله ورسوله وللمؤمنين دعم للأخوة فى الدين وهذا الولاء وتلك الأخوة أساس ركين تقوم عليه العلاقة بين المسلمين.

الأساس الثالث: التوادّ والتراحم وحسن الجوار

إن هذا التواد والتراحم بين المسلمين أمر من الله ورسوله يجب أن يلتزم به المسلمون ليعيشوا حياة إنسانية كريمة فى الدنيا، وحياة أخروية سعيدة يحظون فيها برضا الله تعالى.

وعندما ذهبت ألتمس فى القرآن الكريم الأمر بالتواد والتراحم ومكارم الأخلاق بين المسلمين وجدت ذلك مجموعا وكاملاً فى سورة من سور القرآن الكريم آياتها ثمانيه عشرة

آية هى سورة الحجرات كلها، حيث اشتملت على أنواع من الأدب جديرة عند التمسك بها أن تجعل من المسلمين عالما إنسانيا نبيل الغاية والوسيلة، حسن الخلق والسلوك، عف اللسان والكلمة نقى القلب والسريرة يحب بعضهم بعضا ويتراحم بعضهم مع بعض.

والالتزام بأدب الإسلام هو أعلى أنواع الأدب الاجتماعى مكانةً في تاريخ البشرية كلها في التعامل مع الله ورسوله ﷺ، وفى التعامل مع الناس مؤمنهم وكافرهم.

● والذى يجب أن نركز عليه هنا هو الأدب الإسلامى فى تعامل المسلمين أفرادا وأسرًا وجماعات – أى المجتمع كله – وهو أدب يمكن المجتمع من أن يتعايش أفراده فى مودة وتراحم وحسن ظن من المؤمن بأخيه المؤمن.

وهذه السورة الكريمة «الحجرات» تعد دستورا شاملا للتعامل بين المسلمين وفق قيم خلقية إنسانية رفيعة ندركها عند التدبر فى آياتها الكريمة إذ فيها:

– الأدب فى مخاطبة الرسول ﷺ(١)

– ووجوب التثبت من كل كلمة يسمعها المسلم حتى لا يقع فى الخطأ فالندم(٢)

– وتأكيد الأخوة بين المؤمنين والعمل على الإصلاح بين المتخاصمين منهم بالعدل والإقساط، وردّ الباغين إلى الحق والصواب(٣)

– وأدب احترام المسلم لأخيه المسلم، أى عدم لمزه أو نبزه أو سوء الظن به أو التجسس عليه(٤)

– ووجوب التعارف بين الناس، والتفاضل بينهم بالتقوى(٥).

– ووجوب إدراك الفروق بين المنافقين والمؤمنين(٦).

● والقرآن الكريم زاخر بآيات أخرى تقرر أسمى المبادئ فى التعامل بين الناس، حتى ليمكن أن يقال: إن معظم آيات القرآن الكريم تحمل أدبا رفيعا فى التعامل بين الناس.

---

(١) الآيات الكريمة من: ١ – ٥.

(٢) الآيات الكريمة من: ٦ – ٨.

(٣) الآيتان الكريمتان من: ٩، ١٠.

(٤) الآيتان الكريمتان: ١١، ١٢.

(٥) الآية الكريمة: ١٣.

(٦) الآيات الكريمة من: ١٤ – ١٨.

● أما الأحاديث النبوية الداعية إلى المودة والرحمة فى التعامل فأكثر من أن تحصى فى هذه الصفحات، ومنها:

- روى أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ويقول: والذى نفس محمد بيده ما توادّ اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما» وفى رواية لأحمد زاد فيه: «والمحدِث شر».

- وروى أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجرا إلا أن توادُّوا الله ورسوله، وأن تَقَرَّبوا إليه بطاعته».

- وروى الترمذى بسنده عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء...».

- وروى أحمد بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال وهو على المنبر: «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم، ويل لأقماع[1] القول، ويل للمُصِرِّين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون».

- وروى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: مرَّ رجل بالنبى ﷺ - وعند النبي ﷺ رجل جالس - فقال الرجل: والله يا رسول الله إنى لأحب هذا فى الله، فقال رسول الله ﷺ: «أخبرتَه بذلك»؟ قال: لا. قال: «قم فأخبره تثبت المودة بينكما» فقام إليه فأخبره فقال: إنى أحبك فى الله أو قال: أحبك لله، فقال الرجل: أحبك الذى أحببتنى فيه.

● وحسن الجوار مطلب شرعى وخلق إسلامى أصيل قُرِّرَ فى الكتاب والسنة واعتبر أساسا فى التعامل الإنسانى، ولقد عَظَّم الإسلام حق الجوار حتى لو كان الجار غير مسلم، فقد أوصى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بالجار حتي ظن رسول الله ﷺ أن جبريل سوف يُوَرِّث الجار من جاره.

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) الأقماع هم الذين يسمعون ولا يعون.

فقد أمرت الآية الكريمة بأمرين:

- عبادة الله وحده لا شريك له.
- الإحسان إلى هؤلاء الأصناف من الناس، أى الإحسان إلى الناس جميعا ومنهم الجار ذو القربى والجار البعيد.

والإحسان إلى الجار يعنى حسن التعامل معه بكف الأذى عنه، وتقديم الخير له وإرفاقه وإكرامه وإقراضه وإعانته وعيادته عند المرض واتباع جنازته عند الموت، والسرور بما يصيبه من خير وتعزيته فيما يصيبه من شر.. وسائر حقوقه التى يطول الحديث عنها فى هذه الكلمات.

– وروى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

– وروى البخارى بسنده عن أبى شريح – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، الذى لا يأمن جاره بوائقه».

– وروى أحمد بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب خيرهم لصاحبه، وخير الجيران خيرهم لجاره».

– وروى البزار بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة؛ أما الجار الذى له حقان فجار مسلم، له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم».

وذكر القرطبى فى تفسيره بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله ما حق الجار؟ قال: إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن احتاج أعطيته، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير سرك وهنيته، وإن أصابته مصيبة ساءتك وعزيته، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها، ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها، وإلا فادخلها سرا، ولا يخرج ولدك بشىء منه يغيظون به ولده، هل تفقهون ما أقول لكم، لن يؤدى حق الجار إلا القليل ممن رحم الله، أو كلمة نحوها»[1].

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن الكريم: ٢/٧٥٨ ط – الشعب القاهرة دون تاريخ.

الأساس الرابع: التعاون والتكافل

هذا الأساس يزيد الارتباط بين المسلمين ويوثقه ويدفع بهم نحو التقدم والاكتفاء والاستغناء عن المقرضين الربويين.

والتعاون يعنى ضم الجهود المادية والمعنوية بعضها إلى بعض، والتنسيق بينهما للوصول إلى هدف إنسانى نبيل للمتعاونين وهو أحد مظاهر التفاعل الاجتماعى المرغوب فيه، ويدل على مدى رشد الإنسان ونضج سلوكه وقدرته على العمل فى جماعة إنسانية راشدة.

- والتعاون بين المسلمين إنما يكون على أنواع من البر والخير عموما كما يقوم على تقوى الله تعالى وإيثار ما عنده، ويمكن أن يترجم هذا التعاون بالمشاركة فى القيام بأنشطة اجتماعية واقتصادية وثقافية وتعليمية نظريا وعمليا.

- أما التكافل بين المسلمين فيعنى التعاهد والتضامن والتعاقد، والتعاضد، ومعناه أن يكفل المسلمون بعضهم بعضا للوصول إلى هدف اجتماعى نبيل، ويكون ذلك فى صورته البسيطة فى تبادل الخدمات فيما بينهم، ثم يظل يرقى حتى يصبح على مستوى أن يكفل بعضهم بعضا.

والتكافل فى الإسلام تأمين اجتماعى حينا وضمان اجتماعى حينا، وربما يؤدى إلى رفاهية اجتماعية فى بعض الأحيان، وهو مطلب شرعى وخلق إسلامي أصيل قرره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن ذلك التأصيل:

– قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

والخطاب فى الآية الكريمة موجه إلى المسلمين جميعا أفرادا وأسراً وجماعات، بل إلى الحكومات جميعا إن تعددت فى العالم الإسلامى.

وإذا كان التعاون بين المسلمين على البر والتقوى فإن مجالاته تتسع إلى مالا نهاية له من أنواع الخير وأعماله ، لأن الله تعالى أمر به جميع الخلق، ونهاهم جميعا عن التعاون على الإثم والعدوان، قال الإمام أبو الحسن الماوردى: إن الله تعالى أمر بالبِّر وقرنه بالتقوى له سبحانه، لأن تقوى الله فيها رضا الله تعالى، والبر بالناس فيه رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته[١].

(١) الإمام أبو الحسن الماوردى: الأحكام السلطانية.

وقال ابن خويز منداد – في أحكامه – : والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه؛ فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله تعالى، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد علي من سواهم» – كما جاء ذلك في الحديث الشريف الذي ذكرناه أكثر من مرة في هذا الكتاب – ويجب الإعراض عن المعتدى وترك النصرة له ورده عما هو عليه»[1].

- ومن التعاون على البر والتقوي: التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهما من صفات المؤمنين المستثنين من الخاسرين في قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [العصر].

- وقد عنون الإمام البخاري في صحيحه: باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، وجاء تحت هذا الباب ما رواه البخاري بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ثم شبك بين أصابعه...».

- وعنون أبو داود – في سننه – باب في المعونة للمسلم، وجاء تحت هذا الباب ما رواه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

- والتعاون بين المسلمين يعتبر صدقة يأجر الله عليها المتعاونين، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة، ودَلّ الطريق صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

- والمرأة المسلمة في التعاون مثل الرجل فهو واجب عليها في بعض الأحيان بدليل أن الرسول ﷺ قد أقرَّ عون النساء للرجال في غزوة خيبر، فقد روى أحمد بنسده عن امرأة من بني غفار رضي الله عنها، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من غفار فقلنا:

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن الكريم: ٦ / ٤٧ ط – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة: ١٣٧٨ هـ – ١٩٦٧م.

يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا – وهو يسير إلى خيبر – فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال: «على بركة الله» قالت: فخرجنا معه.

- والتكافل بين المسلمين تضامن وتساند من أجل أن يشد بعضهم حاجة بعض، وليكفل احتياجاته في حدود استطاعته.

فقد روى البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما.

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله» وفى رواية له زاد فيها: وأحسبه قال: وكالقائم الذى لا يفتر وكالصائم الذى لا يفطر».

ورواه البخارى أيضا.

الأساس الخامس: التناصر والتآزر لجلب المصالح ودفع المضار

هذا الأساس مكمل للأسس الأربعة التى سبقته، بل يعد نتيجة لها مجتمعة.

فالالتزام بمنهج الله ونظامه فى الحياة مرتكز عندما تظلله الأخوة فى الله وفى الدين الخاتم التام الكامل، وتسود من فى ظله المودة والرحمة وحسن الجوار، ويقوم بين الناس تحت هذه المظلة تعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، وتكافل وتضامن، فإن ذلك لابد أن ينتج تناصراً وتآزرا يحقق مصالح الدنيا والآخرة، ويدرأ عنهم بهذا المنهج كل ضرر يقع بهم فى معاشهم ومعادهم.

- المسلمون وهم يحققون هذه الأسس يصنعون مجتمعا إسلاميا لا يضيع فيه حق أحد لأنه ضعيف أو فقير أو يتيم أو مسكين، ولا يستبد فيه بالحق إنسان فيظلم سواه، مهما أوتى المستبد من قوة أو جاه أو غنى أو عزوة، لأن المجتمع المسلم الذى بنى على هذه الأسس سوف يحفظ حق الضعيف والفقير، ويقف فى وجه كل متكبر ظالم جبار، لأن ذلك من شأن الالتزام بالمنهج القائم على هذه الأسس.

- والتناصر والتآزر لجلب المصالح ودفع المضار هو من خصائص المجتمع الإسلامى، ولا يمكن للمسلمين أن يطبقوا منهج الإسلام إلا على تلك الأسس التى أوجبها الله تعالى، وجعلها من قواعد هذا المنهج وركائزه.

فكيف يكون التناصر والتآزر ولأى هدف يكونان؟

ذلك ما نجيب عنه فى هذه الصفحات والله المستعان.

● هدف التناصر والتآزر بين المسلمين أن يكون لنصر الله ومنهجه ونظامه، ونصر كل ما أمر الله به، ونصر الشريعة التى جاء بها محمد ﷺ واتباعها، ونصر المؤمنين فى كل معركة يخوضونها فى السلم والحرب على السواء، فمعركة الإحياء والتجديد لأمر الدين كمعركة العلم والتقدم والتنمية، كمعركة الحرب ضد عدو مهاجم أو متربص أو يمثل عقبة ضد الإسلام والمسلمين.

– قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ...** ﴾ [الصف: ١٤] وأنصار الله هم أنصار منهجه ونظامه والدين الخاتم الذى امتنَّ الله به على الناس.

– ومَنْ نصر الله ورسوله ومنهجه ونظامه وإخوانه المسلمين، فإن الله تعالى وعده بالنصر والتمكين والتأييد وتثبيت الأقدام قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ** ﴾ [محمد: ٧-١١].

– ونصر المؤمنين للمؤمنين واجب شرعا بنص القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ **...وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ...** ﴾ [الأنفال: ٧٢].

– وعلى المؤمنين أن يخوضوا المعارك من أجل نصرة إخوانهم ما داموا على الحق، وأن يخوضوها مؤقنين بنصر الله وتأييده ووعده الذى لا يتخلف، قال الله تعالى: ﴿ **...وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ...** ﴾ [الروم: ٤٧].

● والتناصر والتآزر بين المسلمين يستهدف التمكين لدين الله ومنهجه فى الأرض، وإعمار الأرض وتسخير ما فيها بالعلم والعمل لصالح الإنسان، وفى ذلك جلب للمصالح فى الدنيا بالسعى على الرزق وابتغاء فضل الله، وفى الآخرة بثواب طاعة الله ورسوله.

– والتمكين لدين الله فى الأرض يعنى أن تكون السيادة له على سائر النظم والمناهج لأنه المنهج الخاتم التام الكامل، ومع سيادة هذا المنهج الخاتم ينال كل ذي حق حقه، ولا يطمع

ظالم في مظلوم ولا يفتات أحد على حق أحد، وينقمع الفساد والمفسدون.

- وبالتناصر والتآزر بين المسلمين تُسْتجلب المصالح الدنيوية والأخروية وتُدْرأ المضار الدنيوية والأخروية، ويؤتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثمارهما في ترشيد الإنسانية ومقاومة الشر في الناس، وبه يكون الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ولا يعبد غير الله في الأرض، حيث تبلغ الدعوة إلى الله ما بلغ الليل والنهار من مكان وزمان.

- والتناصر والتآزر بين المسلمين يجعلهم أهلا لمحبة الله تعالى، ومن أحبه الله كان في عونه ويسّر له أمره، وهيأ له من الأسباب ما يحقق له سعادة الدنيا والآخرة، فقد روى أحمد بسنده عن أبي طيبة قال: إن شرحبيل بن السِّمط الكندي[1] دعا عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه، فقال: يا ابن عبسة: هل أنت محدثي حديثا سمعته أنت من رسول الله ﷺ، ولا تحدثنيه عن آخر سمعه منه، فقال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يقول: قد حقَّتْ محبتي للذين يتحابون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي، وحققت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي، وحققت محبتي للذين يتناصرون من أجلي...».

- وتاريخ المسلمين مليئ بالشواهد والدلائل على أن المسلمين يوم تناصروا وتآزروا، لم يستطع عدو لهم أن يغلبهم، ويوم تباعدوا واختلفوا وتخاذلوا وقعدوا عن التناصر والتآزر غلبهم عدوهم وطردهم من أرضهم وديارهم وأموالهم فضاعوا وذلوا وازدادوا ضعفا وتخاذلا، وأذكرُ في هذا المجال ببعض النماذج:

- نموذج الانتصار بعد التناصر والتآزر، معارك بدر الكبرى وغزة الخندق وفتح خيبر وفتح مكة على عهد رسول الله ﷺ، وبفتح الشام والعراق وفارس ومصر وإفريقية (تونس) وما جاورها على عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وبفتح الأندلس على عهد التابعين رحمهم الله تعالى، وبامتداد الإسلام في معظم ربوع الأرض في أقل من مائة عام.

كما أذكر بفتح القسطنطينية وغزو الروم عموما ومعركة حطين واستعادة بيت المقدس وغيرها من أيدي الصليبيين.

---

(١) تولى شرحبيل حمص ما يقرب من عشرين عاما، وهو من الشجعان الفاتحين، له صحبة برسول الله ﷺ.

- وأذكر بالمواقف التى قعد فيها المسلمون عن التناصر والتآزر فانهزموا، ومن ذلك: وقوع بيت المقدس فى أيدى الصليبيين تسعين عاما قبل استعادته، ووقوع كثير من مدن الشام فى أيديهم حتى إنهم أقاموا بها ممالك ودويلات، وإجلاء المسلمين عن الأندلس، والتحالف الغربى الشرقى المسيحى اليهودى ضد دولة الخلافة العثمانية حتى قضوا عليها، وأحلوا محلها نظاما علمانيا معاديا للإسلام وللأديان عموما، وأذكر بوقوع كثير من بلاد المسلمين فى أيدى الصليبيين فيما سمى - من باب المغالطة - بالاستعمار والانتداب والوصاية والحماية وسد الفراغ، وبسط النفوذ والنظام العالمى الجديد والعولمة.

ولا ننسى كيف تحالف الغرب والشرق على تمكين اليهود من فلسطين وطرد أهلها منها، وإيقاع العداوة بين إيران ومشئوم العراق وإغراء هذا المشئوم بغزو الكويت وما ترتب على ذلك من خراب وتخريب، وبسط النفوذ الغربى على منطقة الخليج بل على العالم العربى.

ولا ننسى ما حدث ولا يزال يحدث في البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان، وكشمير، وإندونيسيا ونيجيريا والسودان..

- إن كل ذلك له عندي معنى واحد، هو أن المسلمين قعدوا عن التناصر والتآزر لنصر الله ورسوله والمؤمنين.

* ومن أجل أن نتذكر هذا وذلك ونأخذ العبرة منهما، ولا نكرر نفس الأخطاء يجب أن نؤكد أن العلاقات بين المسلمين أفرادا وأسرا وجماعات ودولا وحكومات يجب أن تقوم على تلك الأسس الخمسة التى ذكرنا، حتى يأتى الله بالنصر من عنده لمن تناصروا وتآزروا من أجل التمكين لدين الله الخاتم فى هذه الدنيا، وما ذلك على الله بعزيز، فقد وعد بنصر المؤمنين.

* * *

ب - الأسس التى تقوم عليها العلاقات بين المسلمين وغيرهم

المجتمعات المسلمة أو الحكومات المسلمة في مختلف بقاع العالم لا تعيش منعزلة عن غير المسلمين من الناس، وإنما تتعايش معهم وفق قيم ومعايير وضعها الإسلام وأوضحها منهجه، بل ألزم المسلمين بها إلزاما.

إن المجتمع المسلم والحكومة المسلمة قد عهد الله إليها بأن تدعو إليه وأن تنشر دينه فى الناس أى أن تنشر الحق والعدل والإحسان بين الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم، فتلك وظيفة الأمة المسلمة التى لا تفارقها أبدا.

ولن يستطيع المسلمون نشر الدين الخاتم فى الناس بما يحمله من مبادئ العدل والرحمة وإحقاق الحق، ومقاومة الظلم والعنف وأنواع الباطل كلها، والأخذ بيد الضعيف حتى يصل إليه حقه، والأخذ على يد الظالم حتى يؤخذ الحق منه، وبذلك وغيره من المبادئ يستطيع المجتمع الإنسانى أن يعيش حياة كريمة تليق بكرامة الإنسان وتفضيل الله تعالى للإنسان على كثير ممن خلق.

- ومن المسلَّمات فى نظام الإسلام ومنهجه أن المسلمين لا يعادون غير المسلمين، لأنهم غير مسلمين، لأن ذلك مناقض لمنطق أنه لا إكراه فى الدين الذى أعلنه الإسلام فى قول الله تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...**﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله جل شأنه: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...**﴾ [الكهف: ٢٩].

وكيف يعادى المسلمون غير المسملين؟ وهم مطالبون بدعوة غير المسلمين إلى دين الحق؟ بل إلى دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وجدالهم بالتى هى أحسن عند الحاجة إلى الجدال؟ فكرة اعتبار غير المسلمين أعداء للمسلمين غير واردة فى منهج الإسلام، وغير مطبقة فى تاريخ المسلمين، وإنما هى تصور خاطئ لبعض أعداء الإسلام.

- ومن أجل تقرير مبادئ العدل والإحسان وحسن التعامل مع غير المسلمين وفق قيم الإسلام ومعاييره نوضح بعض الأسس التى تقوم عليها علاقات المسلمين بغيرهم، فيما يلى، والله تعالى هو الموفق والمعين.

الأساس الأول : حسن التعامل مع الناس جميعا

الإسلام دين حسن المعاملة عموما مع الناس والأحداث بل الأشياء، وذلك أنه دين التسامح والسماحة والعفو، الدين الذى يطالب المؤمنين بأن يدفعوا السيئة بالحسنة.

والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على ذلك كثيرة منها:

– قوله الله تبارك وتعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

– وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا... ﴾ [الإسراء: ٧].

– وقوله عز وجل: ﴿ ...وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤].

– وقوله جل وعلا: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد: ١٧، ١٨].

– وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢].

– وقوله جل شأنه: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

● ولقد كان رسول الله ﷺ قدوة فى الرفق والتسامح وحسن التعامل والعفو ومقابلة الشر بالخير، ولا عجب فى ذلك فقد قال الله تعالى عنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

– وروى البخارى بسنده – فى الأدب المفرد – عن أنس رضى الله عنه قال: كان ﷺ لا يأتيه أحد إلا وعده وأنْجزَ له إن كان عنده».

– وروى أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل ما بال فلان يقول، ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا».

– وروى الترمذى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحْسَنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير».

هذه هى قواعد التعامل بين المسلمين وغيرهم قررها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لا يملك الخروج عليها أحد من المسلمين كائنا من يكون إلا وقع فى الإثم والمعصية.

وهكذا كان تعامل المسلمين الملتزمين بالإسلام منهجا وسلوكا فى مختلف البلاد التى فتحوها ومع جميع الناس الذين تعاملوا معهم منذ ظهر الإسلام وإلى يوم الناس هذا، لا يخالف هذا النهج إلا مذنب عاص لله ولرسوله.

والأساس الثانى: تطبيق مبدأى العدل والإحسان

العدل أهم مبدأ فى الحياة الإنسانية كلها، وبه تستقيم حياة الناس فلا يظلم بعضهم بعضا، بل بالعدل قامت السموات والأرض والإحسان فى تحليله الاجتماعى مكمل للعدل، ومطمئن للنفوس وداعم لروح المودة والمرحمة بين الناس.

وربما يكون العدل مجردا عن الإحسان - فى بعض الأحيان - جافًا بعيدا عن شعور المحسن بالراحة، وعن شعور المحسَن إليه بالرضا والاطمئنان، لذلك قرن الله تعالى العدل بالإحسان فى قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ...**﴾ [النحل: ٩٠].

- وتعامل المسلمين مع غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين يجب أن يقوم على العدل والإحسان كذلك، فلا يجوز أن يقع عليهم ظلم من أحد من المسلمين حاكما أو محكوما، ولا يجوز لأحد أن يغشهم أو يخدعهم فضلا عن أن يعتدى على أموالهم وأعراضهم.
- غير أن أهل الكتاب من يهود ونصارى لهم معاملة خصهم بها الإسلام تعد مميزة عن المشركين والوثنيين عموما.

وتقوم معاملة المسلمين لأهل الكتاب وفق مبدأى العدل والإحسان على قواعد ونظم عديدة من أهمها:

أولا: يجب على المسلمين فى كل زمان ومكان إذا تعاملوا مع أهل الكتاب ألا يسيئوا إليهم فى قول أو فعل، فإذا جادلوهمْ فى شىء من أمور دينهم أن يجادلوهم بالطريقة التى هى أحسن، أى بالتساؤل والاستفهام لا بالتقريع والملام.

● وكبريات القضايا أو المسائل المتعلقة بهم هي:

– الكفر بآيات الله، وتلبيس الحق بالباطل، وكتمان الحق مع علمهم به والغلو في الدين، وصد الناس عن سبيل الله، وكل ذلك جاء فيه القرآن بأسلوب الاستفهام، وهو أسلوب هادئ غير محرج أو جارح، وذلك في الآيات الكريمة التالية:

● قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧٠].

● وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧١].

● وقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [آل عمران: ٩٩].

أما قضية الغلو في الدين الذي يفضي غالبا إلى الكفر بالله سبحانه، أو وصفه بما لا يجوز أن يوصف به، فقد جاء الأسلوب القرآني فيها بصيغة النهي عن الغلو في الدين والتبصير بالحق وتنوير العقل بالعلم والمعرفة، كما في الآيات الكريمة التالية:

● قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾ [المائدة: ٧٧، ٧٨]، وذاك نهي يحذر من اليهود وما وقعوا فيه من أخطاء وضلالات.

● وقوله جل شأنه: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾ [النساء: ١٧١].

ثانيا: يجب على المسلمين إذا حاوروا أهل الكتاب أو جادلوهم أن يلتزموا بأن يكون الحوار أو الجدل بالتي هي أحسن وأهدأ وألْيَن وأدعى للقبول وأقرب إلى الإقناع، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقد استثنت الآية الكريمة منهم الذين يجاوزون حد الاعتدال فى حوارهم وجدالهم فيخرجون بذلك عن دائرة العقل والمنطق، فإن هؤلاء يُسمح للمسلمين أن يأخذوهم ببعض الشدة التى تلائم مواقفهم.

ثالثا: يجب على المسلمين أن يدعوا أهل الكتاب إلى كلمة عادلة جامعة من شأنها أن تحسم التنازع والخلاف عند أهل الأديان جميعا وهى: عبادة الله وحده لا شريك له، وترك قضية التحليل والتحريم له سبحانه وتعالى، فذلك هو الأصل وهو الأصوب والأنفع للناس، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة، فإن على المسلمين أن يخبروهم بأن المسلمين منقادون لحكم الله مخلصون له الدين، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٦٤].

رابعا: عندما لا يكون أهل الكتاب مقاتلين للمسلمين ولا مخرجين لهم من ديارهم، فإن المسلمين عندئذ يجوز لهم أن يبروا أهل الكتاب ويكرموهم ويعاملوهم أحسن معاملة، لأن الله تعالى يحب أهل العدل والبر، والمسلمون راغبون دائما فى أن يكونوا موضعا لحب الله تعالى، كما جاء ذلك فى قوله جل وعلا: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة: ٨].

ذلك هو أسلوب التعامل بين المسلمين وأهل الكتاب ماداموا غير مقاتلين للمسلمين وغير عاملين على إخراج المسلمين من ديارهم، أسلوب البر والعدل واحترام حقوقهم وإنسانيتهم، لأن ذلك هو منهج الإسلام ونظامه، لا يجوز لمسلم أن يخرج عليه أو على شىء منه.

خامسا: عندما يكون أهل الكتاب من الذين يقاتلون المسلمين من أجل دينهم، ويعملون على إخراجهم من ديارهم، ويظاهرون أعداء المسلمين على إخراج المسلمين من أرضهم وديارهم، فعندئذ يكون منع المسلمين من أن يوالوا أهل الكتاب أو يتخذوا منهم أنصارا، لأن من يفعل ذلك من المسلمين فهو من الظالمين، والظالمون ما يزيدهم نزول القرآن عليهم وعصيانهم ما فيه إلا خسارا، كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الممتحنة: ٩].

فالمسلمون الذين يتخذون أهل الكتاب بهذه الصفات أنصارا يظلمون أنفسهم بمخالفتهم لأمر الله ونهيه ومنهجه ونظامه.

والأساس الثالث: وجوب استمرار الدعوة إلى الله مع كل أحد

الدعوة إلى الله أى إلى الدين الخاتم دين الحق يجب أن تستمر إلى يوم القيامة، وأن يمارسها من المسلمين كل قادر عليها ممن يملك البصيرة بما يدعو إليه.

وتوجه الدعوة إلى دين الحق إلى أهل الكتاب لعلهم يهتدون فيدخلون فى الدين الخاتم، الذى جعله الله مهيمنا على الدين كله، وعلى الكتب التى سبقته، فإن لم يستجيبوا فإن تعامل المسلمين معهم قد أوضحناه آنفا.

- أما غير أهل الكتاب من المشركين والملحدين والوثنيين والشيوعيين وأمثالهم ممن ينكرون الخالق سبحانه وتعالى ويستهينون بالأديان ويصفونها بأنها تخدر الشعوب، ويرفضون الإيمان بالغيب ويعملون ما وسعهم على إقصاء الدين عن الحياة ويجحدون الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، ويسخرون بل يستهزئون بالجنة والنار، هؤلاء جميعا ومن إليهم من كل ضال مضل قد غلبت عليهم شقوتهم وغرتهم الحياة الدنيا وعطلوا عقولهم، هؤلاء على الرغم من كل ذلك، فإن المسلمين ليس لهم أن يظلموهم أو يعتدوا عليهم، لأن الظلم والعدوان مما حرّم الله على كل حال.

هؤلاء لهم أسلوب آخر فى التعامل معهم نستطيع أن نلخصه فى النقاط التالية:

أولا: تعرض الدعوة إلى الله وإلى الدين الخاتم عليهم بأسلوب الدعوة المعروف بالحكمة والموعظة الحسنة دون ضغط أو إكراه، مع محاولة إقناعهم بدين الحق، وإقامة الحجج والبراهين إن كان الموقف يحتاج إلى حجج وبراهين.

وذلك يفهم من عموم الآيات الكريمة التى وردت عن الدعوة إلى الله، بوسائلها المعروفة وأدبياتها المتعارف عليها بين الدعاة إلى الله، ومن هذه الآيات قوله تبارك وتعالى: **﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾** [النحل: ١٢٥]، فمن استجاب منهم فقد أصبح من المسلمين، ومن لم يستجب وعاند وقاتل فله حكم سنذكره بعد قليل.

ثانيا: إتاحة الفرصة لهم وعلى رأسهم المشركون – حتى لو كانوا فى حالة حرب مع المسلمين – أن يجاروا من الحرب إن استجاروا، فتعطى لهم فترة يسمعون فيها كلام الله،

ويعرفون فيها وجه الحق، ومن كانت لديه شبهات منهم أزيلت له هذه الشبهات فهذا حقهم، فإن استجاب بعضهم فقد دخل بهذه الاستجابة فى الإسلام وأصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، هذا الحق فى أن يجاروا حتى يسمعوا كلام الله قد كفله له القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة : ٦].

- أين هذا الخلق الإسلامى مع العدو المشرك الذى يجار حتى يسمع كلام الله ثم يبلغ به إلى مكان آمن مما تصنعه إسرائيل مع العرب فى فلسطين؟ إن إسرائيل تحشد كامل طاقتها العسكرية وعنفها ووحشيتها لتصفية الفلسطينيين الذين لا يملكون سلاحا غير الحجارة والتظاهر ضد وحشية إسرائيل؟!!

- وأين هذا مما تمارسه أمريكا التى تدعى المحافظة على حقوق الإنسان وتقديس الحرية والديمقراطية ضد المسلمين فى أى مكان فى العالم ابتداء من الحصار الاقتصادى والسياسى والجوى، ومرورا بإثارة الفتن والاضطرابات ومدّ المتمردين بالأسلحة والأموال والدعم المعنوى لتحدى أى نظام إسلامى فى العالم كله، من إيران إلى الفلبين إلى إندونيسيا إلى كشمير إلى أفغانستان إلى العراق إلى سوريا إلى الأردن ومصر وفلسطين وسائر بلدان العالم العربى إلى نيجيريا وسائر بلاد إفريقيا؟!!

وأنا لا أدعى هذا على أمريكا وإسرائيل وإنما تقوم المشاهد التى يراها كل الناس دليلا على ذلك، فإن كان الناس فى ظل التوحش الإسرائيلى ضد العرب والعداء الأسود الأمريكى ضد المسلمين لا يصدقون، فإن تقرير منظمة العفو الدولية « أمنستى » الصادر فى آخر شهر مايو سنة ٢٠٠١م من لندن يدين إسرائيل المتوحشة وأمريكا المتغطرسة الجائرة، حيث يقول التقرير عن إسرائيل: « استخدام إسرائيل للقوة المفرطة والمميتة ضد الفلسطينيين وهو تعبير مبسط يلفه الخوف من فضح إسرائيل بأكثر من ذلك حتى لا تقع المنظمة تحت طائلة غضب أمريكا راعية إسرائيل التى تمدها بالأسلحة المدمرة ».

ويقول التقرير عن أمريكا فى مجال انتهاكها لحقوق الإنسان: « إن الولايات المتحدة الأمريكية التى وضعت المعايير الدولية للحرية والديمقراطية قبل عقود مضت قد تراجع سجلها مؤخرا، بل قد أصبحت عائقا لبعض حقوق الإنسان، ولذلك فهى الآن تتصدّر قمة أكبر خمس دول مُحْبِطة للآمال فى مجال حقوق الإنسان فى العالم، ثم يواصل التقرير قائلا: « إنه بعد عشر سنوات من انتهاء الحرب الباردة فإن الولايات المتحدة مازالت مستمرة

فى دعم ومساعدة أكثر نظم الحكم فى العالم ديكتاتورية وانتهاكا لحقوق الإنسان، سواء بالمعونات الاقتصادية والعسكرية أو بالتدريب وصفقات الأسلحة الهائلة، ودعم أجهزة الأمن المكلفة بقهر المواطنين وانتهاك حرياتهم دفاعا عن هذه النظم»(١).

أين هذه الوحشية فى التعامل مع المسلمين خصوصا والناس عموما مما قرره الإسلام من حقوق للإنسان فى الأمن والإجارة وتوصيله إلى مأمنه؟

ثالثا: وعلى المسلمين أن يعرفوا طبائع هؤلاء المشركين وأمثالهم، فى مجال رفضهم الحق ورفض الإيمان، وإيثارهم الباطل وأنواع الكفر، معرفة تقوم على العلم والدراسة ليتعاملوا معهم بناء على هذه المعرفة، لأن معرفة العدو بدقة وموضوعية جزء من القدرة عليه وهزيمته.

ومن طبائع المشركين ومن لفَّ لفَّهم أن يستعظموا الاستجابة للحق - على الرغم من وضوحه وقيام الأدلة عليه - كما حكى عنهم القرآن الكريم ذلك فيقول الله تعالى: **﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾** [الشورى: ١٣].

إن الاستجابة فى الحق كبيرة على المشركين وصعبة عليهم وتلك فطرتهم المنحرفة عما فطر الله عليه الناس، ولذلك كانت لهم عند المسلمين معاملة تلائم هذه الصلابة فى الباطل والعناء والاستكبار.

رابعا: مهما أدلى بعض المشركين وأمثالهم بقرابات ببعض المسلمين، فإنه لا يجوز للمسلمين أن يطلبوا من الله المغفرة لهم وهم مشركون، حتى لو كانوا آباء لبعض المسلمين أو أبناء أو إخوة أو ذوى قرابة لاصقة، لأنه سبحانه وتعالى لم يُجَوِّزْ ذلك لرسوله ﷺ ولا للمؤمنين، لأن الشرك ظلم عظيم وإنكار لله ولكتبه ورسله واليوم الآخر، وما كان لمسلم أن يستغفر لمشرك مهما كانت درجة قرابته به، قال الله تعالى: **﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾** [التوبة: ١١٣].

---

(١) جريدة الأهرام المصرية العدد الصادر فى ٦/٦/٢٠٠١م بعنوان: عولمة القهر والفقر وحقوق الإنسان - صلاح الدين حافظ.

● إن المجتمع المسلم أفراداً وأسراً وجماعات ودولا وحكومات وهو يتعامل مع غير المسلمين، إنما يتعامل معهم على وفق ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا الأسلوب من التعامل من الثوابت التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وهى معاملة عادلة ممزوجة بالإحسان لأن الإسلام هو الدين الخاتم الإنسانى الرحيم فى كل تشريعاته ونظمه.

وبعد : فهذه هى الوسائل السبع التى يمكن من خلالها تحقيق الأهداف السبعة التى استهدفتها التربية الاجتماعية الإسلامية، نرجو أن نكون قد وفقنا فى توضيح أبعادها ومقاصدها ووسائلها بتوفيق من الله تعالى وعون كريم.

****

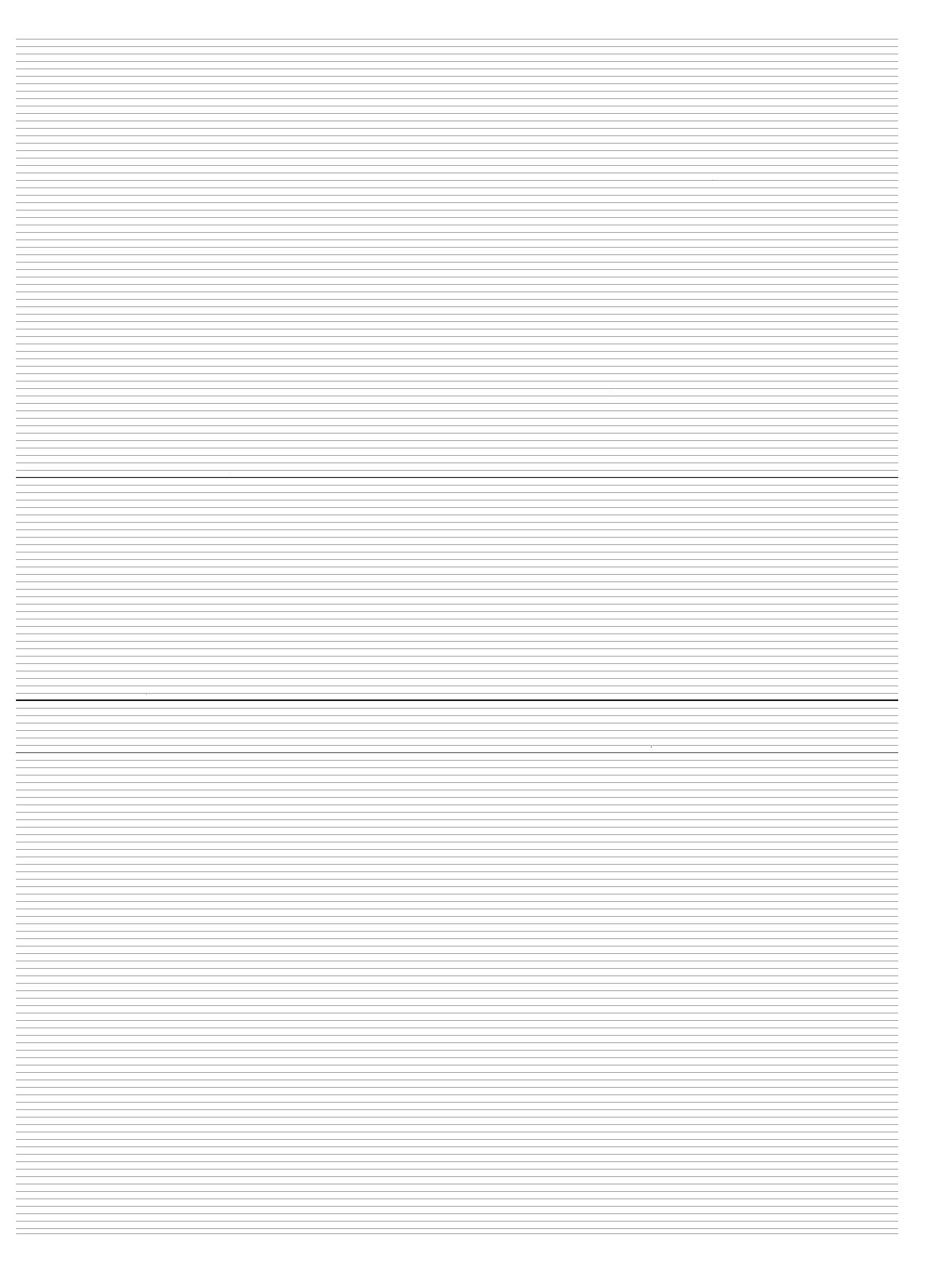
خاتمة الكتاب

نحمد الله تعالى ونصلى ونسلم على خاتم أنبيائه محمد ﷺ، ونلهج بشكر الله والثناء عليه أن وفق لكتابة هذه الحلقة السادسة: «التربية الاجتماعية الإسلامية» من سلسلة مفردات التربية الإسلامية العشر، سائلا الله تعالى التوفيق والعون على إكمال هذه السلسلة، وأن يجعل ذلك فى ميزان حسناتنا وحسنات كل قارئ، إنه على ما يشاء قدير.

وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

القاهرة: فى الرابع عشر من شهر ربيع الأول ١٤٢٢هـ

الموافق ٦/٦/٢٠٠١م



فهرس موضوعات الكتاب

الباب الأول:

التربية الاجتماعية الإسلامية.. خصائصها ومنهجها وأهدافها

الباب الثانى

التربية الاجتماعية الإسلامية، ووسائلها لتحقيق أهدافها

قائمة بأعمال المؤلف المنشورة

أولاً: فى الفكر الإسلامى وقضاياه:

١ – مع العقيدة والحركة والمنهج – دار الوفاء بمصر.

٢ – الغزو الصليبى والعالم الإسلامى – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣ – المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى – دار المنار بالقاهرة.

٤ – الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى – دار المنار بالقاهرة.

٥ – التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى وطرق التغلب عليه – دار الوفاء بمصر.

٦ – التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٧ – نحو منهج بحوث إسلامى – دار الوفاء بمصر.

٨ – السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – دار عكاظ بالسعودية.

ثانيًا: فى التربية:

أ – سلسلة التربية فى القرآن الكريم:

٩ – التربية الإسلامية فى سورة المائدة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٠ – التربية الإسلامية فى سورة النور – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١١ – التربية الإسلامية فى سورة آل عمران – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٢ – التربية الإسلامية فى سورة الأنفال – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٣ – التربية الإسلامية فى سورة الأحزاب – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٤ – التربية الإسلامية فى سورة النساء – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٥ – التربية الإسلامية فى سورة التوبة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

ب – سلسلة مفردات التربية الإسلامية:

١٦ – التربية الروحية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٧ – التربية الخلقية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٨ – التربية العقلية – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٩ - التربية الدينية (الغائبة) - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢٠ - التربية السياسية الإسلامية - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢١ - التربية الاجتماعية الإسلامية - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

جـ - فى التربية الإسلامية المعاصرة :

٢٢ - تربية الناشئ المسلم - دار الوفاء بمصر .

٢٣ - وسائل التربية عند الإخوان المسلمين - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢٤ - منهج التربية عند الإخوان المسلمين - دار الوفاء بمصر .

ثالثًا : فى فقه الدعوة الإسلامية :

٢٥ - فقه الدعوة إلى الله - دار الوفاء بمصر .

٢٦ - فقه الدعوة الفردية - دار الوفاء بمصر .

٢٧ - المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله - دار الوفاء بمصر .

٢٨ - فقه الأخوة فى الإسلام - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢٩ - فقه المسئولية - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٠ - عالمية الدعوة الإسلامية - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣١ - التوثيق والتضعيف عند المحدثين والدعاة - دار الوفاء بمصر .

رابعًا : سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا :

٣٢ - ركن الفهم - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٣ - ركن الإخلاص - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٤ - ركن العمل أو منهج الإسلام الإصلاحى - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٥ - ركن الجهاد الذى لا تحيا الدعوة إلا به - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٦ - ركن التضحية - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٧ - ركن الطاعة - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٨ - ركن الثبات - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٩ - ركن التجرد - دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٤٠ – ركن الأخوة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤١ – ركن الثقة – دار التوزيع والنشر الإسلامية.

خامسًا: في الأدب الإسلامي المعاصر:

٤٢ – مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه – دار عكاظ بالسعودية.

٤٣ – جمال الدين الأفغاني والاتجاهات الإسلامية في أدبه – دار عكاظ بالسعودية.

سادسًا: في الدراسات الأدبية:

٤٤ – القصة العربية في العصر الجاهلي – دار المعارف بمصر.

٤٥ – النصوص الأدبية تحليلها ونقدها – دار عكاظ بالسعودية.

سابعًا: كتب معدة للنشر بإذن الله تعالى:

١ – باقي سلسلة مفردات التربية الإسلامية: أربع حلقات.

٢ – التربية الإسلامية في المدرسة.

٣ – التربية الإسلامية في المجتمع.

